



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي



**المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب
(الوساطة بين المتتبي وخصومه)
للقاضي الجرجاني(392هـ)**

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير

في اللغة العربية و آدابها

تخصص: النقد العربي ومصطلحاته

إشراف الدكتور

عبد الحميد هيمة

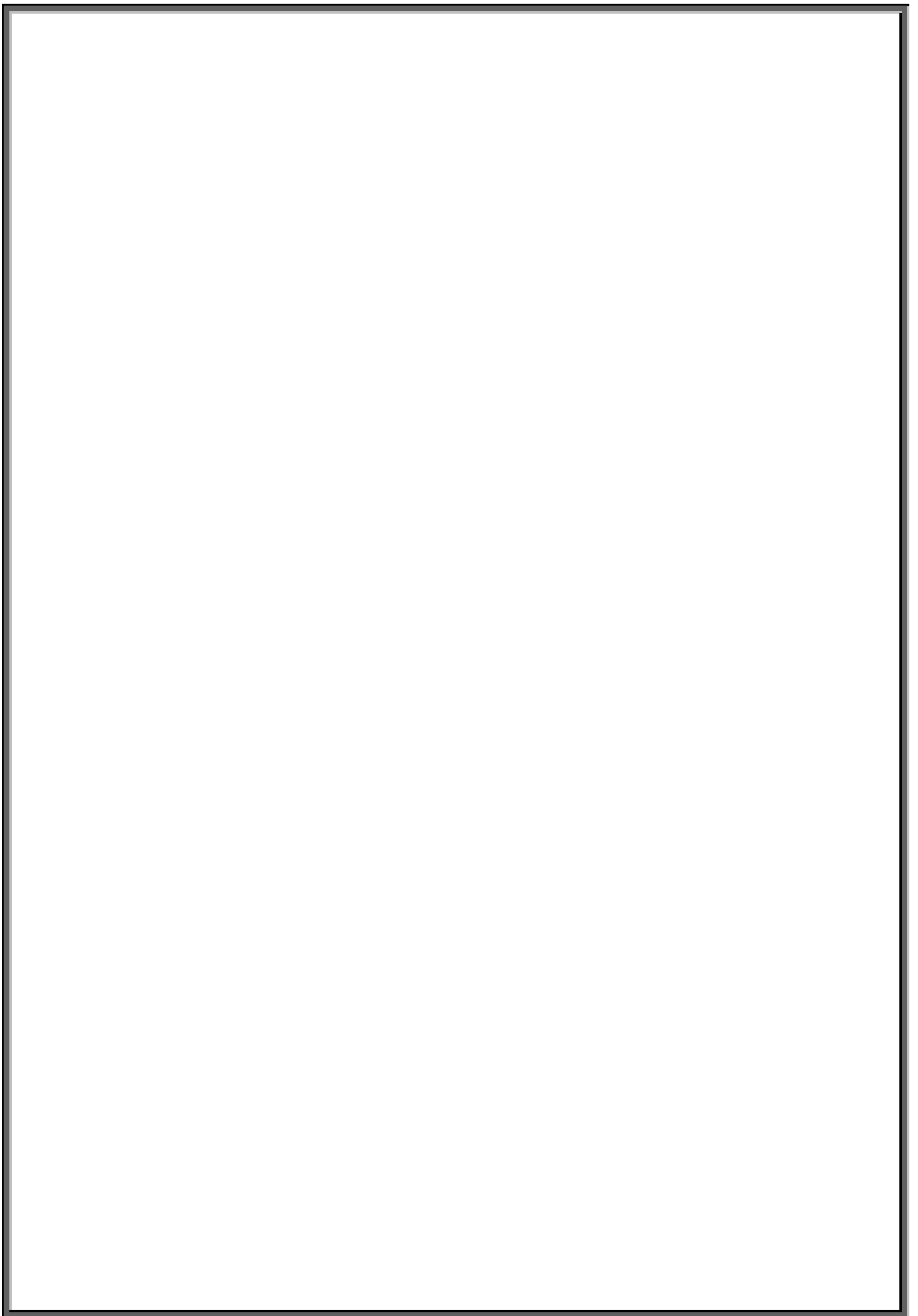
إعداد الطالب

ياسين خروبي

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: أحمد موساوي	أ. التعليم العالي	جامعة ورقلة رئيسا
د: عبد الحميد هيمة	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مشرفا
د: أحمد جاب الله	أ. محاضر (أ)	جامعة باتنة مناقشا
د: بلقاسم مالكية	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مناقشا
د: العيد جلولي	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مناقشا

السنة الجامعية: 2012/2011





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي



**المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب
(الوساطة بين المتتبي وخصومه)
للقاضي الجرجاني(392هـ)**

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير
في اللغة العربية و آدابها
تخصص: النقد العربي ومصطلحاته

إشراف الدكتور
عبد الحميد هيمة

إعداد الطالب
ياسين خروبي

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: أحمد موساوي	أ. التعليم العالي	جامعة ورقلة رئيسا
د: عبد الحميد هيمة	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مشرفا
د: أحمد جاب الله	أ. محاضر (أ)	جامعة باتنة مناقشا
د: بلقاسم مالكية	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مناقشا
د: العيد جلولي	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة مناقشا

السنة الجامعية: 2012/2011

O

(قَالَ رَبِّ ۞ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن
مِّنَ الْخَاسِرِينَ) سورة هود الآية 47

صدق الله العظيم

قول مأثور:

" إنني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه ،
إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا
لكان أفضل، ولو ترك ذلك لكان أجمل، وهذا من
عظيم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة
البشر "

(العماد الأصفهاني)

الإهداء

شكر وعرفان

يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
وعظيم سلطانك.

قال تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم) أشكر المولى
عز وجل أن منّ علينا و وفقنا لإتمام هذا
العمل وأرجوا أن يتقبله منا صدقة جارية
خالصة.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف
عبد الحميد هيمة، والذي من خلال هذا البحث اكتشفت
جانبا من إنسانيته فوجدته أباً رحيماً وأستاذاً
متفانياً وباحثاً ملماً متواضعاً، فأسال الله أن ينعم
عليه بالصحة وبدوام العافية، وطول العمر ليستمر
عطائه للأجيال القادمة.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة في قسم
اللغة والأدب العربي جامعة قاصدي مرباح، والذين
أناروا لنا درب العلم والمعرفة طوال فترة اللسانس
وصولاً إلى الدراسات العليا، متمنياً لهم التوفيق في
مسارهم العلمي والتعليمي، والمزيد من التوفيق
والنجاح.

كما لا يفوتني أن أنحني إجلالاً وتقديراً أمام
جنود الخفاء، فلولاهم ما كان هذا البحث ليبلغ
نهايته، وهم موظفي المكتبات التي زرتها في الكثير
من جامعات الوطن وبالأخص موظفي مكتبة و قسم اللغة
والأدب العربي جامعة قاصدي مرباح بورقلة، فلهم
مني ألف شكر.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من
ساعدني في بحثي هذا وقدم لي يد العون من
قريب أو بعيد.

ياسين خروبي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عرفت الدراسات المصطلحية في العقدين الأخيرين من العصر الحديث إقبالاً واهتماماً من قبل الباحثين في مختلف المجالات والعلوم، ومرد هذا الاهتمام والرواج لهذا النوع من الدراسات؛ ما وجد من ارتباط وثيق بين الفهم الواعي والعلمي الدقيق لمختلف النصوص وبين الإمام بما تكتنزه هذه الأخيرة من مصطلحات؛ فالمصطلح كان ولا يزال بمثابة الركيزة التي يتكئ عليها كل باحث جاد، له النية الصادقة في الولوج إلى غياهب المعارف والعلوم ساعياً لفك شفراتها وفهم المستغلق من مرجعياتها، ولهذا عد إغفال المصطلحات أو تخطيها في دراسة أي نص قفز على أسوار هذا الأخير، وإن كانت مفاتيح أبوابه في متناول أي دارس.

و هذا ما جعل من المصطلح ذا أهمية بالغة عند العلماء في مختلف العلوم والمجالات دون استثناء، بما في ذلك علوم اللغة؛ التي أعطت للمصطلح الأولوية من ناحية التدقيق والضبط في الاستعمال، ولا نستغرب إن كان للمصطلح هذه الأهمية، إذ هو اللغة المشتركة بين المتخصصين في حقول المعرفة المختلفة وهو أبرز مرتكزات التحليل العلمي الهادف.

ولأن كتب التراث وبالخصوص المؤلفات التي تنوعت في أصناف العلوم العربية وعلى رأسها ما ألف في النقد الأدبي القديم؛ كانت ولا تزال تجتذبنا وتستهبنا منذ فترة الليسانس فلما أتيت لنا هذه الفرصة سعينا للبحث وإعادة النظر في المبادئ والقيم في عينة من هذا التراث بما يتناسب مع مفهوماتنا الحديثة للنقد الأدبي، وهذا بعد أن تم تجاوز حركة إحياء التراث ونشره، إلى مرحلة تقييمه، واستخلاص مصطلحاته وإبراز القيم الإيجابية فيه، والتي لا تزال فاعلة في حياتنا الثقافية المعاصرة.

من هذا المنطلق تكونت عندي فكرة هذه الدراسة التي تتقب عن المصطلح النقدي والبلاغي في عينة من تراثنا النقدي، فكان كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ميداناً لبحثي ذلك أن هذا الكتاب بالإضافة إلى ما

يزخر به من مصطلحات يعد من أهم كتب النقد التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وترجع هذه الأهمية لارتباط موضوعه بشاعر عدى من أكبر شعراء ذلك القرن بل إنه أكبرهم من دون منازع وأبعدهم ذكراً وأذيعهم شهرة.

كما أن مؤلف هذا الكتاب كان متميزاً وموضوعياً فيما ناقشه من قضايا نقدية و فيما استعمله من مصطلحات، والتي تفرد في استعمالها وتميز في توظيفها-إلى حد ما- عن أسلافه من النقاد والدارسين، متأثراً بما اشتهر به من فقه في علوم الدين وتفسير القرآن وإمام بقدر هام من علوم اللغة، ومنطلقاً من منهج علمي موضوعي خطه في تأليف كتابه وهذا ما انعكس بشكل وضاحاً على ما استعمله من مصطلحات.

كما أنه من خلال ما استعمله القاضي الجرجاني من مصطلحات حاولنا إبراز جهوده وفكره النقدي وإظهار نقاط تميزه عن غيره، والتعرف على الموقف النقدي أو المذهب التي ينطلق منها والمؤثرات والمرجعيات التي أسهمت في توجيه استعماله لهذه المصطلحات وطريقة توظيفه لها، كما حاولنا من خلال دراسة المصطلح عند القاضي الجرجاني الوصول إلى معرفة مدى وعي النقاد العرب القدامى بالمصطلح النقدي، سواء كان ذلك من خلال تحديدهم لمفهومه، أو إدراك أهميته على مستوى التصور النظري له في مناهجهم النقدية.

وهو عمل يستحق - حسب رأينا- ما يبذل من جهد في سبيله، فالدرر في أعماق البحار تغري عاشقيها بالمغامرة و كتاب الوساطة طافح بالدرر واللالى، أفلا يستثير فينا روح المغامرة؟.

ومع هذا لم يكن عملنا في هذا البحث سهلاً ميسراً فقد واجهتنا بعض الصعوبات، فرضتها طبيعة المادة التي يتضمنها كتاب الوساطة، والذي طغت عليه إلى حد ما الشواهد الشعرية مقارنة بما يعقبها من تعليقات موجزة يصعب من خلالها تحديد المصطلحات المبعثرة في طيات الكتاب، كما انه وفي حدود ما اطلعنا عليه من الدراسات لم نجد دراسة حول مصطلحات مدونة من تراثنا النقدي، تم فيها التحديد الدقيق لمرات ورود كل مصطلح ومشتقاته، وإن شكل هذا عقبة، لعدم وجود نموذج نقدي به من جهة، فقد كان حافزاً ليكون لنا السبق في هذا من جهة أخرى، ضف إلى هذا أن القاضي كثيراً ما يذكر مجموعة من

المصطلحات متتالية لتقاربها في المعنى ويمثل لها بنفس الشاهد، ولأننا نتعامل مع كل مصطلح مستقل عن غيره ، فقد خلق لنا هذا مشكلة تكرار الشواهد والنصوص التي جاءت مشتركة بين أكثر من مصطلح، وقد حاولنا قدر المستطاع تجاوز هذا إلا ما ندر، واستجدنا في هذا البحث بمراجع كثيرة، شملت حقول معرفية متنوعة، فامتدت قراءتنا من بعض كتب التراث العتيقة إلى الكتب المعاصرة، حازت فيها معاجم المصطلحات على قدر كبير من وقتنا في المطالعة بالإضافة إلى رسائل جامعية ودوريات ومجلات، لاستخلاص ما يلزم بحثنا منها، و شكل هذا عقبة أخرى، فكثرة المراجع تطلب منا وقتاً طويلاً للإطلاع عليها.

و القسم الأول من هذا البحث تكونت عندي فكرته من خلال اطلاعي على كتاب (القاضي الجرجاني الأديب الناقد) للدكتور محمد السمرة، وكتاب عبد العزيز قلقيلة(القاضي الجرجاني والنقد الأدبي)، وكذلك دراسة للدكتور مالكية بلقاسم بعنوان (مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني) والمنشورة في مجلة الأثر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، بينما كان كتابا الدكتور احمد مطلوب (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) و(معجم النقد العربي القديم)، وكتاب الدكتور بدوي طبانة،(معجم البلاغة العربية)، وكتاب الدكتور محمد عزام (المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي) منطلقاً في دراسة المصطلحات، وتحديد مفاهيمها، ضف إلى هذا إطلاعي على رسالة اهتمت بهذا النوع من الدراسة للدكتور الشاهد البوشيخي والمسماة (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ)،

أما منهج البحث فقد فرضته علينا اعتبارات عدة أهمها:

أن كتاب الوساطة غني بالشواهد الشعرية والمختارات النثرية والتي إذا ما حذفنا يكاد أن يكون كله مصطلحات، ولأن هذه الدراسة مصطلحية، والهدف هو الكشف عن المعاني العامة لجملة من المصطلحات، مع الوصف لأشكال ورودها، فقد كان لزاماً اتباع منهج خاص في الدراسة وهو المنهج الوصفي مع تدعيمه بآليات وأدوات إجرائية، تسهم في إيصالنا إلى الغاية المبتغاة، ومن هذه الإجراءات؛ الإحصاء والتحليل. وعليه فقد انطلقنا في دراستنا من إحصاء كل الصفحات التي ورد بها مصطلح ما في كتاب الوساطة مع ما يتبعه من اشتقاقات شرط أن يكون لها الجذر نفسه، هذا لإحصاء يكون بتحديد عدد مرات ورود

كل مصطلح أو أحد مشتقاته إحصاءً دقيقاً، فلا نهمل أي شكل من أشكال ورود المصطلح، ثم دراسة ما وقع عليه الاختيار من المصطلحات، بالمعجم اللغوية و الاصطلاحية، شرط أن تكون دراسة مفاهيم تلك المصطلحات داخل النصوص المحصاة، ومن هنا يمكن استنباط خصائصها وصفاتها ومفاهيمها و علاقاتها وأنواعها وحتى قضاياها التي قد يثيرها القاضي.

وقد اشتمل البحث على بابين، مسبوقين بمقدمة وتمهيد.

التمهيد: تضمن دراسة موجزة تتبعنا فيها أهم المراحل التي مر بها النقد العربي بدءاً من العصر الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي و الأموي، وصولاً إلى العصر العباسي بفتراته المختلفة، وانتهاءً بالقرن الرابع الهجري الذي ألف فيه كتاب الوساطة.

الباب الأول: تحت عنوان القاضي الجرجاني وفكره النقدي تضمن دراسة انقسمت إلى فصلين، اشتمل الفصل الأول والمعنون بالقاضي الجرجاني وكتابه الوساطة على ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول لمحة عن حياة القاضي واستفسرنا في المبحث الثاني عن سر العلاقة التي تربطه بالصاحب بن عباد فيما ضمنا المبحث الثالث دوافع تأليف القاضي لكتاب الوساطة والخلاف حول تسميته وأهم المصادر التي اعتمدها القاضي في تأليفه. فيما اشتمل **الفصل الثاني:** والمسمى قضايا الفكر النقدي وقيمه في الوساطة على مبحثين سلطنا الضوء في المبحث الأول على أهم القضايا النقدية التي تضمنها الكتاب، وتناول المبحث الثاني أسس الفكر النقدي عند القاضي وقيمه التي اشتمل عليها كتابه.

الباب الثاني: كان حول المصطلح النقدي والبلاغي اشتمل على مدخل وفصلين ضمنا **الفصل الأول** معجم لأهم المصطلحات في الوساطة. فيما خلصنا في **الفصل الثاني** لأهم المرجعيات الفكرية التي أسهمت في تكوين هذه المصطلحات؛ من خلال ما عرضناه في ثلاثة مباحث؛ والتي تضمنها هذا الفصل.

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا الدراسة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر والامنتان، مرفقان بالتقدير والعرفان لمن أفزع إليه كلما ضاقت بي السبل الأستاذ المشرف: عبد الحميد هيمة، الذي كان سناً وناصحاً ومرشداً وموجهاً في هذا البحث؛ والذي دفعني بكثرة احتفائه ودعمه المتواصل إلى بذل قصار جهدي ليخرج هذا البحث في الصورة التي انتهى إليها.

كما لا يفوتني في هذا الباب أن أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة قاصدي مرباح و إلى كل من تكرم بتوجيهي وتشجيعي ومدني بالمراجع.

ورقلة في:

2011 / 10 / 08

المبحث الأول: حياة القاضي الجرجاني

على الرغم من كثرة التراجم التي تؤرخ لحياة القاضي الجرجاني، إلا أن أغلبها تضمن قدراً قليلاً من الأخبار والمعلومات عن هذا العلم، ويعد هذا إجحافاً في حق القاضي إذا ما قورنت هذه التراجم مع المكانة والشهرة التي كان يتبوؤها، وربما كانت «أوفى ترجمة له نجدها في "يتيمة الدهر" لأبي منصور الثعالبي، ثم في معجم الأدباء لياقوت الحموي الذي اعتمد اعتماداً كبيراً عليه على اليتيمة.. وكل من ترجم له غيرهما، فإنه عالية عليهما ومن هؤلاء نعرف: تقي الدين السبكي صاحب "طبقات الشافعية الكبرى" وابن خلكان في "وفيات الأعيان"، وابن العماد في "شذرات الذهب"....»¹.

فأثرنا قبل الخوض في هذه الدراسة أن نخرج على النواحي الأهم في حياة القاضي الجرجاني انطلاقاً من بيئته و مصادر علمه وأشعاره واشتغاله بالقضاء، فاسمه «علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، قاضي الري في أيام صاحب ابن عباد وكان أديباً أريباً كاملاً»²، ولا خلاف بين المؤرخين في اسم القاضي الجرجاني، ولا في اسم أبيه، ولا في نسبه إلى مسقط رأسه جرجان، وقد كناه أحمد بن يحيى (ت840هـ) بأبي الحسين، ورد هذه الكنية أحد الباحثين لكون المكنى متأخراً زمنياً، ومتفرداً بها فضلاً عن القرب في الكتابة بين الحسن والحسين³.

ولا تحدد التراجم تاريخ ولادته، ولكن أغلبها يتفق على أنه «ورد نيسابور سنة 337هـ مع أخيه أبي بكر وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر وأبو الحسن قد ناهز اللحم فسمعا معاً الحديث الكبير ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا»⁴، واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته فذكر البعض أنه توفي «سنة ست وستين وثلاثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعين سنة»⁵ وهذا

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1979م ص87

² - معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، اعتنى بنسخه وتصحيحه: د.س. مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي بمصر (د.ط) (د.ت) ج5 ص249

³ - ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة بين المتنبّي وخصومه للقاضي الجرجاني، رسالة ماجستير، إعداد: عصام كاظم، جامعة بغداد 2005م ص5

⁴ - معجم الأدباء، ج5 ص249

⁵ - وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1970م،

ما نجده على غلاف كتاب الوساطة لمحققه محمد عارف الزين والذي كتب على غلافه الخارجي (الوساطة بين المتبني وخصومه كتاب أدب ونقد ونقد لمؤلفه أبو الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة 366هـ).

بينما نجد من المحدثين من يميل إلى أن القاضي ولد (سنة 290هـ وتوفي سنة 366هـ) وعلى رأسهم سلام محمد زغلول في كتابه تاريخ النقد الأدبي والبلاغة¹، غير أن هذا التحديد لا يستند إلى أدلة، أو روايات موثقة، بل ينطلق مما وجد من اتفاق في بعض وجهات النظر النقدية وفي طريقة عرض ومناقشة بعض الموضوعات مع الأمدي، فاعتبر القاضي الجرجاني معاصراً له. وما يفند هذا الرأي أن القاضي يمكن أن يكون قد اطلع على كتاب الموازنة بعد وفاة الأمدي واستفاد من أفكاره وأسلوبه دون أن يعاصره.

فيما تجمع أغلب الآراء وهو المرجح أنه « مات بالري يوم الثلاثاء لست باقين من ذي الحجة سنة 392هـ... وحمل تابوته إلى جرجان* فدفن بها وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي بن القاسم وزير مجد الدولة وأبو الفضل العارض راجلين ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن احمد الديلمي فاستدعي من قزوین وولي قضاء القضاة بالري»².

ولم تطلعنا كتب التراجم عن شيوخ القاضي ولا عن تلاميذه، إلا ما أشار إليه ياقوت الحموي، من أن « الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه»³، وهناك من يعتبر هذا الكلام خالي من الدقة مستنداً إلى كون الفارق بين وفاة القاضي الجرجاني ووفاته عبد القاهر الجرجاني كبيراً جداً⁴. وقد لقبه الثعالبي* بالخضر، لكثرة التطوف في البلدان، بين فارس والعراق والشام، ولعل

¹ - ينظر: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، سلام محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ط)

1982م ص 356

*جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان... أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها

خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ينظر: معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د.ط)، (د.ت)، ج2 ص 119

² - معجم الأدباء، ج5 ص 249

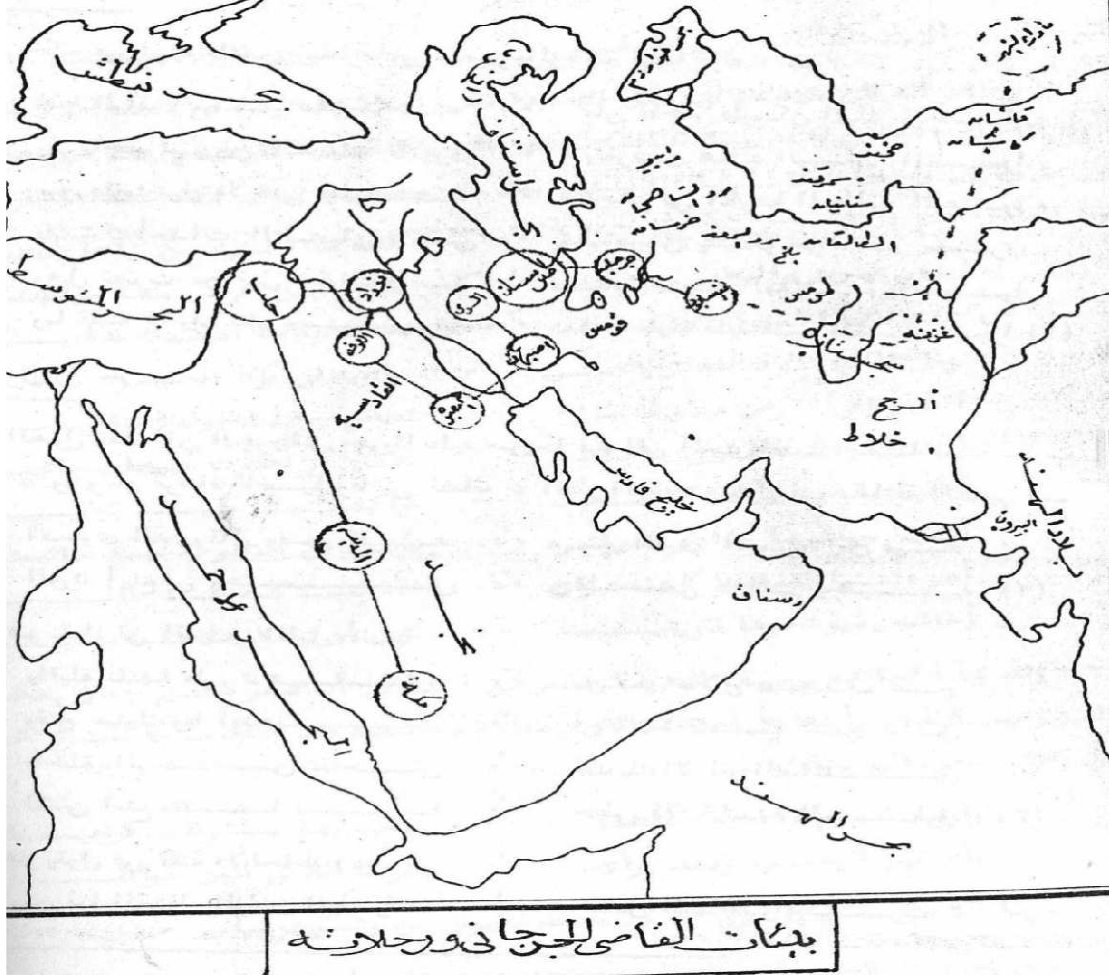
³ - المرجع نفسه، ج5 ص 249

⁴ - ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص 6

* ولد سنة 350هـ وتوفي سنة 429هـ، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، قيل له ذلك لأنه كان فراء،

ينظر: وفيات الأعيان، ج3 ص 180

القاضي استفاد من كثرة الترحال بأن « اقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً، وفي الكمال عالماً »¹؛ والخريطة التالية²، توضح رحلات القاضي والبيئات التي عاش فيها، وأثرت في توجيه فكره نتيجة لمخالطته علمائها وتأثره بثقافتها.



وهذا الترحال أثر على شخصية القاضي لتكون متميزة بين رجال عصره، فجاء عنه في اليتيمة أنه « حسنة جرجان وفرد الزمان ونادرة الفلك وإنسان حدقة العلم ودرة تاج الأدب، و فارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري، وينظم حق الإتيقان والإحسان في كل ما يتعطاها»³، وعنه يقول بعض المحدثين « كان له شأن في الفقه

¹ - معجم الأدباء، ج5 ص249

² - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص76

³ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: مفيد محمد قميحة،

دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1983م، ج4 ص3

والتفسير، والتاريخ، وهو إلى ذلك شاعر متمكن ومترسل مرموق، وناقد مبرز¹. كما يظهر هذا التميز من خلال أسلوبه الفريد في عصره: فهو بعيد عن التكلف، ودقيق في التعبير، ومنطقي التفكير، لا أثر للترام السجع، ولا للمبالغة فيه، وفيه مزاج ذكية وإيقاع عذب².

ولم يصلنا من مؤلفات الجرجاني القليلة، إلا كتاب الوساطة فيما ضاعت بقية المؤلفات التي ذكر بعضها ياقوت الحموي، بقوله إن: « للقاضي عدة تصانيف منها تفسير القرآن المجيد. كتاب تهذيب التاريخ. كتاب الوساطة بين المنتبى وخصومه³، وبالإضافة إلى هذه المؤلفات ذكر له كتاباً في الوكالة فيه أربعة آلاف مسألة، وله كتاب الأنساب الذي ذكر (برو كلمان) أن ابن خلدون انتفع به في تاريخه، كما أن له رسائل مدونة⁴.

و يعد القاضي الجرجاني شاعراً متمكناً من فنون الشعر وأغراضه، خلف ديوان شعر « يجمع بين العذوية والجزالة، وتترقق فيه شمائله السّمة الرضية، ونفسه الكريمة الأبية⁵. ومن روائع ما قال⁶:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دانا همّ هان عندهم	ومن أكرمه عزة النفس أكرما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً	من الدم، أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشرب، قلت: قد أرى	ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولا كل أهل الأرض أرضاه منعماً
ولم أقض حق العلم أن كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلماً
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لقيت، لمن لأخدمنا
أشقى به غرساً، وأجنيه ذلّة؟!	إن فابتياح الجهل قد كان أحزماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظّموه في النفوس تعظماً

¹ - التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر، سوريا، ط1، 2006م، ص265

² - ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص89

³ - معجم الأدباء، ج5ص251

⁴ - ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص88

⁵ - التفكير النقدي عند العرب، ص256

⁶ - معجم الأدباء، ج5ص250

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما
فهذه الأبيات تكشف، عن شخصية القاضي الذي يميل بنفسه إلى الوحدة وتجنب مخالطة
الناس، وهذا النفور والعزلة على الناس؛ وجد عنه القاضي بديلاً ترتاح له نفسه ويطمئن له
باله، وهو الإنكباب عن قراءة الكتب، فيقول:¹

ما تطعمتُ لذة العيش حتى صِرْتُ للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء أعزّ عندي من العـ لم فلم ابتغي سواه جليساً؟
إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

كما أن القاضي لم يقتصر في شعره على غرض معين، بل نظم في كل الأغراض فنجد
أن « شعره كثير وطريقه فيه سهل»²، فنظم في الوصف والغزل والمدح والحنين وغيرها
من الأغراض، وفي كل أشعاره نلمس مدى نبهه وعزوفه عن التذلل لأصحاب المراكز وترفعه
عن التفاهات التي شاعت في عصره:³

وَقَالُوا: اضْطَرِبْ فِي الْأَرْضِ، فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ فَقَلْتُ: وَلَكِنْ مَطْلَبُ الرِّزْقِ ضَيْقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حُرٌّ يُعِينُنِي وَلَمْ يَكْ لِي كَسْبٌ، فَمِنْ أَيْنَ أُرْزَقُ

ونرى في مجمل أشعاره كيف يثور على زينة الحياة الدنيا سخطاً على ما يصحبها من
مواقف الهوان، فلينظر كيف يعتذر من انقباضه عن أخويه، وكيف يلمح برفق ولطف وكيف انس
بالوحدة والوحشة هرباً من مواقع الظنون، وكيف جعل نفوره من الناس سجية فطر عليها⁴.

وبالإضافة إلى كون القاضي فقيهاً وأديباً وشاعراً... فقد كان قاضياً تولى القضاء فحُمدَ
فيه، واشتهر به حتى لقب بالقاضي، واشتغاله بالقضاء وكثرة تعامله مع أطرافه؛ سواء كانوا
أطراف الخصومة أو رجال القضاء مثله، كان له التأثير الإيجابي على الجرجاني، إذ مكنه
من أن يختط منهجاً جديداً في الأدب العربي عامة والنقد بالخصوص، تمكن من خلاله أن
يتعرض لأهم القضايا التي أثارها أسلافه النقاد، بطريقة مخالفة للمعتاد متميزة عن المعهود
في كتب النقد

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 100

² - وفيات الأعيان، ص 280

³ - المرجع نفسه، ص 279

⁴ - ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص 9

المبحث الثاني: علاقة القاضي الجرجاني بالصاحب بن عباد

لما وجدنا أن ذكر اسم القاضي الجرجاني في أغلب التراجم التي اطلعنا عليها من التراث وحتى الكتب الحديثة؛ غالباً ما يكون لصيقاً أو مرادفاً لاسم الصاحب بن عباد* ارتأينا أن نفصل في هذه العلاقة التي تربط بين الرجلين، وهذا الطرح فرضته علينا أمور تتعلق بهذه الدراسة، فقد وجدنا أن الجرجاني ما كان ليشتهر وتذيع أخباره بين الناس؛ لولا توليه القضاء في الري، وتوليه القضاء كان الفضل فيه بنسبة كبيرة للصاحب بن عباد، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الكثير من الدارسين يجعلون من السبب الرئيس لتأليف القاضي لكتاب الوساطة - بالإضافة إلى أسباب أخرى- هو الرد على رسالة الصاحب بن عباد (الكشف عن مساوئ المتنبى).

فقد كان فضل الصاحب بن عباد كبيراً على القاضي الجرجاني، ولم يكن القاضي جاحداً لهذا التفضل، إذ لم يترك مناسبة إلا وذكر فيها الصاحب وهذا ما تكشف عنه أشعاره التي خصص جزءاً كبيراً منها لصديقه الصاحب.

فبعد العوز والنقص في المال والحاجة التي عاشها عبد العزيز الجرجاني، لأنه ترفع عن استجداء المال من السلاطين والأمراء وأولياء الأمور؛ عكس ما فعل بعض علماء عصره الذين قبلوا الذل والهوان طمعاً في نيل الرضى وحفنة من المال، فظل هذا التعفف وعزة النفس سمة لازمت شخصية القاضي طول حياته، ومع هذا لم يفقد الأمل في أن يأتي صاحب سلطان، يعرف قدر العلماء ويعطيهم حقهم.

ولم يطل الأمر حتى تحقق هذا الأمل» في شخص الصاحب بن عباد، الذي سمع بذكره ونقل له أدبه، فدعاه إليه. وهنا بدأت في حياة أبي الحسن صفحة جديدة احتفظت بكل خصائص الحياة الأولى ما عدا الشكوى من الزمان، لأنه في خدمة الصاحب حصل على ما يكفيه من المال، ووجد عنده ما تمناه من إكرام وإعزاز للعلم والعلماء»¹.

فكان أول ما ولأه الصاحب من أعمال أن جعله قاضياً عن بلده، ثم أراد أن يحتفظ به إلى جواره، فعينه قاضياً للقضاة في الري وبقي في هذا المنصب- حتى بعد وفات الصاحب- ويجمع الذين ترجموا له أنه كان قاضياً نزيهاً حكيماً، ولا يزيدون على ذلك².

* كان مولده في ذي القعدة سنة 326هـ، ووفاته في صفر 385هـ، ينظر: معجم الأدباء، ج1 ص274

¹-القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص101

²-ينظر: المرجع نفسه، ص101

فكانت الأشعار هي السبيل الوحيد للقاضي ليبيدي امتنانه وشكره لصديقه عن ما انعم عليه به، فله في الصحاح بن عباد:¹

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بإفراد المعاني والفت خواطرك الألفاظ بعد شرداها
وان نحن حاولنا اختراع بديعة حصلنا على مسروقها ومعادها
وله فيه قصيدة يهنئه فيها بالبرء من المرض:²

بك الدهر يبدي ظله ويطيب ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أفي كل يوم للمكارم روعة لها في قلوب المكرمات وجيب
تقسمت العلياء جسمك كله فمن أين فيه للسقام نصيب
إذا ألمت نفس الوزير تألمت لها أنفوس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ولكن في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت وعما قليل تبتدي فتصوب

وإن كانت هذه المشاعر، فيضاً مما يكنه القاضي للصحاح من حب وتقدير، فقد كان الصحاح بن عباد يبادل القاضي هذه المشاعر؛ حتى أنه لا يطيق على فراقه، وعن هذا حدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي فقال: « سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول انصرفت يوماً من دار الصحاح وذلك قبيل العيد فجااني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذين البيتين:

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقة
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه»³

فكان ما يلقاه القاضي من حفاوة في الاستقبال وإكرام في الضيافة عند قدومه للصحاح بجرجان، أكثر مما يلقاه في سائر البلاد، مما جعل القاضي يستعفي الصحاح من فرط

¹ - معجم الأدباء، ج5ص257

² - وفيات الأعيان، ج3ص280

³ - معجم الأدباء، ج5ص251-252 وينظر: يتيمة الدهر، ج3ص236

احتقائه به وتواضعه له، فرد عليه ابن عباد بقوله:¹

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدته من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس وأعزه ما نيل في الوطن

وهذا يجعلنا نتساءل عن شخصية صاحب التي فرضت نفسها بين كبار العلماء وأصحاب السلطات في عصره، فهو « أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني؛ كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب "المجمل" في اللغة، وأخذ عن أبو الفضل ابن العميد، وغيرهما»²، هذا بعض مما أورده ابن خلكان عن شخصية ابن عباد، وهي شهادة له بالمكانة الرفيعة والاقترار والتمكن في العلوم والشهرة بين علماء عصره، وربما هذا ما جعل ياقوت الحموي يفصل في ترجمته للصاحب بن عباد ويتوسع حتى فاقت عدد الصفحات التي خصصها له الستين (60) صفحة من الجزء الخامس (من الصفحة 273 إلى الصفحة 342) وهي من أكبر التراجم التي خصصها لعلم من الأعلام. ومرد هذا أن صاحب بن عباد كان ذا فضلٍ على أهل العلم ممن عاصروهم وكان القاضي الجرجاني من بينهم، فقال عنه أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة « ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرد بالغايات في المحاسن، وجمع أشات المفاخر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله و مساعيه، ولكني أقول: هو صدر المشرق، وتاريخ المجد، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق»³.

وبالإضافة لكون صاحب وزيراً ذا سلطان ونفوذ، فقد كان عالماً وناقداً وأديباً متمكناً خلف العديد من التصنيفات منها « كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات. ديوان رسائل عشر مجلدات. كتاب الكافي رسائل. كتاب الزيدية. كتاب الأعياد وفضائل النوروز. كتاب الإمامة في تفضيل علي بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدمه. كتاب الوزراء لطيف. كتاب

¹ - معجم الأدباء، ج5ص252

² - وفيات الأعيان، ج1ص228

³ - يتيمة الدهر، ج3ص225 وينظر: وفيات الأعيان، ج1ص228

عنوان المعارف في التاريخ. كتاب الكشف عن مساوئ المتنبى...»¹.

فقد كتب الصاحب في أغلب الفنون والعلوم و المعارف، فمن اللغة والشعر إلى السياسة وخفايا الوزارات وصولاً إلى التاريخ وغير ذلك مما لا يتسع الحال لذكره، وربما ما يهمننا في هذا كله ما كتبه عن المتنبى في رسالة الكشف، والتي يجمع الكثير من المحدثين أنها كانت « وليدة حقد وتحامل على المتنبى لعامل شخصي أثار الناقد على الشاعر، ذلك أن المتنبى أعرض عن الصاحب ولم يلقيه كما لقي ابن العميد، وكان يأمل أن ينزل المتنبى عليه ويقصده، فيمدحه بقصيدة، ولكن المتنبى ترفع عنه، فحمل له هذا في صدره، ونفس عن ذلك في رسالته هذه»².

ورسالة الكشف عبارة عن « رسالة صغيرة في الكشف عن مساوئ المتنبى(لا يتعدى عدد صفحاتها 26 صفحة طبعة مكتبة القدس بالقاهرة 1346هـ) »³، صاغها الصاحب بن عباد بطريقة تمكنه من تتبع معائب المتنبى وشعره، فنجده لا يفوت فرصة إلا وحاول الحط من قدر المتنبى والإنقاص من قيمة أشعاره، فيجيب أحد أعوانه سأله عن المتنبى، بقوله: « إنه بعيد المرمى، وشعره كثير الإصابة في نظمه، إلا أنه ربما أتى بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء...وقد بلينا بزمن يكاد المنسم فيه يعلو الغارب، وبلينا بأغبياء أغمار قد اغتروا بممادح والجهال لا يضرعون لمن حلب الأدب أشطره، ولا سيما علم الشعر فهو فوق الثريا وهم تحت الثرى، وقد يوهمون أنهم يعرفون، فإذا تكلموا رأيت بهائم مرسنة، وأنعاماً مجلفة»⁴.

وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين الرجلين اختار القاضي في وساطته قول الحق والصراحة في إبداء الرأي من أجل أن ينصف المتنبى ويعيد الحق إلى نصابه، وهذا على الرغم من العلاقة التي جمعتهم بالصاحب بن عباد؛ الذي كتب رسالته المشهورة في تتبع سرقات المتنبى وهفواته، يقول محمود السمرة: « فإن تأليفه للوساطة يدل على خلق رفيع ونفس أبية، وإرادة حرة، دفعته إلى أن يقول ما يعتقد، وإن خالف ذلك رأي إنسان عزيز عليه

¹ - معجم الأدباء، ج1ص315-316 وينظر: يتيمة الدهر، ج3ص236

² - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص276

³ - النقد المنهجي عند العرب، ص219

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص276

في حياته ومماته»¹، وهذا يدل على أن الجرجاني فضل قول الحق واختار الإنصاف على المجاملة، وهي جرأة تحسب له في هذا الموقف.

وربما كان حديثنا عن العلاقة التي تربط بين الرجلين، منفذاً لنا لمعرفة جانب آخر من شخصية القاضي الجرجاني، الذي يضع كل الأمور في ميزان العدل قبل إبداء الرأي فيها فنجده يضع علاقة الصداقة التي تربطه بالصاحب بن عباد جانباً، ليبيد رأيه في مسألة يرى أنه قادر ليس على إنصاف الطرف المظلوم فيه فحسب بل ربما إقناع الخصوم بوجهة نظره التي قد يكونوا قفلوا عليها.

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 112-113

المبحث الثالث: دوافع تأليف الكتاب وتسميته ومصادره

أولاً: دوافع تأليف الكتاب:

مع احتدام المخاصمات والمناقشات النقدية والأدبية، و بلوغ التفكير النقدي عند العرب أعلى درجات النضج والاكتمال « ظهر المتنبي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، أتى بظاهرة جديدة كانت مصدر حيرة للذوق والنقد معاً؛ ذلك أن المتنبي شاعر يجمع بين القديم والمحدث، يأتي بالجزالة والبيان على خير ما كان يجيء به القدماء، ويغوص في معاني الحياة الإنسانية غوصاً بعيداً، يضاف إلي ذلك أنه كان يُضمن شعره فلسفة القرن الرابع واحترار النقاد أمام هذه الظاهرة الجديدة، وربما أدى ذلك إلى القضاء على الصراع الذي كان يدور حول القديم والمحدث»¹.

كما أن المتنبي عُرف بتعصبه للعرب، وكرهه للأعاجم من الروم والفرس وغيرهم، كما جمع في شعره بين الأسلوب العربي الرصين، وبين المعاني المتأثرة بالثقافة الفكرية في عصره، فكان من الطبيعي أن يرضى عنه أنصار الثقافة الجديدة، وأن يسخط عليه المتعصبون لغير العرب².

ولهذه الأسباب وغيرها أُلِّفت العديد من الرسائل والكتب النقدية والأدبية، التي حاولت الإطاحة بأبي الطيب وإظهار مساوئ شعره، وفي مقدمتها (الرسالة الحاتمية في مآخذ المتنبي المعيبة) للحاتمي، والتي يبدو أن الحاتمي كتبها وهو في حالة انفعال وتحامل على المتنبي إذ يلحظ القارئ لرسالته أن روح الناقد الممزوجة بالغضب تبدو واضحة فيها³، وربما يرجع سبب هذا الغضب إلى كون المتنبي ترفع عن الحاتمي ولم يحسن استقباله عند زيارته له مما جعل الحاتمي يغتاظ ويحقد على المتنبي، كما نجد رسالة (الكشف عن مساوئ المتنبي) للصاحب ابن عباد وسبب تأليفها لا يختلف عن سبب تأليف الحاتمي لرسالته ضف إلى ما ذكرنا مؤلف آخر كان لابن وكيع التتيسي* بعنوان (المنصف في الدلالة على سرقات

¹ - قضايا النقد القديم، محمد صايل حمدان وآخرون، دار الأمل، الأردن، ط1، 1990م، ص88

² - ينظر: النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص118

³ - ينظر: قضايا النقد القديم، ص89

*أصله من بغداد ومولده بتتيس، كانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة393هـ، ووكيع لقب جده

أبي بكر بن خلف، ينظر: وفيات الأعيان: ج2ص104 وص106-107وينظر: اليتيمة، ج1ص434

المتنبي) والذي تتبع فيه سرقات المتنبي » وقسمها إلى عشرين قسماً، منها عشرة وجوه تغتفر فيها السرقة لأنها تدل على الفطنة»¹ ، وكتاب (التنبيه على رذائل المتنبي) لأحمد بن محمد الإفريقي المعروف بالمتيم*، كما اشتهر في تتبع سرقات المتنبي كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي) للعميدي « ولعل دافعه إلى كتابة رسالته، ما شعر به من إعجاب الناس في البيئة المصرية بالمتنبي، فقد أقر المعجبون بأبي الطيب أنه " أشعر شاعر " عرفته العربية... كما أن المتنبي أنكر أبا تمام والبحتري، وأنكر أنه سمع بهما، وهذا ما جعل العميدي يحاول الحط من قدره»².

وقد أثار هذا الزخم من المؤلفات التي تحاملت على المتنبي ورامت الحط من قدره، تياراً آخر من النقاد والمؤلفين لتبني وجهة نظر مخالفة لما ذكرناه، فظهرت مؤلفات تناولت شعر المتنبي بنظرة تميزت بالاعتدال و التوفيق بين التحامل والمدح، وعلى رأس هؤلاء نجد الثعالبي في كتابه(أبو الطيب ماله وما عليه) والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) هذا الأخير-القاضي الجرجاني- استطاع في كتابه أن يقتصر للمتنبي ويرد له قدرماً مما حاول أعدائه أن يسلبوه، لكن الوسطية في الموقف التي اعتمدها القاضي أسلوباً في كتابه تجعلنا نتساءل عن الدوافع والأسباب الحقيقية التي دفعت القاضي لتأليف الوساطة؟ و عند البحث وجدنا أن أغلب الآراء حول دوافع القاضي لتأليف الوساطة يمكن أن تقسم إلى دافعين:

أولاً: الرد على رسالة صاحب بن عباد:

تجمع أغلب التراجم التي تؤرخ لحياة القاضي الجرجاني أن سبب تأليفه لكتاب الوساطة هو الرد عن رسالة الوزير صاحب بن عباد، ومن السابقين لهذا الرأي الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر، حين يؤكد أنه « لما عمل صاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتابه(الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره)، فأحسن

¹ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 281

² قال عنه الثعالبي: رأيت به بخاري شيخاً رث الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقه، وكان يتطيب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر. وله كتاب أشعار الندماء وكتاب الانتصار للمتنبي وغيرهما، ينظر: يتيمة الدهر: ج4 ص 178

وينظر: معجم الأدباء، ج2 ص 80

² - قضايا النقد القديم، ص 95

وأبدع وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخره في الأدب وعلوم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح وطار في البلاد من غير جناح...»¹. مما يعني أن الوساطة جاءت رداً على رسالة ابن عباد، وإلى مثل هذا ذهب ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء، حين يورد قول الثعالبي الذي ذكرناه².

وحديثاً ساند هذا الرأي الكثير من النقاد، فنجد طه إبراهيم يذكر في ثنايا حديثه عن النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع للهجرة، أن سبب تأليف القاضي للوساطة هو الرد على صاحب بن عباد ورسالته معتبراً أن « أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي الرّي في أيام صاحب بن عباد... كان شاعراً من المجدين، وكاتباً فحلاً...وهو صاحب كتاب الوساطة بين المتنبّي وخصومه، ألفه تعقيباً على رسالة صاحب ليحكم في قضية أبي الطيب بالعدل، ولذكر ماله وما عليه»³.

ثانياً: طبيعة شخصية القاضي:

إن طبيعة شخصية القاضي المتشعبة بالقضاء، كانت دافعاً فرض نفسه على الجرجاني انطلاقاً من الجو النقدي السائد في عصره، والذي سادت فيه خصومات نقدية حول مجموعة من الشعراء كان المتنبّي من أبرز هذه الشخصيات التي دار حولها قدرٌ كبيراً من الجدل بين مادحٍ وذامٍ، وهنا ظهر القاضي بشخصيته الوسطية التي تميل إلى الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه، فيقول مصطفى عبد الرحمن « أن القاضي أنس من نفسه استعداداً ليُدلي برأيه فيما نشب من خصومة بين المتعصبين للمتنبّي(أمثال الصابي، والضبي، وأبي بكر الخوارزمي وابن جني) والمتعصبين عليه(أمثال صاحب والحاتمي، وأبي هلال العسكري) ويقول كلمة حق في مسألة هو متمكن منها، محيط بأبعادها ملم بأقطارها»⁴.

وهذا يتفق إلى حد كبير مع رأي محمد السمرة حين يقلل من أهمية رسالة صاحب في دفع القاضي لتأليف الوساطة إذ يعتبر أن « الحياة النقدية في العصر كانت تدفع أبا الحسن

¹ - يتيمة الدهر، ج4ص4-5

² - ينظر: معجم الأدباء، ج5ص254

³ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص144

⁴ - في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص167

إلى تأليف كتابه، ولم يكن كتاب صاحب سوى حافز من حوافز عدة...»¹.

وهذا ما أشار إليه عيسى العاكوب عندما اعتبر أن القاضي « قصد من تأليفه أن ينصف هذا الشاعر فيلحقه بطبقته من المحدثين كبشار وأبي نواس وأبي تمام، وهو على هذا النحو لا يكون من صف أشياح المتنبي الذين فضلوا شعره على أشعار معاصريه جميعاً، ولا من صف مبغضيه الذين لم يروا له حسنة البتة...»².

وليس ببعيد عن ما قلناه عندما نجد من يرفض الفكرة التي تعتبر أن رسالة الكشف هي السبب الوحيد والمباشر في دفع القاضي لتأليف الوساطة « فلم يؤلف الجرجاني وساطته لما كتب صاحب رسالته بل لم تكن رسالة صاحب هي القشة التي قصمت ظهر البعير وأفرطت حملة »³، فالقاضي لم يكن متوجهاً بكتابه إلى صديقه صاحب بن عباد، والدليل ما يذكره عبد العزيز قلقيلة في كتابه (القاضي الجرجاني والنقد الأدبي)* حين يؤكد ضالة ما في كتاب الوساطة من رسالة الكشف فلم يشترك الجرجاني مع صاحب إلا في ثلاثة عشر بيتاً من شعر المتنبي⁴.

وربما تتفق الآراء في الدافع الثاني لتأليف القاضي للوساطة، حول إنصاف المتنبي بين شعراء عصره، و من المرجح أن صفة العدل والإنصاف ما كانت لتوجد في شخصية لم تمتهن القضاء وتعرف ألم الإحساس بالظلم وإلصاق التهم من غير حجج وبراهين، فكانت طبيعة شخصية عبد العزيز الجرجاني المنتسبة بالقضاء دافعاً له لتأليف الوساطة حسب رأبي.

وعموماً نستطيع القول أنه يكفينا أن نطلع على مقدمة كتاب الوساطة حتى نستشعر دوافع القاضي لتأليف الوساطة وهذا حين يقول: « ومازلت أرى أهل الأدب منذ أن ألحقتني الرغبة

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 111

² - التفكير النقدي عند العرب، ص 267

³ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، عبدالعزيز قلقيلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ط)، 1973م ص 7
* أصل الكتاب رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير لجامعة القاهرة سنة 1964م بعنوان: القاضي علي عبد العزيز الجرجاني و النقد الأدبي من إعداد: عبده عبد العزيز قلقيلة، إشراف بدوي طبانة، نشرت بعنوان: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1973، وبمعنوان: النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني مكتبة الأنجلو المصرية ط1، القاهرة 1976

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 121، وينظر: المسائل الصرفية والنحوية في الوساطة، ص 13

بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم في أبي الطيب أحمد بن الحسن المتنبّي فئتّين: واحدة تطنب في تقرّضه، وتلقى مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم، وأخرى تروم إزالته عن رتبته وتحاول الحط من منزلة بواه إياها أدبه، لذا تجتهد في إخفاء فضائله وإظهار معايبه وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته، وكلا الفريقين ظلم له أو للأدب فيه...»¹.

ومع هذا ظلت العاصفة النقدية حول المتنبّي قائمة، حتى بعد تأليف الوساطة رغم تمكن صاحبها لحد بعيد من إيجاد نقاط توافق بين طرفي الخصومة.

ثانياً: تسمية الكتاب ومصادره:

تناقلت التراجم التي أرخت لحياة القاضي الجرجاني بيتين مدح بهما عدد من أهل نيسابور القاضي الجرجاني وكتابه الوساطة، مما لم يترك مجالاً لشك حول نسبة هذا الكتاب للقاضي وفي البيتين قالوا:²

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت داره شاحطة

كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطة

كما يورد محمد عارف الزين في مقدمة تحقيقه لكتاب الوساطة، أبياتاً لعبد الله بن طلاع البغدادي يقول فيها:³

كتاب الوساطة أخلق به بتبر على فضة يكتب

رغبت به حين ألفيته نفيساً به ذو النهى يرغب

وأعجبنى حسن تأليفه وما كان من حسن يعجب

حوى نكتاً من فنون البيا ن عن فضل صاحبها تعرب

إذا عنّ هم فطالعته أرى الهم عن خاطري يعزب

فأتعبت نفسي بتصحيحه ومثلي على مثله يتعب

وآليت ما دمت حياً بأن أكون له دائماً أصحاب

ورغم هذا الاتفاق حول نسبة كتاب الوساطة إلى القاضي الجرجاني؛ فقد حدث اختلاف بين

¹ - ينظر: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي،

المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م ص12

² - معجم الأدياء، ج5 ص251

³ - الوساطة بين المتنبّي وخصومه، القاضي الجرجاني، عني بطبعه وتصحيحه: محمد عارف الزين، مطبعة العرفان

صيدا 1331هـ، ص2 (كلمة الناشر).

المؤرخين حول تسمية هذا الكتاب فذكر مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة) في كتابه (كشف الظنون) أن اسم الكتاب (الوساطة بين المتبني وخصومه في نقد شعره)¹، لكن الثعالبي في يتيمة الدهر يذكر أن تسميته (الوساطة بين المتبني وخصومه في شعره)²، فيما ذكر إسماعيل باشا البغدادي في كتابه (هدية العارفين) أن للقاضي «... تهذيب التاريخ. ديوان شعر. كتاب الوكالة. الوساطة بين المتبني وخصومه و نقد شعره»³. لكن سبق البعض من هؤلاء صاحب معجم الأدباء وذكر في ما ذكر من تصنيفات للقاضي الجرجاني أن له كتاب في النقد اسمه (الوساطة بين المتبني وخصومه)⁴، ولا يختلف هذا عن ما قاله ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان عندما قال أن للقاضي « كتاب الوساطة بين المتبني وخصومه»⁵.

وقد أخطأ البعض فنجد من سماه (الوساطة بين المتبني وأبي تمام) والسبب في هذا الخطأ أن بعض خصوم المتبني كانوا يزعمون أنه ينكر أبا تمام ولا يعترف بشعره⁶. لكن يميل أغلب الدارسين إلى أن تسمية الكتاب هو (الوساطة بين المتبني وخصومه) وهذا ما تكشف عنه أغلب الدراسات التي عالجت متن هذا الكتاب، أما في ما يخص «الزيادات التي أضافها الثعالبي وغيره زيادات مخصصة أو موضحة وهذه ليس مكانها عنوان الكتاب بل خطبته كما جرت بذلك عادة المؤلفين، لكن المؤرخين بعد أن قرؤوا مقدمة الوساطة، بل بعد أن قرؤوا الوساطة كلها، وعرفوا مضمونها أرادوا أن يحددوا مجال الخصومة وموقف الجرجاني منها بكلمة أو كلمتين مع المحافظة على الاسم الأصلي فأضافوا "في شعره" أو "في نقد شعره" أو "ونقد شعره" أو "ونقد الشعر" ...»⁷.

¹ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، عنى به: محمد شرف الدين ورفعت بيلك الكليسي، دار

إحياء التراث، بيروت لبنان (د.ط) (د.ت) ج2ص2006

² - ينظر: يتيمة الدهر، ج4ص4

³ -هدية العارفين لأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف استانبول، دار

إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط)، 1951م ج1ص684

⁴ - ينظر: معجم الأدباء، ج5ص251

⁵ -ينظر: وفيات الأعيان، ج3ص280

⁶ -ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص187

⁷ - المرجع نفسه، ص 187-188 وينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص11

ولم ينتهي الخلاف عند عنوان الكتاب بل امتد إلى خلاف حول سنة تأليفه، والتي لم تحدد بدقة، فمن المحدثين من يؤخر سنة تأليف الوساطة إلى (385هـ)¹، أي أن القاضي أنهى تأليف الوساطة قبل سبع سنوات من وفاته إذا ما اعتبرنا أنه توفي سنة (392هـ) فيكون قد تشبعت روحه وفكره بالقضاء لاشتغاله به لفترة طويلة، وكان هذا واضحاً كما يرى محمد مندور في الروح الغالبة على مادة الوساطة فهي « روح القاضي العادلة المتواضعة المثبتة في كل ما كتب، وهو الذي اشتغل بالقضاء طول حياته، فأشربت نفسه لغة الفقه التشريعي فضلاً عن روحه ونزعتة، فالناظر في أقواله لا شك يحس في نغماتها من تواضع لم نألفه في لغة الأدباء »²، وما يرجح هذا الرأي أن الجرجاني لم يذكر الصاحب إلا مرة واحدة كانت عند الاستشهاد ببيته عندما قال:

« وقول إسماعيل بن عباد:

غمائم هن فوق رؤوسنا عمائم لم يذلن بالخلق»³.

مما جعل البعض يصر على أنه لم يؤلف الوساطة في حياة الصاحب ذلك أن « حياة الجرجاني التي انتهت إلى منصب قاضي القضاة، يغلب أن يكون انصرف صاحبها أولاً إلى علوم الدين والتأليف فيها مثل كتاب "الوكالة" و"التفسير" و"التاريخ" ليصل بذلك إلى أماله وليدعم مركزه العلمي والاجتماعي، حتى إذا اطمأن على ذلك بتوليته منصب قاضي القضاة بعد موت الصاحب تطلعت نفسه إلى إرضاء نزعاته الأدبية، وإشباع ميوله الفنية والاستجابة إلى هتاف روحه الشاعرة بإنصاف أبي الطيب»⁴.

وصاحب هذا الرأي- القائل بتأليف الوساطة بعد (385هـ)- يورد أكثر من خمس أدلة أو إثباتات لتأكيد وجهة نظره، فبالإضافة إلى ما ذكرناه يعتبر أن القاضي قد تريت واطلع على كل ما ألفه أنصار المتتبي وخصومه بعد وفاته، واستوعب ما وصلنا وما لم يصلنا من آثار هذه المعارك الأدبية حول المتتبي؛ فتركها تختمر في عقله ثم انفعلت بها نفسه إذ رأى فيها جور عن الحق وبعداً عن العدل وإسراف في الخصومة وشططاً في النقد⁵.

¹-القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 227

²- النقد المنهجي عند العرب، ص 253

³- الوساطة بين المتتبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ص 49

⁴- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 228-229

⁵-ينظر: المرجع نفسه، ص 228

ورأي محمد السمرة مخالف لما ذكرنا إذ يرى أن الجرجاني ألف وساطته « بعد وفاة المتنبي (354هـ)؛ لأن النيسابوري صاحب بيتي الشعر، يخاطبه بالقاضي، وهو لم يصر قاضياً إلا بعد سنة (366هـ) وهي السنة التي أصبح فيها صاحب بن عباد وزيراً¹. ومن جهة أخرى يجمع أغلب الدارسين أن الجهد الذي بذله القاضي الجرجاني في تأليف كتابه، سعى من خلاله إلى تحقيق غاية وهي رد الظلم بالدفاع عن المتنبي وشعره، وجزء من المادة التي تضمنها كتابه، جمع شتاتها ممن سبقه في التأليف، خاصة ما تعلق بالمتنبي وما ثار حوله من حركة نقدية، وما نتج عنها من مؤلفات نقدية وبلاغية خاصة حول موضوع السرقات الشعرية، واستفادة القاضي من غيره ليس عيباً بل قد « أبان فيه عن فضل عزيز واطلاع كثير ومادة متوفرة»²، وكما يقول بول فاليري: « لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة»³، ولعل أهم مصدر نهل منه القاضي هو كتاب (الموازنة بين الطائيين) والذي يعد منبعاً أساسياً استفاد منه القاضي الجرجاني في بناء مادة كتابه الوساطة، مما جعل إحسان عباس يؤكد « أن دين الجرجاني للآمدي كبير لأنه قد تمثل آراءه بحذق وذكاء دون أن يذكر الآمدي مرة واحدة»⁴. ولن نطيل التفصيل في هذا العنصر لأننا خصصنا له في آخر هذه الدراسة حيزاً للتوسع فيه.

وهكذا كان اتفاق وإجماع حول نسبة كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، وخلاف حول دوافع تأليفه و سنته، وحسبما طالعنا كان لمحمد السمرة وعبد العزيز قلقيلة الفضل الكبير من بين المحدثين الذين وضعوا مؤلفاً خاصاً حول هذا الكتاب وصاحبه، في حصر هذا الخلاف وتقريب وجهات النظر، وإعطاء فكرة أكثر وضوحاً عن مضمون هذا الكتاب وظروف تأليفه.

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، ص 112

² - وفيات الأعيان، ج 3 ص 281

³ - الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ط 9، 1981م ص 17

⁴ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط 4، 2006م ص ص 314

المبحث الأول: أهم القضايا النقدية في الوساطة

عالج القاضي الجرجاني العديد من القضايا النقدية في كتابه الوساطة، قدم فيها آراء ووجهات نظر، كان في الكثير منها مخالفاً لسابقه و معاصريه من النقاد. وتطرقة لهذه القضايا لم يأت من فراغ، فقد جره إليها انقسام نقاد عصره في نظرتهم للمتنبى يقول: « إن حَصَمَ هذا الرجل فريقان»¹، فريق يناصر الشاعر فيعجب بكل ما يقوله وفريق يتصيد أخطأه ويتغاضى عن حسناته، فقد كان المتنبى محور جدل، كما وصفه الثعالبي بقوله: « وقد ألفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده و رديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبحار كلامه وعونه، وتفرقوا في مدحه والقدح فيه والنفح عنه، والتعصب له أو عليه»². ولهذا يجمع الكثير من الدارسين على أن كتاب الوساطة من « أكثر الكتب اعتدالاً وأكثرها بعداً عن التعصب للشاعر أو عليه، والعنوان يمثل بحق الدراسة قلباً وقالباً، إذ أن المؤلف لم يبخسه حقه، ولم يحاول إنزاله من مكانته اللاتقة به بين فحول الشعراء العربية عامة و المعاصرين له خاصة، كما أنه لم يدع له العصمة، فأثبت ما وقع فيه من عيوب وهنات، التي شأنه فيها شأن كل الشعراء المحدثين»³، فالاعتدال والوسطية سمة غالبية على كل ما يصدره الجرجاني من أحكام بل وتظهر حتى في تعليقاته وتعقيباته على بعض القضايا التي أثارها، فنجدته يتعامل مع كل الشعراء على حد سواء فيقول: « فإن عثرت له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عذرا صادقاً، أو رخصة سائغة فإن أعوز قيل: زلة عالم، وقلّ من خلا منها وأي الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نسّم به إذا أردنا حقيقة أحد وأي عالم سمعت به ولم يزل ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهف ولم يسقط! »⁴. وفي ما يلي نبحت في أبرز القضايا التي تناوله القاضي في الوساطة.

¹ - الوساطة، ص52

² - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1ص190

³ - معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، أحسن مزدور، مكتبة الأدب، القاهرة، ط2، 2008م ص176

⁴ - الوساطة، ص13

أولاً: قضية السرقات الشعرية:

ما يتفق عليه الكثير من الدارسين، في حديثهم عن طريقة تناول القاضي الجرجاني لقضية السرقات الشعرية، أنه قد استفاد مما بدأه أسلافه في تناولهم لهذه القضية- خاصة الأمدي- والتي كانت مثار خلاف بين الشعراء والنقاد منذ العصر الجاهلي واستمر الحال إلى عصر تأليف القاضي لكتاب الوساطة؛ ولم تنتهي الكتابة عن هذا القضية حتى عصرنا الحالي، وإن تغيرت المفاهيم والمصطلحات مع مرور الزمن.

وإن كان من سبق القاضي في الحديث عن هذه القضية قد أطال وفصل، وأحاط بجوانب من هذا الموضوع، غير أن الباب ترك مفتوحاً لكل ناقد بصير له القدرة على الإضافة، فجاء القاضي الجرجاني و طور آراء سابقيه وأمعن التدقيق والتحليل فيها.

ويمكننا القول إن موضوع السرقات الشعرية قد شغل أكبر نسبة من صفحات الوساطة فمن (385صفحة) تضمنها كتاب الوساطة، حاز موضوع السرقات على (179صفحة) أي ما يعادل النصف تقريباً، كان لسرقات المتنبي منها الحصة الأكبر، إذ خصص لها القاضي (155صفحة) من مجموع الصفحات التي خصصها للسرقات.

وقبل حديثه عن سرقات المتنبي تطرق القاضي لما أدعي من سرقات في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام، من خلال اطلاعه على ما ألفه أحمد بن عمار حول سرقات أبي تمام وتتبع بشر بن يحيى لسرقات البحتري و ما ادعاه المهلهل بن يموت على أبي نواس من سرقات، كما هو الحال عندما زعم أن قول أبي نواس:

إليك أبا العباس من بَيِّنٍ مَنْ مَشَى عليها امتطينا الحَضْرَمِيَّ المُلْسَنًا

مأخوذ من قول كثير:

لهم أُرُّ حُمُرُ الحَوَاشِي يَطَوَّنَهَا بأقْدَامِهِم في الحَضْرَمِيَّ المُلْسَنِ¹.

وقد استشهد القاضي بالكثير من الأبيات التي زعم هؤلاء أنها مسروقة، فيما كان رأي القاضي مخالفاً لذلك كون أغلبها لا يتشابه لفظاً ولا معنىً، وإن « كان هذا سرقة فالكلام كله سرقة»²، فقد وجد القاضي أن الكثير ممن سبقوه يتهمون الشعراء بالسرقة دونما دليل أو برهانٍ مقنع، وهذا ما دفعه ليعتبر أن السرقة « باب يحتاج إلى إنعام الفكر، وشدة البحث

¹ - ينظر: الوساطة، ص 13

² - المصدر نفسه، ص 182

وحسن النظر، والتحرّز من الإقدام قبل التبين، والحكم إلا بعد الثقة، وقد يغمض حتى يخفي وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرباً بالنقد...»¹.
و كشف السرقة حسب رأي القاضي ليس بالأمر اليسير السهل فهو أمر « دقيق وخفي بحيث لا يدركه إلا المتخصص المتعمق الذي يكون على صلة دائمة بالتراث»²، فالكثير من النقاد اكتفوا في تتبعهم بالظاهر من البيت الشعري فلم يخرجوا عن السرقات التي وجدوها في اللفظ و المعنى، فيما نبه الجرجاني إلى نتيجة نظنها غير مسبوقه في رؤيته للسرقات؛ إذ نجده يقرر بعض الصفات التي ينبغي للناقد الجهد أن يتسم بها وذلك حين يقول: « ولست تعدّ من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبته ومنازله »³.

وفي بداية حديثه عن سرقات المتبني، لا يخفي القاضي إفادة هذا الأخير من معاني سابقه، ويرد على خصمه - خصم المتبني - بأنه « يجهل السرّ الحقيقي، الذي يصح أن يتهم صاحبه بهذه النقيصة... لأن السرّ من الأمور التي يعز تبينها إلا على الناقد المميز»⁴، فالقاضي يجعل من الوصول إلى معرفة مواضع السرقة « باب لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه وأكمله»⁵.

وتعدّد طرق السرقة واختلافها من شاعر لأخر، سبب في صعوبة التعرف عليها، وهذا ما جعل القاضي يحدد أنواع السرقة بقوله:«... فتفصل بين السرقة والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه، والمبتذل الذي ليس احد أولى به، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه وأحياه السابق فاقتطعه..»⁶، فالقاضي ذكر مجموعة من المصطلحات حصر فيها أنواع السرقات « على أننا لا نعرف بالضبط مدلول هذه المصطلحات في ذهن القاضي لأنه لم يفصل لنا

¹ - الوساطة، ص 180

² - منهج النقد الأدبي عند العرب، الثويني حميد آدم، دار الصفاء لنشر والتوزيع (د.ط.) (د.ت)، ص 92.

³ - الوساطة، ص 161..

⁴ - التفكير النقدي عند العرب، ص 281

⁵ - الوساطة، ص 161

⁶ - المصدر نفسه، ص 161

فيها القول أو يحدد لنا-على الأقل- معناها المتعارف عليه»¹، ومع هذا فقد مثل للبعض من هذه المصطلحات، فاعتبر أن "الغصب" يكون باجتماع اللفظ والمعنى معاً في السرقة ونقل البيت أو المصراع، كما في قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وقول الأفوه الأودي:

إنما نعمة قوم متعةٌ وحيأة المرء ثوب مستعار

ويعلق بقوله: « وإن كان هذا ذكر الحياة، وذلك ذكر المال والولد، وكان أحدهما جعل وديعة والآخر عارية»².

ويضيف القاضي لهذه المصطلحات مصطلحات أخرى، اعتمدها الشعراء لإخفاء سرقاتهم فكان النقل والقلب والنقض والتأكيد والزيادة وغيرها من المصطلحات التي ذكرها القاضي وكان أكثر توضيحاً لمدلولها ومعناها مع كثرة التمثيل لها، كتمثيله للسرقة التي قد تكون « من الأمثال المأثورة فهو يذكر أن الجاحظ حكى عن بعض العلماء أنه كان يقول في دعائه اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال) فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال:

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ»³

وهناك مواضع حددها القاضي تمتنع فيها السرقة ومنها:

أ- المعاني المشتركة التي لا ينفرد بها شاعر دون آخر يقول: « فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدنر، والجود بالغيث والبحر، والبليد البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار...أمور متفرقة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم... حكمت بأن السرقة عنها منتفية»⁴، ويورد الكثير من الأمثلة عن المعاني المشتركة التي لا تعد سرق كقول جرير:

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غِدَاةَ الْوَعَى تَجَانُ كِسْرَى وَقَيْصِرَا

¹ - مشكلة السرقات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط) 1958م ص123

² - الوساطة، ص176

³ - مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص130-131

⁴ - الوساطة، ص 161.

وقريب منه قولُ أبي تمام:

أَبْدَلْتُ أَرُوسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْيَةِ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطِيَّ مُدَّعَا

يلق القاضي عن البيتين: « وقد عد هذا من سرقات أبي تمام، ولست أراه كذلك؛ لأنه ليس أكثر من رفع الرؤوس على القنا، وهذا معنى مشترك لا يسرق»¹.

ب- كما أن المعاني المخترعة التي « تداولت واستفاضت على ألسن الشعراء حتى صارت كالمعاني المشتركة لا سرقة فيها، وإن كان الفضل فيها للأول»²، فليس كل ما يكره الشعراء سرقة وبخاصة في الأوصاف « كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبرد، و الفتاة بالغزال في جيدها وعينيها، والمهارة في حسنها وصفائها»³، وصورة المبتدع المخترع تتضح في قول لبيد:

وَجَلَّ السُّيُؤُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء، قال امرؤ القيس:

لَمَنْ طَلَّلُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِي

يلق القاضي: « وأمثال ذلك مما لا يحصى كثيرة...وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه»⁴.

ج- توارد الخواطر واتفاق الهواجس من أهم النقاط التي أشار لها القاضي في حديثه عن السرقات والتي لا يجوز بسببها اتهام الشعراء خاصة المحدثون منهم بهذه النقيصة، فقد يتوافق بيت لشاعر محدث مع بيت لأحد سابقيه، فيتهم بالسرقة « ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده، كأن التوارد عندهم ممتع، واتفاق الهواجس غير ممكن»⁵.

د- أسماء المواضع والألفاظ المتداولة المشهورة لا معنى لسرقة فيها، وقد أشار القاضي لهذا في رده على المهلهل بن يموت في ما ادعاه من سرقات على أبي نواس⁶، ومثل للألفاظ المشهورة بقول الشاعر:

¹ - الوساطة، ص 196-197

² - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 196

³ - الوساطة، ص 162

⁴ - المصدر نفسه، ص 163-164

⁵ - المصدر نفسه، ص 164

⁶ - ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص 127

تَرَى العَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ من لَمَعَانِهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا تُقَلُّ جَفُونَهَا

من قول الأبيرد:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأمر لي فيه وإن عظم الأمر

ويعلق القاضي: « ولا أراها اتفاقاً إلا في الاستعفاء، وهي لفظة مشهورة مبتذلة، فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك»¹.

هذه تقريباً أهم المواضع التي ذكرها القاضي وتمتع فيها السرقة، وإن كان قد أشار إلى مواضع أخرى ولم يفصل فيها لأن من سبقه من النقاد قد أطال الحديث عنها.

وتحديد القاضي لهذه المواضع يضعنا أمام استفهام يطرح حول ماهية السرقة الحقيقية عند القاضي، إن امتنعت السرقة في كل هذه المواضع ومن هنا نجد أنه يرى أن السرقة البينة التي يعاب بها الشعراء تقع في أمرين:

أ- المعاني الخاصة التي ينفرد بها الشاعر ويسبق غيره إليها، هذه الخصوصية تأتي للمعنى من انفراد أحدهم بلفظ يستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى إليها دون غيره²، فالسرقة « لا تقع ولا يحكم بوقوعها في الألفاظ إذا لم تكن خاصة- لأنها منقولة ومتداولة، ولا في المعاني الخاصة إذا استفاضت وتداولت»³.

ب- كما تقع السرقة باجتماع الألفاظ على معانٍ واحدة باتفاق الوزن والقافية والروي، وكلما قل التوافق في هذه الأمور قل احتمال وقوع السرقة، ولذلك يرى القاضي أن « الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه وعن رويّه و قافيته، فإذا مرّ بالغبي العُقل وجاهدهما أجنيبين متباعدين، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما والوصلة التي تجمعهما»⁴.

وتفطن الجرجاني إلى « أمر مهم كان سابقوه قد أشاروا إليه، وهو تمويه المعنى المسروق وإخفاء السرقة بإعمال الصنعة الشعرية الماهرة»⁵، وذلك حين يقول: « وأول ما يلزمك في

¹ - الوساطة، ص 182

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 163

³ - في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 181

⁴ - الوساطة، ص 178.

⁵ - التفكير النقدي عند العرب، ص 282

في هذا الباب ألا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه، دونما ما كمن ونضج عن صاحبه»¹.

وإن كان الكثير من النقاد الذين سبقوا القاضي يرون أن الشعراء المحدثين وجدوا المعاني سهلة خالصة دون عناء؛ لأن من سبقهم من الشعراء شق طريقها ويسر سبل الوصول إليها فما كان على المحدثين إلا تطويرها والتحسين فيها².

لم يتركوا للمحدثين إلا قدرًا قليلاً من المعاني يجدون أنفسهم مضطرين إلى تناول معاني سابقهم، ومن ثم يدعو إلى التماس العذر لهم ونفي المذمة عنهم يقول: «ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا، أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة؛ لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها...ومتى أجهد أحدنا نفسه، و أعمل فكره، وأتعب خاطره وفكره في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثلاً يغض من حسنه»³.

ومن خلال كلام القاضي تتضح لنا نقطة هامة وهي أن القاضي «لا يؤمن بهذه الفكرة إيماناً يجعله لا يرى للمحدثين ابتداءً في أي معنى، بل إننا نجد على العكس من ذلك- يؤمن بأن القدماء قصرت بهم ثقافتهم عن التوصل إلى بعض المعاني، فكان أن توصل إليها المحدثون، فهو إذن مؤمن بتأثير العصر الزمني وبوجود الأصالة الفنية بين المحدثين»⁴.

ومع كل ما أثاره القاضي حول موضوع السرقات نجده يمنع نفسه ويطالب غيره من النقاد بعدم اتهام أي شاعر بسرقة، فيقول: «ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة»⁵.

ومن خلال تتبعنا لطريقة القاضي ومنهجه في التعامل مع قضية السرقات عموماً وسرقات

¹ - الوساطة، ص 175

² - ينظر: عيار الشعر، محمد احمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1982م، ص 15

³ - الوساطة، ص 185

⁴ - مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص 127

⁵ - الوساطة، ص 185

المتبني بصفة خاصة، وجدنا أنا القاضي لم يقف عند ما انتهى إليه أسلافه في معالجتهم لقضية السرقة في الشعر، بل أضاف كما وضحنا- ما ميزه وجعله مرجعاً للباحثين في هذه الموضوع، والأمور التي ذكرها القاضي في كتابه عن السرقات لا نجد لها مجتمعة عند رجل قبل القاضي أو بعده.

ثانياً: قضية الطبع و الشعر المطبوع:

يقول محمود السمره عن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني: « وكلمة الطبع في هذا النص تقابل ما يعرف في النقد الحديث بالموهبة»¹، ويؤكد هذا عبده قليله حين يعتبر أن القاضي يقصد بالطبع ما نسميه الآن بالاستعداد²، وعليه فإن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني يقابله في أيامنا هذه ما يسمى بالموهبة الشعرية أو ما يصطلح عليه البعض بالملكة الإبداعية التي يتفرد بها بعض المبدعين في مختلف الميادين، مما يجعلهم متميزين عن غيرهم بدليل أننا نجد في البيئته الواحدة « الرجل منها شاعراً مقلداً وابن عمه وجار جانبه ولصيق طنبه بكيناً مُفحماً، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر والخطيب أبلغ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء»³، ولأن الشعر والشعراء كانا محور الاهتمام في النقد العربي القديم، ومع اختلاف طرق تقييم الأشعار من ناقد إلى آخر، اعتبر القاضي الجرجاني أن أجود الأشعار هي الأشعار المطبوعة، والتي تماثل حسب رأيه شعر البحتري الذي يقول عنه: «ومتى أردت أن تعرف ذلك عينا، وتستثبته مواجهة، فتعرف فرق ما بين المطبوع والمصنوع، وفضل ما بين المنقاد والعصي المستكره فاعمد إلى شعر البحتري»⁴، ثم يورد أمثلة على كل غرض، من شعر البحتري المطبوع كقوله عن عفو خاطره:⁵

ردي على المشتاق بعض رقاد	أو فاشركيه في اتصال سهاد
أسهرته حتى إذا هجر الكرى	خليت عنه ونمت عن إسعاده
وقسا فؤادك أن يلين للوعه	باتت تقلقل في صميم فؤاده
ولقد عززت فهان طوعاً للهوى	وجنبته فرأيت ذل قياده

¹ -القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص132، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص320

² - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص274

³ - الوساطة، ص23

⁴ - المصدر نفسه، ص28

⁵ - المصدر نفسه، ص32

مَنْ مُنْصِفي من ظالم مَلَكْتُهُ وِدِّي ولم أملك عسيرَ وِداده

ويعلق الجرجاني عن هذه الأبيات وغيرها مما أورده من شعر البحتري بقوله: « هل تجد معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل ترى صنعة وإبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً! »¹. وإن كانت الموهبة (الطبع) عند القاضي ضرورية إلا أنها حسب رأيه غير كافية لوحدها لخلق الإبداع الشعري، فلا بد لها من أن تدعم بالرواية ذلك أن « حاجة المحدث إلى الرواية أمس، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر؛ فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب، إلا رواية؛ ولا طريق للرواية إلا السمع؛ و ملاك الرواية الحفظ»²، ومن هنا يمكن القول أن « الطبع (بمعنى الموهبة) هو الذي يجعل هذا شاعراً وأخاه لا صلة له بالشعر كما أن الطبع يقيم التفاوت بين شاعر وشاعر في القبيلة الواحدة »³.

ومن هنا بنا القاضي تصويره القائم على أن الشعر ووقعه في النفس لا يعتمد على ما فيه من البديع والصنعة، بل بالطبع والصدق كما هو الحال في شعر البحتري « لأنه أقرب بنا عهداً، ونحن به أشد أنساً، وكلامه أليق بطباعنا، وأشبه بعاداتنا؛ وإنما تألف النفس ما جانسها، وتقبل الأقرب فالأقرب إليها. فإن شئت أن تعرف ذلك في شعر غيره كما عرفته في شعره، وأن تعتبر القديم كاعتبار المولد فأنشد قول جرير:

ألا أيُّها الوادي الذي ضمَّ سيُّله إلينا نوى ظمياء حُبَّيت وإدياً
إِذَا ما أَرَادَ الحَيُّ أن يَتَفَرَّقُوا وَحَنَّتْ جِمالُ الحَيِّ حَنَّتْ جِمالِيَا
فِيَا لَيْتَ أنَّ الحَيَّ لم يَتَزَيَّلُوا وَأَمْسَى جَمِيعاً جِيرةً مُتَدَانِيَا
إِذِ الحَيُّ فِي دارِ الجَمِيعِ كَأَنَّمَا يَكُونُ عَلِينَا نِصفُ حَوْلٍ لِيَالِيَا
إلى اللَّهِ أَشْكُو أنَّ بِالْعَوْرِ حاجَةٌ وأُخْرَى إِذا أَبْصَرْتُ نَجْداً بَدَا لِيَا »⁴.

فالطبع صفة الشاعر المبدع الذي يستسلم لموهبته ويقوم بما تيسره له قدراته، دون عناء وإجهاد للفكر والخاطر.

¹-الوساطة، ص33

²-المصدر نفسه، ص23

³- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص320

⁴- الوساطة، ص34

ثالثاً: قضية التكلف في الشعر:

من أكثر ما عيب به الشعراء المحدثون في النقد القديم، تكلفهم لغة ليست هي لغة عصرهم « كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره، فقال:

فكأنما هي في السَّماعِ جنادِلُ وكأنما هي في القلوبِ كَوَائبُ
فتعسف ما أمكن وتغلغل في التعصب كيف قدر...»¹.

من هنا كان للجرجاني رأي خاص في قضية الصنعة والتكلف في الشعر، كونه يرى أن المحدث لما أراد « الإغراب والإقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تصنع، مع التكلف المقت...وربما كان ذلك سبباً لطمس المحاسن...»². فالتكلف صفة ممقوتة معيبة عند القاضي، ذلك أنها « صفة قد يتصف بها الأديب ولكنها ترتبط بادعاء الإنسان ما لا يحسنه، أو ما ليس فيه أصلاً. ومما له دلالة في هذا الصدد أن يجئ التعبير عن صفة الطبع في الأديب بصيغة اسم المفعول (المطبوع) على حين يأتي التعبير عن صفة التكلف لديه بصيغة اسم الفاعل (المتكلف) مما يشير إلى إحساس بفطرية الصفة الأولى، وكون الصفة الثانية وليدة للافتعال والتعمد»³.

فالقاضي يرى أن الكثير من الشعراء المحدثين قلدوا واقتدوا بشعر القدماء، فأثر هذا على أشعارهم التي غلب عليها التكلف وخرجت عن دائرة المطبوع، وقد مثل لذلك بأشعار مجموعة من الشعراء، على رأسهم أبي تمام، فالعجب كل العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله:⁴

أَيَّامَنَا مَا كُنْتَ إِلَّا مَوَاهِبَا وَكُنْتَ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا
سَنُغْرِبُ تَجْدِيداً لِعَهْدِكَ فِي الْبُكََا فَمَا كُنْتَ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَائِبَا
وَمَعْتَرِكِ لِلشُّوقِ أَهْدِي بِهِ الْهُوَى إِلَى ذِي الْهُوَى نُجَلَّ الْعَيُونَ رَبَائِبَا
كَوَاعِبِ زَارَتْ فِي لِيَالٍ قَصِيرَةٍ يَخِيلُنْ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا

¹ - الوساطة، ص26

² - المصدر نفسه، ص25-26

³ - دراسات في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، مكتبة الأدب، القاهرة، ط2، 2006م، ص174

⁴ - الوساطة، ص27-28

سَلْبَنَ غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجِهِ تَظَلُّ لُئْبَ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا
وَجَوْهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبٌ تَوَقَّدُ لِلْسَارِي لَكَانَتْ كَوَاكِبَا

ويعلق القاضي الجرجاني على هذه الأبيات بقوله: « كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغث وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغرر في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك الغرر! وما عليه لو حذف نصف شعره، فقطع ألسن العيب عنه ولم يشرع للعدو بابا في ذمه! »¹.
ومن أجل أن يؤكد هذا القول، وينفي عن نفسه صفة التهجم على أبي تمام يورد مقاطع تراوح فيها شعره بين مطبوع حسن أفسده أبو تمام بأن أضاف إليه شعراً متكلفاً رديئاً، فنجده يقول عن هذا التحول في القصيدة الواحدة: « وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه فينظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة، حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعرَ طريق، ويتعسف أخشن مَرَكَب، فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طَلَاوَةَ ما قد قدّم...
ومنه قوله:

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الفرق على النفوس دليلاً
قالوا الرحيل، فما شككت بأنها نفسي من الدنيا تريد الرحيل
الصبر أجملُ غير أن تلذذاً في الحب أحرى أن يكون جميلاً
فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخُسْرَوَانِي، والوشى المنمنم، حتى يقول:
لله دُرْكٌ أَيُّ مَعْبَرٍ فَفَرَّةٍ لا يوحشُ ابْنَ البِيضَةِ الإِجْفِيلاً
أو ما تراها لا تراها هزة تشأى العيون تَعَجْرُفًا وَدَمِيلاً
فنغص عليك تلك اللذة، وأحدث في نشاطك فترة»².

ولهذا نجد الكثير من النقاد وعلى رأسهم القاضي الجرجاني يربطون بين لغة الشعر ومسألة الطبع والتكلف « فالشعر المطبوع هو ما انسجم فيه المعجم مع طبيعة العصر والبيئة، فتكون الغرابة مع البداوة، والسهولة مع التحضر، وهذا في كل عصر. وإذا اختلف هذا المقياس فكانت لغة الحضر بداوية، عد ذلك تكلفاً»³.

وكلام القاضي عن التكلف متشعب في وساطته، لارتباطه بالكثير من القضايا، وربما

¹ - الوساطة، ص 28

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 28-29

³ - معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 71-72

يكون ما ذكرناه قسط قليل من كثير ذكره القاضي.

رابعاً: قضية عمود الشعر ومذهب البديع:

استطاع القاضي أن يحدد بدقة الأركان أو الأسس التي يقوم عليها عمود الشعر عند العرب « وعمود الشعر هو ما عبّر عنه بطريقة العرب، أو تقاليدهم في نظم الشعر، وهو بهذا عبارة عن مجموعة من المبادئ الشعرية التي تلخص جماليات الشعر العربي القديم وبالتالي يشكل عمود الشعر معياراً جمالياً يقوم على أساسه شعر المحدثين»¹، فإن كان يُراد بعمود الشعر الأسس الجمالية التي ينهض عليها بناء القصيدة عند العرب القدامى، فإن هذه الأسس هي السبيل الوحيد للتمييز بين مذهب الشعراء القدامى، الملتزمين بعمود الشعر ومذهب المحدثين ممن تحفل أشعارهم بألوان البديع، فنجد القاضي يفاضل بين الشعراء « في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، ويده فأعزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع في الاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض»²، فقد ذكر القاضي ستة أسس يبني عليها عمود الشعر عند العرب وهي: (شرف المعنى وصحته-جزالة اللفظ واستقامته- وإصابة الوصف- ومقاربة التشبيه- وجزالة البديهة- وكثرة الأمثال والشوارد) ومن خلال هذا التحديد يمكن القول إن القاضي « جمع خصائص القصيدة العربية القديمة قبل أن تمتد إليها يد التجديد التي ذهبت بمعظم تلك الخصائص كما ندركه في شعر المولدين»³، ولا يكتفي القاضي بهذا بل يمثل لعمود الشعر و ما يحتفي به من حسن ومتانة وقوة وإمام بالأركان التي ذكرناها سابقاً، بقول بعض الأعراب:⁴

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار
 تمّتع من شميم عرارٍ نجدٍ فما بعد العشيّة من عرارٍ
 ألا يا حبذا نَفحاتُ نجدٍ ورِيّاً رَوْضه غِبّ القِطارِ
 وعيشك إذ يحلُّ القوم نجداً وأنت على زمانك غيرُ زارٍ

¹ - المرجع السابق، ص 146

² - الوساطة، ص 38

³ - في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 180

⁴ - الوساطة، ص 38

ويعلق عن هذه الأبيات بقوله: « فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المأخذ، قريبُ التناول»¹.

وفي المقابل نجد أن القاضي يرى أن البديع الذي يأتي في أشعار القدامى كان يأتي عن عفو خاطر ومن دون قصد، ولهذا يزيد الكلام بهاء ويكسوه رونقاً، فلما تكلفه المحدثون وأسرفوا فيه سقط بكلامهم إلى الركافة وزاده غثاثة وبرودة.

يقول: « وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدهم، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، وتكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط»². ثم يمثل للبديع بقول أبي تمام:

دعني وشرب الهوى يا شرب الكاس	فإنني للذي حسيتُهُ حاسي
لا يوحشئك ما استعجلت من سقمي	فإن منزله من أحسن الناس
من قطع ألفاظه توصيل مهلكتي	ووصل الحاظه تقطيع أنفاسي
متى أعيش بتأمل الرجاء إذا	ما كان قطع رجائي في يدي ياسي

ويعلق بقوله: « فلم يخلُ بيت منها من معنى بديع...فقد جمعت على قصرها فنوناً من الحسن، وأصنافاً من البديع»³.

وقد أورد القاضي الجرجاني الكثير من الأمثلة عن ألوان البديع أو فنونه، كما مثل لعمود الشعر ببعض أشعار القدامى وحتى المحدثون كأبي تمام، ولعله يهدف من وراء هذا التمثيل إلى إعطاء صورة واضحة للمحدثين كي يحتذوا بها، ثم يحذرهم من سوء استخدام البديع.

خامساً: قضية العلاقة بين الشعر والدين:

تطرق الجرجاني لهذه القضية ودعا إليها وهو في صدد الدفاع عن المتبني، والصلة بين الأدب والدين أو الفن عامة والأخلاق الدينية؛ شغلت العرب والأمم الأخرى منذ القديم، ومن المدهش أن نجد القاضي يجهر برأيه حين يفصل بين الدين والشعر، ويصر على أنه إذا ورد في الأدب ما يعارض الدين، فإن هذا لا يضر الأدب، ولا يحط من قيمته الفنية، ومثل

¹ - الوساطة، ص 38

² - المصدر نفسه، ص 39

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 37

هذا الرأي يدل على أن الرجل كان جريئاً يقول ما يعتقد، وهو رأي يجبن كثيرون عن المجاهرة به حتى في أيامنا هذه¹. والأمر الذي دفع الجرجاني للتطرق إلى هذه القضية هو إنقاص بعض النقاد من قيمة شعر أبي الطيب، بسبب بعض أبياته التي تدل على فساد عقيدته يقول: « والعجب ممن ينقص أبا الطيب، لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله:

يَنْرَشَّفَنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

وقوله:

وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِي أَنَّهُ أَبُوكُمْ وَإِحْدَى مَالِكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ»².

وينطلق دفاع القاضي الجرجاني عن المتنبي في هذا الشأن من المبدأ الأول الذي يشكل أساس كتاب الوساطة؛ وهو مبدأ المساواة بين الشعراء، وتوخي العدل في إصدار الأحكام النقدية على أشعارهم³. ولهذا نجده يورد أشعاراً لأبي نواس وغيره من الشعراء ثم يعقب عليها بقوله: « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمَحَى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدت الطبقات، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزُّبَيْرِي وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكماً خرساً، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»⁴، وعلى هذا الأساس ينكر القاضي الناقد، صنيع من ينقص من قيمة شعر المتنبي ويتحامل عليه بسبب أبيات يوهم ظاهرها مخالفة أصل من أصول العقيدة الصحيحة في وقت يتغاضى عما هو أشدُّ منها عند شعراء آخرين، ويذكر أمثلة عن فساد عقيدة مجموعة من الشعراء الإسلاميين على قرار ديك الجن وأبي نواس الذي يقول:⁵

يَا عَاذِلِي فِي الدَّهْرِ ذَا هَجْرٍ لَا قَدْرَ صَحٍّ وَلَا جَبْرٍ

¹ - ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 160

² - الوساطة، ص 62

³ - ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 280

⁴ - الوساطة، ص 63

⁵ - المصدر نفسه، ص 63

ما صح عندي من جميع الذي يذكر إلا الموت والقبر
فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهر

وقوله:¹

فدع الملامة فقد أطعت غوايتي ونبذت موعظتي وراء جداري
ما جاءنا أحد يُخبر أنه في جنة مُذ مات أو في نار

وقوله:

فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهر

ويعقب القاضي الجرجاني على أبيات أبي نواس بتساؤل كيف لناقد أن يحتمل لأبي نواس هذه الأبيات، فيما يقلل من قيمة شعر أبي الطيب وينقص منه لمثلها. وهذا رأي جريء عجيب من قاضي القضاة الشافعي الراسخ القدم في الإسلام، كما يقول مندور. ويستخلص القاضي الجرجاني من الموقف الإسلامي العملي من الشعر الماجن ما يمكن أن يسمى (إبعاد الدين عن الشعر). ذلك أن الموقف الديني للشاعر لم يؤثر في الأحكام الجمالية على شعره. وعليه فإن الحكم الديني على الشعر شيء، والحكم الجمالي عليه شيء آخر؛ فقد يخالف الشاعر مبادئ الدين، بل قد يكون كافراً تماماً، وتظل لشعره رغم ذلك منزلته وقيمه².

وفي حديثه عن ضعف العقيدة عند المتنبي، يتفق الثعالبي مع رأي القاضي من ناحية ويخالفه من ناحية أخرى حسب ما يفهم من كلامه حين يقول: « على أن الديانة ليست عاراً على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، ولكن الإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً، ومن استهان بأمره، ولم ذكره ذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه، فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته³ ».

والحق أننا لسنا مع القاضي فيما ذهب إليه من الفصل بين الدين والشعر، وذلك لأنه لا بد للشعراء أن يسيروا في ركب الدين حتى يدخلوا في الطائفة المستثناة من الشعراء في

¹ - النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 120-121

² - ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 280-281

³ - يتيمة الدهر، ج1 ص 210

قوله تعالى: (﴿مَنْ يَشَأْ يُسِّرْهُ وَمَنْ يَشَأْ يُعْضِرْهُ إِنَّ رَبَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ لَعِينٌ﴾¹)

وكذلك لا يصح أن ينظر إلى الشعر على أنه ليس إلا ألفاظاً وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولا يليق أن نعهده من وحي الشياطين، فيكون لهواً وعبثاً في الحياة لا غير، وإنما يجب أن يكون الشعر إلهاماً شريفاً، ووحياً صالحاً، وعملاً نافعاً في هذه الحياة ويدعو إلى النهوض ويجهر بالإصلاح، ويوقظ النفوس النائمة هداية فينفعون ولا يضررون ولا يكونون في هذه الحياة أبواقاً للشياطين².

سادساً: قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين:

من أهم القضايا التي افتتح بها القاضي الجرجاني وساطته قضية القدماء والمحدثين فنجده يعرض « لجوانب هذه الخصومة عرضاً منهجياً، ويبدو هذا واضحاً من مقدمته التي حاول المؤلف من خلالها، أن يؤكد على حياده النقدي تجاه طرفي هذه الخصومة»³. فيستغرب من موقف بعض علماء عصره الذين يتعصبون للقديم على حساب الحديث فأراد أن يتخلص من هذا التصور المثالي الذي أحاط بالشعر القديم، بسبب كونه شعر قديم فقط ودون مراعاة أسباب أخرى تنظر لشعر على أنه فن من فنون القول، ولا يستطيع منصف أن ينكر أن العبارة التالية للقاضي الجرجاني تشي بمثل هذا الاعتقاد: « ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقاد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليه، ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»⁴.

¹ - سورة الشعراء، الآية 227

² - ينظر: في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 174

³ - الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

ط 1995، 3 م ص 109

⁴ - الوساطة، ص 14

يريد الجرجاني أن يخلع شيئاً من ثوب المثالية الذي أحاط بالشعر القديم، دون المسارعة لرفض القديم لقدمه انتصاراً للحديث جملة ولشاعره خاصة¹. ولكي يكون منصفاً في أحكامه فقد حدد عناصر الفن الشعري والتي من خلالها يمكن الحكم على جودة الأشعار مهما كان زمانها، فيقول: « الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه »²، ومن هنا يمكن القول إن الجرجاني قد تمكن من وضع معايير يمكننا من خلالها أن نميز ونفاضل بين شاعر و آخر وبالتالي: « فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ولا تفضيل في هذه القضية بين القديم والمحدث إلا أن حاجة المحدث إلى الرواية أمس »³.

بل إن القاضي الجرجاني ذهب إلى « أبعد من هذا في توضيح أن تعظيم أنصار القديم للقديم لا يقوم على أساس منطقي سليم »⁴، ومن أجل تأكيد هذا الطرح يورد القاضي الكثير من القصص التي تؤكد أن النقاد و حتى اللغويين والرواة، كانوا يسمعون البيت ويستحسنونه فإذا عرفوا أنه لمحدث أنكروه، ذلك أنهم وجدوا أن نقضهم لقولهم أهون عليهم من الاعتراف بالإحسان لشاعر مولد⁵.

وإن كان هذا لا ينطبق على كل المتعصبين للقديم فمنهم من يشيد بالمحدث إذا أجاد وأحسن كما ذكر القاضي عن أبي رياش القيسي والذي « كان معروفاً بالتحامل على هؤلاء والغض من أبي تمام والبحثري خاصة، حتى إن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة في وقته لقللة الرغبة فيهما: أنه أنشد ذات يوم قول البحثري:

نظرتُ إلى طَدَّانٍ فقلت ليلي هناك وأين ليلي من طَدَّانٍ
ودون مزارها إيجافُ شهر وسبع للمطايا أو ثمانٍ
ولما غرّبت أعراف سَلْمَى لهن وشرّقت قُنن القنان
تصويت البلادُ بنا إليكم وغنّى بالإيابِ الحاديان

¹ - ينظر: تراثنا النقدي دراسة في كتاب الوساطة، سيد فضل، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ط) (د.ت) ص 16

² - الوساطة، ص 23

³ - المصدر نفسه، ص 23

⁴ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 126

⁴ - ومن ذلك ما حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلبي، عندما أنشد الأصمعي بيتين، لتفصيل ينظر: الوساطة،

فقال: أحسن والله! من هذا البدوي المطبوع؟ فقيل: إنها للوليد بن عبيد: فقال: أعد، فأعيدت فرجع عن رأيه فيه وحث الناس على رواية شعره»¹.

لذا لا يجوز تفضيل شاعر على آخر لأن الأول قديم والثاني محدث؛ فالشعر الجيد لا يختص بزمن دون آخر، كما قال ابن قتيبة: « ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره »²، وعليه يمكن أن نحصر عناصر الخصومة الحقيقية بين القدماء والمحدثين في اختلافهم على عمود الشعر ونهج القصيدة، وفي الإيمان بفكرة استنفاذ القدماء للمعاني³.

ولكي لا يُساء فهم موقف القاضي من طرفي هذه الخصومة، يبادر بالقول: « وليس يجب إذا رأيتني أمدح محدثاً، أو أذكر محاسن حضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم، أو تتسبني إلى الغض من بدوي، بل يجب أن تنتظر مغزاي فيه، وأن تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم علي حكم المنصف المنتبث، وتقضي قضاء المقسط المتوقف»⁴، وبهذا القول يبعد القاضي عن نفسه كل شبهة بالميل لطرف دون آخر سواء كان متقدماً أو متأخراً. وصاحب الوساطة كما رأينا بنى موقفه في هذه الخصومة، على اعتبار أن المنتبثي شاعر عظيم، ولا يقل شاعرية عن غيره من الفحول المحدثين، ولكن فحولته الشعرية ضاعت بين إفراط المعجبين بفته، وتقريط الكارهين له، ومن ثم فهو بحاجة إلى الإنصاف، وهذا يقتضي التسليم بما له من حسنات وما عليه من سيئات، كما يفعل مع غيره من فحول الشعراء المحدثين⁵.

سابعاً: قضية التعقيد و الغموض في الشعر:

¹ -الوساطة، ص 54

² - الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت لبنان، ط2، 1985 ج1 ص63.

³ -ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص 213

⁴ -الوساطة، ص 22

⁵ - ينظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، ص 117

انشغل النقاد والمهتمون بدراسة الأدب منذ القديم وإلى عصرنا الحديث بمسألة التعقيد والغموض الذي يكتنف بعض النصوص، وسواءً كان هذا التعقيد يأتي عرضاً أو يتعمده المؤلف كأسلوب في الكتابة يتميز به عن غيره، فقد ظل محور تساؤل حول الجدوى منه ففي الشعر مثلاً يشترط بعض النقاد «الوضوح رغبة منهم في التصوير الحسي، وإعراضاً عن التجريد العقلي، في فن الشعر، فطالبوا بالوضوح، واعتبروه مقياساً لجودة المعاني، ومن حسن المعاني- لديهم- أن تكون موجهة للغرض المطلوب، بحيث لا تحتاج إلى إنعام الفكر وإتاعبه في استنباطها»¹.

ولأن التعقيد والغموض من العيوب التي وقف عليها خصوم المتنبّي طويلاً؛ للقدح في شاعريته، رد القاضي الجرجاني بالقول أن وجود شيء منهما في شعر المتنبّي لا يسقطه كله، بل أن وجودهما في أشعار من يعدون من فحول الشعراء شائع وبالقدر الذي لا يقارن به ما وجد في شعر المتنبّي، فيقول: « ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب أن لا يروى لأبي تمام بيت واحد، فإننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين وقد وفر من التعقيد حظهما، وأفسد به لفظهما، ولذلك كثر الاختلاف في معانيه »²، ثم يقول: « وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب بيتاً يزيد معناه على هذا الغموض، أو تتعدّد ألفاظه تعقيد أبيات الفرزدق، فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين: التعقيد والغموض، ومن أنصف حظه حضور البيئة عن المنازعة»³.

ويفرق القاضي بين ضربين من الغموض: غموض سببه غرابة اللفظ بسبب بعد العهد به وغموض في المعنى نفسه مع وضوح في الألفاظ⁴، ويستشهد للضرب الأول من الغموض باختلاف الناس في قول تميم بن مقبل:

يا دارَ سلمىَ خَلاءَ لا أكُفُّها إلا المرانَةَ حتى تُعرِفَ الدِّيئاً

¹-المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، محمد عزام، دار الشرق العربي، دمشق(د.ط)(د.ت)، ص264

²-الوساطة، ص345

³- المصدر نفسه، ص 347

⁴- ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص178-179

ويعلق عليه بقوله: « فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة، فقال قائل: هي ناقته، وقال آخر: هي موضع دار صاحبتة، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة»¹.

ويمثل للضرب الثاني من الغموض بقول الأعشى:

إذا كان هدي الفتى في البلا د صدرَ القنّاةِ أطاع الأميرا

يعلق القاضي: « فإن هذا البيت كما تراه - سليم النظم من التعقيد، بعيد اللفظ عن الاستكراه...

فإذا أردت الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عندي، ومن الممتع في رأي أن تضل إليه»².

ولأنّ الذهن ينفر من الغموض التام بالقدر الذي ينفر من الوضوح التام فإن « خير المعاني ما خالط وضوحها شيء من الغموض فلا هي مبتذلة، ولا هي معقدة، وإنما هي تلميح دون تصريح»³، ورفض القاضي للغموض والتعقيد ينطلق من طبيعة الشخصية العربية التي تميل بذوقها الفطري إلى الوضوح والنفور من التعقيد.

ومن خلاصة ما قلناه نستطيع أن نؤكد أن الجرجاني قد استطاع أن يناقش جملة من القضايا النقدية التي يرد بها بعض ما أخذه المتحاملون والنقاد من خصوم المتنبي عليه، و هذا بحشده لأهم الآراء النقدية السابقة في تناولها لهذه القضايا؛ متبعاً خطوات نقدية فريدة ومتميزة في معالجته لمادة كتابه، ومهما يكن الأمر فقد اختط الجرجاني درياً نقدياً فيه كثير من الجدة والتوفيق وهذا ما وقفنا عليه في ما ذكرناه.

¹ - الوساطة، ص 346

² - ينظر: الوساطة، ص 346

³ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 265

المبحث الثاني: أسس الفكر النقدي وقيمه في الوساطة

يحفل كتاب الوساطة بجملة من الآراء النقدية، التي تدل على الحس المرهف والثقافة الغزيرة التي يمتلكها القاضي، والتي استطاع بها أن يقدم صورة جديدة من التناول تختلف عن ما تعرض له سابقوه في الكثير من المسائل النقدية « ولعل أبرز ما يحسب للقاضي الجرجاني في تاريخ النقد العربي القديم أنه سعى إلى التعيد، وحاول أن يكون قريباً مما يسمى اليوم (فلسفة المعرفة) فقد قدم الرجل تنظيراً مقبولاً لغير قليل من الظواهر الفنية في الشعر العربي»¹. وسنحاول أن نعرض أبرز تلك المبادئ النقدية العميقة التي يقوم عليها التفكير النقدي عند القاضي والتي تعد قيمة نقدية رائعة في ذلك العصر أضاعت الطريق لغيره من النقاد والأدباء ممن جاؤوا بعده، ويمكن توضيح تلك الأسس والقيم على النحو الآتي:

أولاً: البيئة أساس اختلاف أسلوب الشعر:

خصص الجرجاني حيزاً كبيراً من وساطته لبيان مدى تأثير المواطن التي يعيش فيها الشعراء على جودة أشعارهم، ذلك لما للبيئة - حسب رأيه - من أثر بالغ في تمايز الأشعار وتباينها، وبنى رأيه هذا انطلاقاً من « شعور عام، كان يسيطر على أذهان النقاد اللغويين من الرواة آنذاك، وهو أن الشعر الجاهلي يختلف فنياً ولغوياً، حسب درجة تبديه أو تحضره ف شعر أهل الوبر، وهم سكان البادية، يختلف فنياً ولغوياً عن شعر أهل الحواضر العربية»².

¹ - التفكير النقدي عند العرب، ص 268

² - الخصومة بين القدماء والمحدثين، 19

وهذا ما يجعل شاعراً جاهلياً من أهل الحواضر كعدي ينظم شعراً أسلس كما يقول القاضي الجرجاني من شعر رؤبة والفرزدق وهما من الأعراب وأهل البادية¹. فجودة الشعر مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الشاعر، فكلما ابتعد عن حياة البدو إلى الحضرة سلسلت ألفاظه، وسهلت معانيه، والعكس صحيح، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من بدا جفا)²، فأثر البداوة على الشاعر يتضح من خلال معجم الألفاظ التي يستعملها.

من هنا يؤكد الجرجاني أن هناك عوامل تؤثر في أساليب الشعراء وألفاظهم مما يؤدي إلى اختلافها، ويذكر من هذه العوامل الطبيعة الشخصية، والبيئة من بادية وحاضرة والحالة النفسية للشخص، ومن ثم يقول: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلقة...»³.

وكثر الحواضر وانتقال أهل البوادي إلى القرى مرده عند القاضي اتساع ممالك العرب مع انتشار الإسلام، فلانت الطباع ورقت القلوب ونتيجة لهذا « اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وأطفها من القلب موقعاً، وما للعرب منه لغات فاقتصروا أسلسها وأشرفها»⁴.

ولأن القاضي الجرجاني قد فهم حقيقة تأثير الظروف الطبيعية والاجتماعية في الإنتاج الأدبي، وطبق ذلك عملياً في الرد على ما ادعاه خصوم المتبني وعابوه في شعره، فيكون بذلك ما توصل إليه منذ القرن الرابع الهجري يطابق « أحدث ما وصل إليه العلم الحديث في تأثير العوامل الطبيعية. فالبيئة الواحدة تكيف أسلوب الإنسان وعقليته، كما تكيف بنيته العضوية»⁵.

¹ - ينظر: الوساطة، ص 25

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 25

³ - الوساطة، ص 25

⁴ - المصدر نفسه، ص 25

⁵ - مشكلة السرقات في النقد الأدبي، 263

وبما أن خشونة الألفاظ ووحشيتها وتوعُّرها سمات غالبية على أشعار القدماء كنتيجة طبيعية لغلظة طباعهم وقسوتها- التي هي نتيجة طبيعية لقسوة البيئة وشدتها- فإن عكس هذه الصفات في كلام الشاعر هو النتيجة الطبيعية لبيئة هي عكس البيئة القديمة، أي لبيئة متحضرة رقيقة في مظهرها وفي طباع أهلها¹.

ومن هنا كان ما ذهب إليه الجرجاني عندما اعتبر أن ميل شاعر متحضر كأبي تمام إلى الإغراب والتعقيد واستخدام الوحشي من الألفاظ هو من قبيل التكلف لم ليس في طبعه جعله يقع في التناقض من ناحيتين « من ناحية يوقعه في التعقيد والاحتذاء، لنموذج في القول أملتة طباع مخالفة لأنها عاشت في بيئة وعصر خلاف عصره وبيئته، ولأنه من ناحية أخرى يوقعه في التفاوت في مستوى كلامه نتيجة لما يتجاذبه من هذين القطبين:

مقتضيات العصر والبيئة من جهة والنموذج القديم المحتذى من جهة ثانية»².

فشعر المحدثين يكون أقرب لحياتهم كلما بعد عن الغرابة والبداءة ومال إلى اللبونة والسهولة أما إذا تكلف صاحبه الاقتداء بالأوائل فإن شعره يأتي « أمشاجاً متباينة، فيعيبه تعثره، وعدم لحاقه بمن أراد تقليدهم، وينبو به مركبه، وتتعثّر قدمه»³.

على هذا الأساس يرى الدكتور سلام زغلول أن الناقد بمقدوره أن يفرق بين ما ينظمه شعراء البوادي من جهة وما ينظمه شعراء الحواضر من جهة أخرى، لأن أثر البيئة ظاهر لا يمكن تجاهله « فالشاعر الذي يعيش في الصحراء يغرف من ألفاظ بيئته ويستلهم من طبيعتها ما شاء أن يستلهم، والشاعر بعد كل ذلك هو ابن بيئته وعصره، وليس شعر القدماء كشعر المحدثين ولا طلب من المولدين أن يتبعوا الجاهليين في أنماط شعرهم وأساليبهم وصورهم فلكل من الفريقين إمكاناته وظروف بيئته وعصره التي تملي عليه ما يقول»⁴، فإذا اختار الشاعر المحدث الاقتداء بكلا الفريقين وقع في « جنائيات هذا الاختيار...وجار على عادته يختلج الطبع الحضري، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة، وجد قلقاً بينها نافراً عنها؛ وإذا أضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت

¹ - ينظر: دراسات في النقد العربي، ص 197

² - المرجع السابق، ص، 199

³ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 358

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 291.

سهولته، فصارت ركافة¹. وقصد القاضي بهذا الكلام أبي تمام الذي رام الإقتداء بالأوائل فتفاوتت أشعاره في القصيدة الواحدة، بين الجودة والرداءة.

وهكذا نرى أن الجرجاني قد أحس بأثر البيئة وأشاد به وجهه في تفسيره وتبريره وفي الاستشهاد له والبرهنة عليه والوقوف عند أمثله وكأنه أراد أن يسوقه مذهباً أو كمذهب في الدرس الأدبي بالقدر الذي يسمح به القرن الرابع الهجري².

وقد سبق القاضي الجرجاني في الحديث عن تأثير البيئة في الشعر ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) بل نجد أن القاضي يستشهد بشعر عدي لتبيان مدى تأثير البيئة في الشعر وهو من الأمثلة التي أوردتها الجمحي، إلى أن القاضي تميز في طريقة طرحه للموضوع بأن أضاف لتأثير البيئة عوامل أخرى كما رأينا-اختلاف الطبائع والمزاج النفسي وغيرها- وبهذا يكون القاضي قد مهد لتكون هذه الفكرة منطلقاً لمعرفة مدى تأثير السياق الخارجي لنص في جودته وهذا ما تتشغل به مدارس النقد الحديثة.

ثانياً: فصله بين الشعر والفلسفة:

يؤكد القاضي أن الشعر يخالف الفلسفة، فنجده يعيب على أبي تمام قوله:

قَسَمْتُ لِي، وَقَاسَمْتَنِي بِسِلْطَانِ مِنَ السِّحْرِ مُقَلَّتَا عَبْدُوسِ
فَالْقَسِيمِ الْقَسَامِ عَنْ لِحْظَاتٍ مِنْهَا يَخْتَلِسُنْ حُبَّ النُّفُوسِ
فَالَّذِي قَاسَمْتَ بِلِحْظِ إِذَا اللَّيْلِ تَمَطَّى مِنَ الْكُرَى النُّفُوسِ

يلق القاضي: « ولست أدري- يشهد الله- كيف تصور له أن يتغزل وينسب، وأي حبيب يستعطف بالفلسفة؟ وكيف يتسع قلب عبدوس هذا وهو غلام غرٌّ، وحدث مترف، لا استخراج العويص، وإظهار المعمي؟»³.

فمن البديهي أن يفصل الجرجاني بين الشعر والفلسفة، ذلك أن الشعر يخاطب الشعور والوجدان، ويعتمد على الخيال أدواته الرئيسية، أما الفلسفة، فهي تركز على العقل والمنطق⁴.

¹ - الوساطة، ص 28

² - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 309

³ - الوساطة، ص 67

⁴ - ينظر: شعر القاضي الجرجاني في ضوء فكره النقدي، دراسة ل: د. صالح الشتيوي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم

الشريعة واللغة العربية وآدابها ج19، ع42، 1428هـ

وأبو تمام ليس الوحيد الذي يعاب بإدخاله الفلسفة في الشعر، فقد عاب القاضي على المتبني عندما « خرج عن رسم الشعر إلى طريقة الفلسفة»¹. ويفهم من كلامه هذا أن الخروج إلى طريق الفلسفة عيب في الشعر، لأن طبيعة كل منهما تختلف عن الأخرى، ومن أجل هذا يورد القاضي جملة أمثلة من شعر المتبني، كقوله:

وَلَجِدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السَّرُورِ بُكَاءُ

وقوله:

إِلْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأُنْزِ فَسْ أَنْ الْجِمَامَ مَرُّ الْمَذَاقِ

وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزُ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ

فيما يرى البعض أن الأفكار الفلسفية التي يضمنها الشعراء في أشعارهم سمة للتفوق وعلامة على العبقرية، شرط أن تكون مما خف ورق مع ملائمة هذه الأفكار للغرض الذي قيلت فيه وللشخص الذي تقال له².

ولكن تاريخ الأدب يؤكد لنا أن العرب قد فصلوا بين الشعر والفلسفة، وذلك عندما قرنوا الشعر، والأدب عامة، بالسحر والكهانة والجنون، وأدركوا أن للكلام تأثيراً قوياً في النفوس وبلغ من انفعالهم بالقرآن الكريم أن دعوا النبي ساحراً وكاهناً ومجنوناً³.

ثالثاً: العدل ونبذ التعصب في النقد:

يفتح القاضي وساطته بمقدمة يلح فيها على نبذ الأهواء في ما يصدره الناقد من أحكام ويدعو إلى ضرورة الإنصاف لأنه أصل العدل، ولهذا وضع القاضي خطوطاً عريضة يستوجب على الناقد التقيد بها، للحكم على أي شاعر، بعيداً عن العصبية في النقد التي تكدر الطبع وتطفئ الذهن، وتلبس العلم بالشك، فتحسن للمنصف الميل؛ فإن استحك التعصب ورسخ في ذهن الناقد صور له الشيء بغير صورته، وحال بينه وبين تأمله ويتخطى به من الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض؛ فما ملكت العصبية قلباً فتركت فيه للثبوت موضعاً؛ أو أبقت منه للإنصاف نصيباً⁴.

¹ - الوساطة، ص 160

² - ينظر: القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص 366

³ - ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 172

⁴ - ينظر: الوساطة، ص 343

فالحكم النقدي قد يحيد عن الإنصاف والموضوعية، إذا لم يتخل الناقد عن ذاتيته وأحكامه المسبقة، والتي لا تستند على براهين مثبتة، بل تستند على دوافع نفسية محضة كالتعصب والحسد والحقد، ففي مقدمة كتابه يكرر القاضي لفظة الحسد خمس مرات لتبنيه النقاد من خطورة هذه الصفة البغيضة وأثرها السلبي على تقويم أي عمل أدبي، وهذا واضح في ما اقتبسنا من مقدمة الوساطة « والتنافس سبب التحاسد... فلجأ إلى حسد الأفاضل...كم من فضيلة لم تستثرها المحاسد... لكن برزت فتناولتها ألسن الحسد...»¹، هذه الصفة الناتجة عن عصبية غير مبررة حسب رأي القاضي؛ ستجعل من روائع الأشعار ومختاراتها معيبة ناقصة.

ومن هنا كانت دعوة القاضي لنبذ التعصب والعدل في ما يصدره الناقد من أحكام منطلقاً للكثير من الدارسين ليعتبروا في تعليقاتهم عن منهج القاضي في الدفاع عن المتنبّي أنه منهج واضح المعالم، بين الملامح، إذ بدأ بالدعوة إلى العدل في الحكم وعدم تناول الموضوع بروح التحيز والهوى له أو عليه².

فالقاضي لا يجامل المتعصبين من النقاد بل يصفهم في أكثر من موضع في وساطته بالنقص والتقصير ولذلك يرى أن « أهل النقص رجالان: رجلٌ أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه؛ وآخر رأى النقص ممتازاً بخلقه، ومؤثلاً في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به الهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث باننقاص الأماثل...»³. فدافع الكثير ممن عاب شعر المتنبّي هو الحسد و انتقاص الأفاضل للحط من قيمة أشعارهم، وهي حسب القاضي صفة تكرر صفوة النقد وموضوعيته، فسببها عجز الحاسد وعدم قدرته على الوصول إلى المكانة التي يتبوّؤها المحسود؛ فيعمد إلى الانتقاص من كل ما هو جميل وحسن، والتستر عن عجزه بتهمج عن غيره⁴.

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 11

² - ينظر: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 369

³ - الوساطة، ص 11

³ - ينظر: القيمة النقدية لكتاب الجرجاني (الوساطة بين المتنبّي وخصومه)، دراسة لحسن أبو الرب، جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 21 (2) العدد 1، 2007م

كما أن القاضي يكرر في أكثر من موضع في كتابه ويلح على فكرة الإنصاف والتثبت في ما يصدره الناقد من أحكام؛ وبينه إلى أن « العصبية قد تحمل العالم على دفع العيان ووجد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل»¹.

وثمة مبدأ يسير عليه القاضي الجرجاني، ينتصر فيه لهذه الفكرة النقدية، هو مبدأ (العدل). والعدل عند القاضي الناقد يستلزم أمرين: الانتصار لمن وقع عليه الجور بسبب ما يُدعى من نقيصة، والاعتذار لنقائصه إن كانت هذه موجودة حقاً²، وعن هذا يقول القاضي: « وكما أن الانتصارَ جانب من العدل لا يسدّه الاعتذار؛ فكذلك الاعتذارُ جانبٌ هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرق بينهما، وقفت به الملامةُ بين تقييد المقصّر، وإسراف المفرط، وقد جعل الله لكلّ شيءٍ قدرًا، وأقام بين كل حديثٍ فصلاً، وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدميِّ إلا ما كان في طبيعة وُلدِ آدم...»³.

فعلى الناقد الحقيقي أن يكون وسطياً عادلاً منصفاً في ما يصدره من أحكام، ومن أجل هذا عليه أن يتجرد من الأهواء الذاتية و الجنوح إلى الموضوعية، إذ لا مكان للأهواء في العلم فيقول: « وكما ليس من شرط صلة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميل في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك»⁴.

ودعوة القاضي إلى الموضوعية والتجرد من الذاتية والأهواء الشخصية، مردها طريقة النقد التي كانت شائعة في عصره و التي غلب عليها التعصب لبعض الشعراء دون سواهم إذ إن « هذه العصبية تشوه فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، فتفقد الإنسان عفوية الذوق الذي يعد مفتاح لكل عملية نقدية، ثم إن العصبية تكبت في الإنسان كل قدراته العقلية التي على أساسها يبني عمله في تحليل الأعمال الأدبية وتفهمها وتفسيرها»⁵. فالقاضي يعتبر الناقد بمثابة قاضي فهو ملزم بتجرد من أهوائه وميولاته الخاصة فيما يصدره من أحكام.

¹-الوساطة، ص 180.

²- ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 269

³- الوساطة، ص 13

⁴- الوساطة، ص 12

⁵- مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة ل: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة،

الجزائر، العدد (01)، 2002م

وهذا ما جعل بعض النقاد يصرون على أنه لا يوجد صفة يتحلى بها الناقد أجل وأعظم من صفة العدالة في وزنها وقيمتها، فيصبح الناقد بذلك بمثابة الحَكَمِّ الأمين الذي ينبغي أن يضع في يده موازين عادلة، رشيدة لا تميل مع أي هوى ولا أي تعصب¹، فالعدل والإنصاف في الحكم ليس شعاراً بل مبدءاً عمل به القاضي من بداية كتابه إلى منتهاه، وطبقه حتى على نفسه فيقول: « وتحكم علي حكم المنصف المتثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف»² وقوله: « ثم انظر وحكم وأنصف...»³، فنجده يلح على العدل والإنصاف في كل حكم على اعتباره الهدف والأصل في كل عملية نقدية، فالقاضي الجرجاني رجل لا يعرف التعصب كما يقول محمد مندور⁴.

كما أنه يدعو كل ناقد إلى خلع رداء العصبية، فقد « يتفق لأحد هؤلاء غلبة الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداء العصبية، ويصغي ويميز فيراجع...»⁵.
فالكثير من النقاد تأخذهم عزة النفس على الرجوع عن موقف أو حكم غير منصف أصدره ظلماً وتعصباً، وإن كان البعض منهم يمتلك صفات الناقد المنصف فلا يتوانى في الرجوع عن موقفه إذا رأى ما ينقضه.

رابعاً: حوافز الإبداع في فن الشعر:

الشعر عند القاضي الجرجاني علم له أدواته وشروطه ومقاييسه الخاصة، التي يجب أن يلتزم بها من أراد قرضه، ومن اجتمعت له هذه الشروط أو العناصر فهو المجيد المبرز فالقاضي يقول: « إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدرية مادة له، وقوة لكل واحدٍ من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان»⁶.

يجمع القاضي في هذه العبارات المقتضبة، كلاماً بالغ الدلالة بل إنه كلام متقدم على أهل زمانه؛ ومستعصي حتى على نقاد عصرنا الحالي إذ مازالوا منبهرين ومختلفين حوله إذ

¹ - ينظر: النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ط1 (د.ت)، ص 57.

² - الوساطة، ص22

³ - المصدر نفسه، ص31

⁴ - ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص265

⁵ - الوساطة، ص54

⁶ - المصدر نفسه، ص 23

يخرج القاضي الشعر من الإطار الضيق الذي حشر فيه-عندما حددت مقياسه بالوزن والقافية فقط- ليجعله علم من علوم العرب « على أن نفهم مدلول كلمة علم في هذا العصر الذي لم يكن يفرق بين العلم والأدب، ويجعل كلمة (العلم) شاملة لهما. وهو قد تحدث عن حوافز الإبداع الأدبي، وحددها بصورة أدق مما كانت معروفة عند العرب والإفرنج»¹.

فعلى على قدر حظ الشاعر من هذه العناصر يأتي تجويده وتفوقه في ما ينظمه من أشعار على أن درجة الأهمية لهذه الحوافز أو العناصر تختلف من شاعر إلى آخر فإذا « كان تعويل المحدثين على (الرواية) في المقام الأول، فإن تعويل القدماء إنما كان على (الطبع)، رغم أخذهم بالرواية والحفظ»²، فالقاضي ينطلق من فكرة مفادها أن العرب كانت تروي وتحفظ، ويعرف بعضهم برواية شعر بعض؛ وكما قيل: إن زهير كان راوية أوس، وإن الحطيئة راوية زهير... غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة وإليه أكثر استئناساً، وأنت تعلم أن العرب مشترك في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة»³.

فقد نطق القاضي إلى أن الرواية عند العرب بمثابة التلمذة « فمن الشعراء من تتلمذ لغيره بأن صار راوية له فبرز في الشعر سائراً على نهج أستاذه حتى لتتكون أحياناً مدارس بعينها كتلك التي قامت على أوس بن حجر وزهير والحطيئة. وقد أخذ هؤلاء الثلاثة بعضهم عن بعض وحدثنا عن ذلك القدماء، فاستطاع ناقد حديث كالدكتور طه حسين أن يستنبط الخصائص الفنية التي تميز تلك المدرسة وأن يردّها إلى تنقيف الشعر، ثم إلى الاعتماد على الخيال الحسي»⁴، فعندما ذكر أن زهيراً كان راوية أوس قصد انه تلميذه ونفس الشيء مع أبي ذؤيب فهو تلميذ ساعدة بن جؤية وغير ذلك من الأمثلة التي أوردّها.

ومن هنا اعتبر الكثيرون أن تحديد الجرجاني لعناصر أو حوافز الإبداع في فن الشعر من الاجتهادات الموفقة التي تحسب له، وقد دفعه إلى استنباطها تساؤله الدائم عن أسباب

1- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 132

2- التفكير النقدي عند العرب، ص 271

3- الوساطة، ص 23

4- النقد المنهجي عند العرب، ص 258-259

التفوق في الإبداع الشعري لتكون هذه العناصر- الطبع والرواية والذكاء والدرية- بمثابة الحوافز التي إذا ما توافرت لشاعر اغتفرت زلاته وهناته¹.

فالشعر لم يعد مقياسه الوزن والقافية فقط بل لا بد من طبع وذكاء ودرية ورواية، ولعل الجرجاني قد أفاد من الآراء المتقدمة وبنى عليها، فمن النقاد القدماء من فرق بين الشاعر المطبوع والشاعر الذي يعاود النظر في شعره بالتنقيح والتحسين، وأطلقوا على شعر الثاني شعر الصنعة، كما كنا نقرأ عن زهير بن أبي سلمى وغيره ممن سموا بعبيد الشعر².

والواضح من كلام الجرجاني حسب رأي محمد السمرة من خلال تقسيمه لعناصر الفن الشعري (الطبع، والذكاء، والرواية، والدرية) أنها على نوعين: فالطبع والذكاء يولدان مع الفنان، والرواية والدرية تكتسبان فيما بعد³.

وتحديد القاضي لعناصر أو حوافز الإبداع الأدبي، يعد بحق من القيم النقدية الخالدة في تاريخ النقد العربي القديم، إذ استنتجنا من خلال هذا التحديد درجة النضج التي بلغها التفكير النقدي في ذلك القرن عموماً و عند القاضي الجرجاني بالخصوص.

خامساً: تحكيم الذوق مع التعليل والتحليل:

جعل القاضي من الاحتكام إلى التذوق سبيلاً لكل ناقد من أجل إيجاد حل لما استعصى عليه من المواقف التي يعجز عن تعليلها وتحليلها، ذلك أن القاضي يعتمد وبشكل كبير على تعليلات وتحليلات موجزة تعقب ما يورده من شواهد شعرية، حتى أن الشواهد الشعرية تطغى على الكتاب، فيما تتخللها أحكام نقدية موجزة، ويظهر هذا من خلال الطريقة التي يعرض بها مادة الكتاب؛ فنجدته ينصح الناقد الذي يستعصى عليه التفسير أو الحكم على أثر أدبي أو ظاهرة فنية، أن يحتكم إلى «الذوق المصقول المدرب، فقد كان الجرجاني أديباً وناقداً، مرهف الحس...وبهذا جعل الذوق هو الحكم الأخير في روائع الأدب»⁴.

¹ - ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 270

² - ينظر: القيمة النقدية لكتاب الوساطة، دراسة ل: حسن أبو الرب، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،

المجلد 22 (2)، 2007م

³ - ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 133

⁴ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 151

فالجرجاني كثيراً ما يترك الحكم لذوقه، فنجده يختار للمتنبّي بعض النماذج التي يعدها من عيون شعره، فقصيدة المتنبّي التي قالها في مصر، ووصف فيها الحمى، تصادف من ذوق القاضي قبولاً ومن نفسه ارتياحاً:

وَرَأَيْتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءَ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الجِلْدُ عَن نَفْسِي وَعَنهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ

يلق القاضي بقوله: « وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم لأحد هي معناها مثلها، والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطعم المؤيس»¹.

فالحكم الصادر عن ذوق مجرب، مصقول بالدربة وطول الملابس، يكسبه مصداقية يستغني معها المتلقي على حاجته إلى الشرح والتفسير.²

وعليه نجد القاضي الجرجاني يعطى للذوق أهمية بالغة في تمييز جيد الكلام من رديئه سواء كان هذا الكلام شعراً أو نثراً كما في قوله: « فإن العامي قد يميز بذوقه الأعاريض والأضراب، ويفصل بطبعه بين الأجناس والأبهر»³.

واحتكام القاضي إلى ذوقه الشخصي نابع من إيمانه الراسخ بفكرة مفادها أن أي عمل أدبي يقاس « بمقدار تأثيره في نفس السامع وهزها، وهذا لا يكون إلا بما يحويه من عناصر إنسانية صادقة يكون لها صدى في النفوس، وهذا اتجاه نفسي في النقد قل أن تجد له مثيلاً عند النقاد الآخرين والحق أن صفة الإنسانية واضحة عند هذا الناقد في كثير من اتجاهاته»⁴.

فنجده يعلق على قصيدة للبحثري بقوله: « ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح، ويستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظر»⁵، ولا يكتفي القاضي بهذا التعليق الذي يميل فيه إلى ذوقه

¹ - الوساطة، ص 108-109

² - ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 28

³ - الوساطة، ص 343.

⁴ - النقد المنهجي عند العرب، ص 263

⁵ - الوساطة، ص 33

الفني النابع من إنسانيته الطاغية على الكثير من آرائه النقدية، فنجده يقول: « فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به، والهوى يسرع إليه فأنشده له في المديح قوله:

بلونا ضرائب مَنْ قَدْ نَرَى فما إن وجدنا لَفَتْحِ ضَرَبِيَا
هو المرء أبدت له الحادثاً ت عزمًا وشيكًا ورأيًا صليبا
تتقلُّ في حُلُقِي سُوْدِدِ سمحاً مُرَجِّي وبأساً مَهِيبا
كالسَّيْفِ إن جئته صارخاً وكالبحر إن جئته مستثيباً¹.

فالقاضي يعطي بعداً إنسانياً نفسياً للنقد، إذ استسقى بعض آرائه النقدية من ذوقه الشخصي النابع من تركم خبراته الأدبية.

ومع هذا يظل التعليل ضروري لتعزير ما يذهب إليه أو ما يصدره الناقد من أحكام في ذهن القارئ، كما هو الحال عندما يعرض بعض ما عيب على المتنبي ثم يعرض بعض جيده فيقول: « وليس من شرائط النصفة أن تتعى على أبي الطيب بيتاً شذّ، وكلمة ندرت وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ولفظة قصرت عنها عنايته، وتتسى محاسنه وقد ملأت الأسماع، وروائعه وقد بهرت، ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة، ولا تقدمه الفضائل المجتمعة، وأن تحطه الزلة العابرة ولا تتفعه المناقب الباهرة»².

وقد أورد القاضي الكثير من الأمثلة معتمداً على منهج المقايسة بين الأشباه والنظائر، كما فعل في تعليقه لما عابه النقاد على أبي الطيب من إفراط و إغراق و غلو في الكثير من أشعاره كما في قوله:³

ولو قَلَمُ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ من السُّقْمِ ما غيرتُ من حَطِّ كَاتِبِ

فبعدهما يورد القاضي هذا البيت مع مجموعة أخرى من أبيات المتنبي، و التي بالغ فيها وأغرق في ألفاظها ومعانيها، يورد في المقابل مثيلتها من أشعار المتأخرين والمتقدمين ليبرر إفراط المتنبي ويؤكد أن الإفراط مذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون⁴.

¹ - المصدر نفسه، ص 33

² - المصدر نفسه، ص 92.

³ - ديوان، المتنبي، ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (د.ط) 1983م ج 1 ص 139.

⁴ - ينظر: الوساطة، ص 348.

فالقاضي يدعو صراحة إلى الاعتداد في النقد بالذوق المثقف الذي يعتمد على إقامة الحجة ومقارعة الدليل بأقوى منه، ولا يعترف بالنقد الذاتي¹، وهذا ما يشي به قوله: « فأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، وإنما تخبر عن نبو النفس عنه، وقله ارتياح القلب إليه»²، أما التعليقات الموجزة التي يعقب بها القاضي الشواهد الشعرية، فقد استندت إلى حجج وبراهين انطلاقاً من فكرة المقايسة التي اعتمدها الجرجاني في مادة الكتاب، فهو يورد ما عيب على المتنبي وقيسه بشواهد متعددة من شعر القدماء والمحدثين من أجل بيان أن ما عيب على أبي الطيب يعاب على غيره أيضاً.

سادساً: الحكم الفاصل بين طرفي المخاصمة:

الجزء الأخير من الوساطة يضعنا في أجواء محاكمة بين متنازعين، يكون القاضي الجرجاني هو المستمع لطرفي النزاع، ثم يفصل بين المتخاصمين بإصدار الحكم، هذا الحكم « هو النهاية التي ينتهي إليها كل نقد، أو محاكمة، لأن فيه يكون القول الفصل بين المتنازعين، والجواب الموضح للغامض المبهم من الأمور، ومن البديهي أن الحكم لا يتخذ شكلاً واحداً ثابتاً، بل يتغير ويتحول ويتغير القضايا المطروحة، ويتغير المرجعية المعتمدة في ذلك»³، وربما كان لاشتغال الجرجاني بالقضاء تأثيره الواضح في معالجته لمادة كتابه الوساطة، كما هو الحال في تعامله مع ما أخذ عن المتنبي، فيقول على لسان خصوم المتنبي: « قد صغر الليلة ثم استطالها فقال: لُبَيْلَتْنَا المُنُوطَةُ بالنتاد. قال أبو الطيب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً، قال لبيد:

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوبِيهِيَةٌ تَصْفُرُّ مِنْهَا الأتَامِلُ

أراد لطف مدخلها فصغرها. وقال الأنصاري: أنا عُدَيْقُهَا المَرْجَبُ، وَجُدَيْلُهَا المُحَكَّكُ؛ فصغر وهو يُريدُ التعظيم»⁴.

وبعدما يريد القاضي حجة طرفي الخصومة، يدلي بحكمه وهو الفاصل في المسألة مع الالتزام بالوسطية وعدم الميل لطرف دون آخر، فيقول: «أما تصغير اللفظ على تكثير

¹ - ينظر: النقد الأدبي، مصطفى السيوفي، دار البيان للطباعة مصر (د.ط)، 2002م ص15

² - الوساطة، ص91

³ - مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة ل: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر، العدد

(01)، 2002م

⁴ - الوساطة، ص379-380

المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ ولكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دويهية في هذا الموضوع تصغير في المعنى واللفظ، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا لا يكون لطيف الجرم؛ وإنما هو جزم من النخلة تحتك به الإبل...وقول أبي الطيب "لييلتنا" خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفسح عن المراد بقوله: "المنوطة بالنتاد" فقد بين أنه لم يرد قصر مدتها»¹.

فتصور لنا الوساطة محاجات بين طرفي القضية - المتبني و خصومه - تنتهي بالحكم الفاصل الذي يصدره القاضي الجرجاني، والذي جعل من العملية النقدية « محاكمة ترتفع فيها الدعوات، ويختصم في ظلالها المختصمون وفيها يبيت في الأمور بتا عادلاً، يوفر لكل ذي حق حقه، وينزل كل منزلته التي أنزله فيها عمله وأوصله إليها جده ومثابرتة»².

وقد كشف هذا المنهج الذي يتبعه القاضي على جانب آخر من شخصية المتبني الشاعر فعرفنا على شخصية المتبني المطلع والحافظ لعلوم اللغة وتراثها الأدبي وكأن الجرجاني يحاول أن يعرض المآخذ التي عابها القدماء على المتبني، مشفوعة برأي الشاعر فيها وتعليقه إياها، وبالتالي يبقى المجال مفتوحاً أمام المطلع على الوساطة؛ وهذا حين يقرأ المآخذ التي عابها القدماء على المتبني، ورد المتبني عليها³.

ورغم أن هذه الطريقة في التناول انحصرت في الصفحات الأخيرة من الكتاب، وهي الصفحات التي خصصه المؤلف لما أنكره خصوم أبي الطيب في بعض أشعاره؛ ومع هذا تعد هذه الطريقة سابقة تقدر بها القاضي حين منح الفرصة للشاعر كي يرد عن ما كان يؤخذ عليه.

سابعاً: منهج القاضي في الوساطة

إذا كان الأمدي قد اعتمد على (الموازنة) في عمله النقدي، لأنه كان أمام شاعرين (أبي تمام والبحثري) ولأن بينهما نقاط توافق ونقاط اختلاف، مما أتاح الفرصة أمام الأمدي وبشكل كبير للموازنة بين هذه النقاط، ولكن ما يثير التساؤل؛ على ماذا سيتكئ القاضي

¹ -المصدر نفسه، ص380

² - مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة لـ: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر، العدد (01)، 2002م

³ - ينظر: القيمة النقدية لكتاب الوساطة، دراسة لـ: حسن أبو الرب، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 22 (2)، 2007م

الجرجاني في محاولته التوسط بين طرفي الخصومة حول شعر المتنبي من هنا كانت « المقايسة هي المبدأ الكبير في نقد الجرجاني؛ فالناقد الذي يتحرى الإنصاف قبل أن يفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتميز عليه أن يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء، فلا يستهجن خطأه في اللفظ لأنه قلما تجد شاعراً سلم من هذا الخطأ، ولا يستتكر خطأه في المعنى فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الأقدمين، ولا يسقط شاعر بسبب التفاوت في شعره»¹.

ولنفهم منهج القاضي في الوساطة نعيد إلى الذاكرة المشهد الذي تهجم فيه الحاتمي على المتنبي « فحينما اقتحم عليه مجلسه في دار البصري وأخذ يسرد ما استرذله من شعره لم يكن دفاع المتنبي عن نفسه فيما حكاه الحاتمي إلا أن قال: أين أنت من قولي كذا وكذا؟ أما يكفيك إحساني في هذه وتغفر لي إساءتي في تلك؟! »².

فالقاضي عندما يحاول أن ينصف المتنبي، لا يقوم بمناقشة ما حاول خصومه تخطئته فيه بل يقيسه بأشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين، ويبين أنهم لم يسلموا هم أيضاً من الخطأ وعليه فإن « أساس منهج الجرجاني في النقد يمكن أن نلخصه في جملة واحدة هي أنه رجل " يقيس الأشباه والنظائر " وعلى هذا الأساس بني معظم "وساطته" بين المتنبي وخصومه»³.

ولا يعني القول بأن القاضي قد اعتمد على منهج قياس الأشباه بالنظائر في دفاعه عن أخطاء المتنبي، عدم وجود طرق أخرى استعان بها في الرد عن المعيبين عن شاعره فنجده يلجأ إلى « مناقشة المآخذ الفنية واللغوية، التي أخذها بعض النقاد عليه، ورأى أنها

تحتاج لمناقشة وتصويب أن أمكن، توجيه ألفاظها ومعانيها على نحو مخالف لتوجيهات هؤلاء النقاد الذين هم أحد رجلين، إما نحوي لغوي لا بصر له بالشعر، وإما معنوي لا علم له بالإعراب ولا اتساع: له في اللغة»⁴، وكشف الجرجاني في هذه المناقشات عن علمه

¹ - ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 309

² - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 234

³ - النقد المنهجي عند العرب، ص 256

⁴ - الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، ص 112

الواسع بعلوم اللغة، وإحاطته بجانب لا بأس به من المسائل اللغوية على اختلافها بين المدرستين الكوفية والبصرية.

كما أن الكثير من الدارسين يلح على أن « المقايسة التي سار عليها القاضي الجرجاني - لا تخلو من مزالق كالتعميم والإيهام المنطقي وعدم الوقوف على رأي قاطع لا سيما فيما لا يمكن الاتفاق عليه بين النقاد ذوي الأنواق المختلفة»¹.

وقياس الأشباه بالنظائر ليس سبيل القاضي الوحيد في الدفاع عن المتنبي، بل قد استعان بطريقة ثانية، قام فيها بالأخذ من حسنات الشاعر بمقدار سيئاته، أي من كل سيئة حسنة أو أكثر، والحكم له أو عليه يكون من خلال طغيان الحسنات على السيئات أو العكس؛ وسمى هذه الطريقة (المقاصة) وصرح بذلك في قوله: « هذا ديوانه حاضراً و شعره موجوداً ممكناً هلم نستقرئه ونتصفحه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطراب إلى القبول أو البهت، ووقفت بين التسليم والعناد عدنا بك إلى بقية شعره فحاججناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصة فحكمناك إليه»².

والأمر الذي اعتمده القاضي في المقاصة هو « ما قال أبو إسحاق القيرواني من أنه " قد تدخل اللفظة في شفاعاة اللفظة وبمر البيت من خلال الأبيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات يتم بها المعنى المراد وليست مما يستجاد»³.

وطريقة المقاصة سارت جنباً إلى جنب مع طريقة قياس الأشباه والنظائر في دفاع القاضي الجرجاني على المتنبي.

وما يتفق عليه الكثير من الدارسين لكتب تراث النقد العربي، أن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) يعد بحق بصمة مشرقة ومتميزة في تاريخ النقد العربي، وهذا مرده أن « التفكير النقدي عند الجرجاني يتسم بقدر كبير من النضج والكمال، يدنو به من أن يكون منظرأ أدبياً كبيراً، إذا لم يقف القاضي عند حد وصف الظواهر والتعليق العابر عليها، بل

¹ - اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص 276

² - الوساطة، ص 55

³ - القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص 239

تعدى ذلك إلى آفاق التفلسف وبيان الماهيات والعِلل، ومرجع ذلك قدرته، فيما يبدو، على الإحاطة بطبيعة الشعر العربي قديمه وحديثه وتحديد آفاق التجديد التي طرأت عليها»¹.

¹ - التفكير النقدي عند العرب، ص 291

مدخل:

بلغ عدد ما أحصيناه من المصطلحات النقدية والبلاغية (57 مصطلحاً) وهي عينة تمثل أهم المصطلحات في الوساطة وليست كلها، فالمصطلحات التي يتضمنها هذا الكتاب أكثر بكثير من هذا العدد، فإكتفينا بهذا العدد مع إعطاء كل مصطلح حقه من التفصيل والتدقيق. ومجموع مرات تكرار هذه المصطلحات بالإضافة إلى ما تبعها من اشتقاقات ومرادفات في كتاب الوساطة بلغ (1637 مرة)، وقد كان هناك تباين في عدد مرات تكرار كل مصطلح وما دخل تحته من مشتقات.

ويمكن توزيعها على الشكل التالي:

مرات التكرار	عدد المصطلحات ومشتقاتها	النسبة
من 1 إلى 50	890	54,4%
من 51 إلى 100	485	29,6%
أكثر من 100	262	16%

ما نخلص إليه من خلال التمعن في هذا الجدول:

1- أكثر المصطلحات تكراراً في الوساطة مصطلح المعنى مع تنوع الأوصاف والنعوت والعيوب التي أضافها القاضي له، وإن كانت أغلب الدراسات المصطلحية في المدونات النقدية خاصة و الأدبية عموماً أهملت إدخال هذا المصطلح في جملة المصطلحات التي تحصيلها في أي مدونة سواء كانت حديثة أو قديمة، على اعتبار أن وجود هذا المصطلح تحصيل حاصل ومجبر كل مؤلف على استخدامه، غير أننا وجدنا في تميز القاضي وتفرد في التعامل مع هذا المصطلح سبباً مقنعاً لإيراده، كما أنه المصطلح الوحيد الذي فاق عدد مرات وروده (100 مرة) بنسبة (16%) من مجموع المصطلحات التي أحصيناها.

2- ولأن قضية السرقة قد شغلت الحيز الأكبر من كتاب الوساطة، فقد تكرر مصطلح السرقة مع ما تبعه من مشتقات (47 مرة) بنسبة (2,9%) من مجموع المصطلحات المحصاة وهي نسبة عالية إذا ما علمنا أن القاضي تكلم عن السرقة باستعمال مصطلحات دالة عنها (القلب-الأخذ-الزيادة-الاحتذاء-النقل...) هذه المصطلحات تكررت في مجموع مرات ورودها مع ما تبعها من مشتقات (206 مرة) بنسبة (12,6%) من مجموع المصطلحات

المحصاة؛ وإن كانت هذه المصطلحات منفردة لم يتعد أي منها في مرات تكراره عتبة (50مرة) باستثناء مصطلح الأخذ (74مرة) بنسب (4،5%) .

3- ولأن مؤلف الوساطة قاضي فقيه فإن المصطلحات المتداولة في القضاء وبين أطراف المنازعة كان لها حصة كبيرة من المصطلحات الواردة في الوساطة، وهي مصطلحات استخدمها القاضي استخدام نقدي لفض النزاع بين طرفي المحاكمة القائمة بين-المتبني وخصومه- وقد وجدنا أن أغلب هذه المصطلحات وما تبعها من مشتقات فاق عدد مرات ورودها عتبة (50مرة). فنجد الاحتجاج وما تبعه تكرر (71مرة) بنسبة (4،3%) من مجموع المصطلحات المحصاة، ومصطلح التفضيل وما تبعه تكرر (74مرة) بنسبة (4،5%) من مجموع المصطلحات المحصاة، بالإضافة إلى مصطلح الوساطة ومصطلح الاستشهاد اللذان لم يتعديا عتبة (50مرة) وهذه المصطلحات مجتمعة بلغ عدد مرات تكرارها مع مشتقاتها (192مرة) بنسبة (11،7%) من مجموع المصطلحات المحصاة.

4- ولأن القاضي في الجزء الأخير أمعن وتوسع في كلامه عن الكثير من المسائل المتعلقة باللغة، وجدت هذه المصطلحات مكاناً لها في كتاب الوساطة وحازت على نسبة مهمة من مجموع المصطلحات، فنجد من هذه المصطلحات (الحذف والفساد واللحن والإحالة والغلط والأصل...) التي تكررت في مجموعها مع ما تبعها من مشتقات (138مرة) بما نسبته (8،4%).

5- وكان لمصطلح الأوائل وما تبعه من مشتقات حضور في كتاب القاضي نظراً لاعتماده الكبير على ما قاله أسلافه، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه على ما خلفه سابقوه، فقد تكرر هذا المصطلح مع ما تبعه من مشتقات (74مرة) أي ما نسبته (4،5%) من المصطلحات المحصاة.

6- والكثير من الدارسين يعتبرون كتاب الوساطة تمهيداً للفصل بين المصطلحات النقدية والبلاغية، ويتضح هذا من خلال المصطلحات البلاغية الخالصة التي أوردتها القاضي و فصل في الكلام عنها- وإن كان في توظيفها تراوح بين النقد والبلاغة- متطرقاً إلى أقسامها وعلاقاتها وأدواتها وتحديداً ذكر القاضي (الاستعارة، التجنيس، المطابقة، التشبيه، المبالغة...) وقد وجدنا أن مصطلح التشبيه وما تبعه أكثر هذه المصطلحات تكراراً (83مرة) ما نسبته

(5,07%) من مجموع المصطلحات المحصاة، بينما هذه المصطلحات مجتمعة تكررت في مجموع مرات ورودها (152 مرة) ما نسبته (28,9%).

ومن خلال هذه الاستنتاجات استطعنا أن نرسم خارطة نتقصى من خلالها أهم المصادر والمؤثرات التي أسهمت في بناء هذا الهيكل المصطلحي المترامي في صفحات الوساطة والتميز بتنوعه وغناه وعدم انحصاره في حقل معرفي أو توجه فكري بعينه بل كانت الشمولية والقبول للفكر الآخر هي السمة الغالبة عليه.

توزيع المصطلحات في كتاب
الوساطة

عدد المصطلحات المحصاة (57 مصطلح)
بلغ عدد مرات تكررها مع ما تبعها 1637
مرة

مصطلحات نُقد
بها شعر
المتنبي ودافع
بها عنه

مصطلحات
بلاغية

مصطلحات
ذكرها عند
تطرقه للمسائل
اللغوية

مصطلحات
أقرب إلى
القضاء والفقهاء

مصطلحات
نتيجة عن
تطرقه
لموضوع
السراقات

الابتداء - الإبداع
الأدب - الإغراب
الإغراق - الإفراط
الانتحال - الأوائل
البيدع - البيان
التثقيف - التفسير
التقسيم - التقصير
التكلف - التمام
التهذيب - الجزالة
الحلاوة - الخطاب
الخطر - السهولة
الصنعة - الطبع
العجمة - الفكر
الكشف - المثل -
المعنى - النوادر - النقد

الاستعارة
المطابقة
التجنيس
التشبيه
المبالغة

الفساد
اللحن
الحذف
الغلط
الإحالة
الأصل
الجمع

الاستشهاد
الاحتجاج
التفضيل
المناقضة
الوساطة

السرقه
القلب
النقل
الأخذ
الاحتذاء
الزيادة
التناسب

المبحث الأول: مؤلفات أسلافه القداماء:

إن تأثر القاضي بما خلفه أسلافه من النقاد والبلاغيين وحتى النحاة واللغويين كان له الأثر الواضح فيما استعمله من مصطلحات بل وفي ما اتبعها من اشتقاقاتها ومرادفات فالقاضي يعد ابناً باراً لهذا التراث، فلم يخرج عن المتعارف عليه حول المعنى العام لكل مصطلح، وربما كان تميزه وتفردته في توظيفه لهذه المصطلحات وفق منهج خاص قام فيه بالمقايسة والمناظرة بين الأشباه والنظائر.

أما عن قولنا باعتماده على ما خلفه القداماء من نصوص فكان واضحاً وجلياً، وقد ذكر القاضي بعض هذه المصادر التي اعتمدها في كتابه أو ذكر مؤلفيها دون ذكر لمؤلفاتهم ولأننا وجدنا أن أغلب الدراسات التي اهتمت بجوانب مختلفة في دراستها لكتاب الوساطة أهملت هذا الجانب رغم أهميته، كونه المنبع الرئيسي الذي استقى منه القاضي الجرجاني أغلب مصطلحاته التي أحصيناها سابقاً، ثم طرحها لنا بطريقة متميزة وفريدة أظهر فيها شخصية الناقد الفذ والأديب المتمرس الذي لم يكتف بالنقل عن سابقه بل زاد عنهم في الكثير مما أخذ.

والغاية من معرفة المصادر التي اعتمدها القاضي في وساطته، التمكن من تمييز النتائج والأفكار وحتى المصطلحات التي توصل إليها القاضي بنفسه، ونظيرتها التي نقلها عن سابقه، وأدرجها ضمن كتابه، وهذا هو السبيل الوحيد لتقييم جهود القاضي الجرجاني وأهمية كتابه الوساطة.

ولأن أغلب الدارسين اكتفوا بإشارات سطحية وتلميحات إلى مصادر القاضي دون التفصيل في ذكرها، فحاولنا تتبع بعض المصادر التي اعتمدها القاضي في وساطته منطلقين من عدة اعتبارات فرضت علينا أن نقسم ما أحصيناه من مصادر إلى قسمين- اخترنا فيهما أشهر العلماء- (قسم للعلماء الذين ذكرهم دون أن يذكر مؤلفاتهم وقسم للعلماء الذين ذكرهم مع مؤلفاتهم):

أ- من أخذ عنهم دون ذكر لمؤلفاتهم:

1- الجاحظ:

ذكر القاضي اسم الجاحظ مرتين في الوساطة، كانت إحداها في قوله: ÷ وحكى الجاحظ

عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال¹، والأخرى في قوله: ÷ أنشد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابنُ عميرٍ غزوةً تركت لها ثناءً كريحِ الجَوْرِبِ المتمزق²×.

وكتب الجاحظ لا غنى لأي مؤلف أو باحث في النقد عليها، لأنها تمثل الكتابات الأولى والمصدر الرئيسي لكل من أراد الكتابة في أغلب القضايا النقدية، وربما يمكننا أن نذكر بعض النقاط أو القضايا التي سبق أن ذكرها الجاحظ في مؤلفاته خاصة في كتابه (البيان والتبيين) وتناولها القاضي في وساطته؛ وهذا لا يعني أنه أخذها عليه فالقاضي لم يشر لذلك بل يمكن أن يكون قد اطلع عليها وكانت له منطلقاً، ومن هذه الأفكار النقدية ما أشار إليه الدكتور عبد العزيز قفيلة؛ فيذكر أن الجاحظ تطرق لشروط الأديب أو حوافز الإبداع الفني كما أشرنا إليه سابقاً (الطبع والرواية والدرية والذكاء) ثم يعلق: ÷ والتشابه واضح بين هذا الذي يرويه الجاحظ... وبين ما قاله القاضي من أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدرية مادة له ...³×.

كما أن دعوة الجاحظ الصريحة للبعد عن الهوى والمحاباة في النقد؛ وضرورة أن يكون النقد موضوعياً معللاً ومبنياً على أسس تبعده عن التحيز والتعصب... وأن للنقد رجاله المتخصصين فيه⁴، يتفق مع المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه منهج القاضي في الوساطة وهو "العدل والإنصاف ونبذ التعصب في الحكم"⁵، كما أن القاضي يرى أن لكل صناعة أهلها⁶، وهذا ما ذكره الجاحظ كما أشرنا.

وتعد هذه عينة من بعض الآراء النقدية التي يتوافق فيها الجاحظ والقاضي، وإن كان القاضي قد أخذ عن الجاحظ فلا بد أنه قد تأثر بطريقة توظيفه للمصطلحات كما يمكن أن يكون قد استلهم منه المفاهيم العامة لبعضها.

2- الأصمعي:

ذكر الجرجاني اسم الأصمعي في واحد وعشرين موضعاً في الوساطة، وأغلب ما نقل

1 - الوساطة، ص 322

2 - المصدر نفسه، ص 332

3 - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 143

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص 146-147

5 - يراجع نفسه، ص 60-61

6 - يراجع نفسه، مصطلح الصنعة، ص 194

عنه كان عبارة عن روايات ومقارنات بين الشعراء، فنجد قوله: ÷ وأنشد الأصمعي قول
مزرد ابن ضرار:

وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبْعِيَةٌ وَأَهَا الْقَتِيرُ تَجْتَوِيهَا الْمَعَابِلُ

قال الأصمعي: لئن كان أجاد في وصف الدرع لقد عاب لا بسها... وأنشد:

الدَّرْعُ لَا أَبْغِي لَهَا ثَرَوَةً كُلُّ امْرِئٍ مَسْتَوْدَعٌ مَالَهُ

هكذا الأصمعي ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه الشيء أصابه¹. وما أورده
القاضي من أبيات أنشدها الأصمعي، مصدرها مما اطلع عليه القاضي من مؤلفات
الأصمعي التي لم يذكر أياً منها؛ كما في قوله: ÷ وقد حكى الأصمعي أن أخوين من
العرب مكثا متهاجرين زماناً، وهما يحلان ويرتحلان معاً...²، كما يورد القاضي رأي
الأصمعي في شعر الكميت ومقارنته بشعر الطرماح وذو الرمة³.

3- الفراء:

ذكر القاضي اسم الفراء في أربعة مواضع في الوساطة، واستعانة القاضي بآراء الفراء كان
في الجزء الأخير من كتابه، أي الجزء المخصص للمسائل اللغوية التي أثارها خصوم
المنتبي في شعره، فنجد القاضي يستعين بالفراء في الدفاع عن المنتبي، كما في تبريره
لاستعماله لـ(إلا) في قوله:

لَيْسَ إِلاكَ يَا عَلِيُّ هَمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عَرِضِهِ مَسْلُوكٌ

يلقب القاضي: ÷ وقد روى الفراء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه:

فَمَا نَبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارِتِنَا أَلَا يَجَاوِزُنَا إِلاكَ دِيَارٌ⁴.

ثم يضيف: ÷ وأنا أرى ألا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن
ثقة وناهيك الفراء⁵.

كما استعان القاضي بشواهد الفراء، للرد على خصوم المنتبي الذين عابوا عليه إضافة

¹ - ينظر: الوساطة، ص 361

² - المصدر نفسه، ص 367

³ - يراجع نفسه، مصطلح اللحن وينظر: الوساطة، ص ص 17، 19، 20، 53، 56، 141، 166، 329، 333، 334، 354

361، 376، 386، 387

⁴ - الوساطة، ص 378

⁵ - المصدر نفسه، ص 378، وينظر: 383، 385

الهاء بـ(قلباه)، فيرد القاضي بقوله: ÷ وقد أجاز الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل وروى فيه:

يا ربّ يا ربّاه إياك أسل عفواً أيا ربّاه من قبل الأجل¹×.

وإطلاع القاضي على كتب الفراء- وإن لم يذكرها- مكّنه من الاستشهاد بآرائه وربما التأثير بمصطلحاته وإن لم يظهر ذلك جلياً.

4-الصاحب ابن عباد:

ذكر القاضي صديقه الصاحب مرة واحدة في الوساطة، وقد ذكرناها سابقاً²، ومن أهم الأفكار النقدية التي يتفق فيها رأي القاضي مع الصاحب، التفاوت في شعر المتنبي ولهذا نجد ÷ الصاحب يبرهن على تفاوت شعر المتنبي وربما كان يعتذر عن هذا التفاوت بقوله: وأي عالم لا يهفو؟ وأي صارم لا ينبو؟ وأي جواد لا يكبو؟!×³، وهذا ما يخبرنا به القاضي في وساطته، عندما يعتبر أن التفاوت شائع عند الشعراء سواء كانوا قدماء أو محدثين.

5-ابن قتيبة:

ذكره الجرجاني مرة واحدة يتيمة في الوساطة، كانت في قوله: ÷ وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هذبة:

ولا أتمنى الشرّ والشرّ تاركِي ولكن متى أُحْمَل على الشرّ أركب

أنه مأخوذ من قول تأبط شراً:

ولسنتُ بمفْرَاحٍ إذا الدهرُ سرّني ولا جازعٍ من صرْفِه المتحوّل×⁴.

وابن قتيبة كان لغوياً نحوياً درس الشعر وقد ألف كتابين في النقد(الشعر والشعراء) و(أدب الكتاب) ومن أبرز القضايا النقدية التي ذكرها القاضي الجرجاني في وساطته وكان ÷ لابن قتيبة فيها رأي جريء هي الخصومة بين القدماء والمحدثين، والقدماء هم أنصار الشعر الجاهلي والأموي إلى نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني أي إلى

¹ - الوساطة، ص383

² - يراجع نفسه، ص33

³ -القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص184

⁴ - الوساطة ، ص184

ما بعد جرير والفرزدق* بقليل، أما المحدثون فهم من أتوا بعدهم وأنصارهم¹×، وكما رأينا في موقف القاضي من هذه القضية، فإنه في عمومها لا يختلف عن موقف ابن قتيبة، فمقياس المفاضلة بين الفريقين-القدماء والمحدثون- هو الجودة ولا فضل لمتقدم على متأخر².

وفي حديثه عن تأثير البيئة على الشعر يستشهد ابن قتيبة بشعر عدي ابن زيد، والذي سبقه في التمثيل بشعره ابن سلام الجمحي في نفس القضية، وعلى طريقهما سار القاضي في التمثيل بشعره لتبيين موقفه من أثر البيئة على اختلاف جودة الأشعار³.

6-الصولي:

ذكره القاضي مرة واحدة فريدة، في قوله: ÷ وهذا كما زعما الصولي أن قول البحري:

علي تحت القوافي من مقاطعها وما علي إذا لم تفهم البقر

مأخوذ من قول البحري:

لا يدهمناك من دهمائهم نفر فإن جلهم بل كلهم بقراً⁴×

والقاضي يتهم الصولي بادعاء السبق في العلم بنقد الشعر، بعدما أورد هذه الشواهد⁵. وللقاضي الجرجاني رأي يتفق مع رأي الصولي في قضية العلاقة بين الدين والأدب أو الشعر، فكلاهما يرى بضرورة الفصل بين الأمرين.

ويرى عبده قلقيلة أن الصولي في كتابه (أخبار أبي تمام) سبق القاضي في التماس عيوب القدماء دفاعاً عن أبي تمام⁶؛ ومن هنا يمكن القول إن القاضي استقى منهجه في الدفاع عن أبي الطيب، والذي قابل فيه عيوب شعر المتبني بمثيلاتها في أشعار القدماء من خلال إطلاعه على منهج الصولي في الدفاع عن أبي تمام.

*كانت وفاتها سنة 110هـ

1- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص150، وينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص266

2- يراجع نفسه، ص51-52-53

3- الوساطة، ص25

4- ينظر: المصدر نفسه، ص291

5- يراجع نفسه، مصطلح النقد، ص241

6- ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص169

وطرحنا لمثل هذه القضايا التي سبق بعض النقاد القاضي الجرجاني في طرحها يعطينا فكرة عن مرجعيات القاضي التي تكونت من خلالها المفاهيم العامة لما ضمنه من مصطلحات في كتابه الوساطة؛ كما يمكننا هذا من تقييم جهد القاضي الخاص، ويكون هذا بمعرفة مواضع إبداعه وابتكاره التي تقرد بها والتي لم يعتمد فيها على أفكار غيره أو ما أضافه على ما وجده وعدم اكتفائه بالنقل.

ب- من أخذ عنهم مع ذكر مؤلفاتهم:

1- أبو زيد الأنصاري وكتابه (النوادر):

ذكر القاضي اسم أبي زيد الأنصاري ست مرات في الوساطة، وذكر في مرة واحدة منها أنه نقل عن كتابه النوادر، كانت في رده على من عاب على المتنبّي حذفه النون من (تكن) لأن حذفها عند استقبال اللام خطأ، كما في قوله:

جَلًّا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ اللَّاعِنُ الشَّيْخُ

فيرد القاضي: ÷ ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه النوادر، وأنشد فيه لحسين بن عرفة:

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسُّرْدِ

وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجة¹. كما ذكر اسم أبو زيد في ما كان يجري بين الرواة و الشعراء، يقول: ÷ ثم استعرضت إنكار الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه². كما نقل القاضي الكثير مما أنشده أبو زيد، فتكررت عبارة ÷ أنشده أبو زيد...³.

2- أبو حاتم السجستاني وكتابه (الإبل):

ذكر القاضي الكتاب ومؤلفه في قوله: ÷ إنه قد جاء عن العرب خماس وسداس إلى عشرة؛ حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتابه الإبل⁴.

3- أبو عبيدة وكتابه (مجاز القرآن):

¹ - الوساطة، ص 366

² - المصدر نفسه، ص 17

³ - المصدر نفسه، ص 16

⁴ - المصدر نفسه، ص 379

ذكر القاضي اسم أبو عبيدة في خمسة مواضع في الوساطة، كان في واحدة منها مرفقاً بكتابه مجاز القرآن: ÷ وزعم أبو عبيدة في (المجاز) أنه لا يعلمهم قالوا فوق رباع، وهؤلاء ثقات لم يحكموا إلا ما علموا¹، كما نقل الكثير مما روي عنه كما في قوله: ÷ زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب...²، وقوله: ÷ حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله ابن الزبير...³.

4- ابن السكيت وكتابه (أدب الكتاب):

ذكر القاضي اسم ابن السكيت في ثلاثة مواضع في الوساطة، أرفقه في إحداها باسم كتابه أدب الكتاب، فيقول على لسان أبي الطيب: ÷ يقال أترجة وأترج وترج، حكاها أبو زيد وذكرهما ابن السكيت في أدب الكتاب⁴.

5- أبو عبيدة وكتابه (الغريب المصنف):

ذكره القاضي مرة واحدة في وساطته، كانت في معرض دفاعه عن مأخذ العلماء على المنتبى في قوله:

أَثَابَ بِهَا مُعَيِّ الْمِطِيِّ وَرَازِمُهُ إِذَا ظَفَرَتْ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظْرَةٍ

يعلق القاضي: ÷ فزعموا أن كلام العرب: ثاب جسم فلان: رجع لقوته بعد المرض؛ وهذا أبو زيد يروي عن العرب: أثناب الرجل إذا ثاب إليه جسمه، وقد حكاها عنه أبو عبيد في الغريب المصنف، وحكى غيره ثاب وأثناب بمعنى واحد⁵.

6- ديوان أبي نواس:

ذكره القاضي ونسب شرحه لابن السكيت، يقول: ÷ وهو الشيخ المقدم والإمام المفصل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابن السكيت⁶، فالقاضي يصف يصف أبا نواس بالشيخ والإمام المفصل والمقدم ويشير إلى اطلاعه على ديوانه الذي فسره ابن السكيت.

¹ - المصدر نفسه، ص 379

² - المصدر نفسه، ص 169

³ - المصدر نفسه، ص 168، وينظر: المصدر نفسه: ص 56، 385

⁴ - الوساطة، ص 389، وينظر: المصدر نفسه: ص 56، 379

⁵ - المصدر نفسه، ص 365

⁶ - المصدر نفسه، ص 365

7- ديوان الأقيشر:

ذكر القاضي الديوان وصاحبه و أشار إليه أكثر من مرة في الوساطة، كما في قوله: ÷
وأنا أرتاب من أبيات الأقيشر؛ فإنها لا تشبه شعره، ولم أرها في ديوانه¹ ×. واستشهد
القاضي بالكثير من الأبيات التي نسبها إلى الأقيشر.

8- أشعار الهذليين:

ذكر القاضي في تعليقه عن قول أحد الشعراء الهذليين: ÷ ومن ذا يسمع قول الهذلي:

أبو مالك قاصِرُ فَقَرَهْ على نفسه ومُشِيعُ غِنَاهُ

إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ ومهما وَكَلَّتْ إليه كِفَاهُ

فيشك أنها تندر فلتة، وتصدر بغتة، وأن لها مقدمات سهلت سبيلها، وأخوات قريبها مأخذها؛
وهي في شعر الهذليين أبيات لم يرو لشاعر غيرها² ×.

ولم يكتف القاضي بذكر شعر الهذليين عامة بل خصص كل شاعر على حدا، فنجده
يستشهد بشعر أبي ذؤيب، وأبي خراش الهذلي، وأبي صخر الهذلي...³.

9- شعر العجاج(جيميته):

ذكره القاضي واستشهد بشعره للفصل بين طرفي الخصومة، فعندما قالوا: ÷ "مخشلبا"
ليس من كلام العرب. فقال أبو الطيب: هي كلمة عربية فصيحة، وقد ذكرها العجاج. ولست
أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب⁴ ×، كما أشار لجيميته واستشهد
بالكثير من أبياتها: ÷ وقد استعمل العجاج في قوافي جيميته ألفاظاً منه⁵ ×، وذكر
له قصيدة أخرى، في قوله: ÷ كما فعل أبو نخيلة بأرجوزة العجاج⁶ ×.

10- ديوان أبي تمام:

1 - المصدر نفسه، ص172 وينظر: المصدر نفسه، ص16

2 - الوساطة، ص141

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص21، 179، 221

4 - المصدر نفسه، ص381-382

5 - المصدر نفسه، ص382

6 - المصدر نفسه، ص169، وينظر: المصدر نفسه، ص381، 382، 385، 393

ذكر القاضي ديوان أبي تمام أكثر من مرة، كما في قوله: ÷ وأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين...¹×، وقوله: ÷ وأعجب من ذلك شاعر يرى ذلك العُرر في ديوانه كيف يرضى أن يقرن له ذلك الغرور²×.

هذه عينة فقط من بعض المصادر التي استعان بها القاضي في دفاعه عن المتبني وصرح بها، ولعل ما لم يصرح به أكثر بكثير، لكن ما عرفناه يعطينا فكرة عن مرجعيات القاضي التي استعان بها وأسهمت في توجيه استعماله لبعض المصطلحات وطريقة تناوله لكثير من القضايا.

وما يلفت النظر أن القاضي يتجاهل ذكر الأمدى ولا يصرح بما أخذه من كتاب الموازنة رغم أن نقاط التداخل بينهما كثيرة، فمثلاً يتعامل مع مصطلح السرقة وفق التقسيم الظاهر الذي سبق أن قال به الأمدى حيث أن:³

أ- هناك معانٍ مشتركة مبنذلة لا يصح أن تكون لشاعر دون آخر.

ب- هناك معانٍ احتازها الشعراء السابقون، وأصبحت من حقهم لأنهم ابتدعوها وهي التي يمكن أن تكون من البديع المخترع.

ج- هناك معانٍ محورة، مجددة، قد تمت إلى معاني شعراء سابقين أو إلى معانٍ مبنذلة فيكون للشاعر حق تحريرها أو تجديدها.

فقد تمثل الجرجاني بما جاء به الأمدى في تقسيمه لمصطلح السرقة، واستعان بمصادر أخرى خاصة بالسرقات جمعها في قوله: ÷ ومتى طالعت ما أخرج أحمد بن أبي الطاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام، وتتبعه بشر بن يحيى على البحتري، ومهلل بن يموت على أبي نواس...⁴×، لكن هذا لم يمنعه من أن يضيف لهذا المصطلح ما يتميز به به عن من سبقه، فقد جعل القاضي السرقة درجات، أقلها سرقة الألفاظ وأقصاها سرقة المعاني، وقد تخفى فلا يتبينها سوى الخبير المقتدر العارف بأسرار الشعر ومواطنه.

¹ - المصدر نفسه، ص 347

² - المصدر نفسه، ص 28

³ - تاريخ النقد والبلاغة، ص 370، وينظر، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 315

⁴ - الوساطة، ص 181

كما أن القاضي نأى بنفسه على أن يتهم أي شاعر بسرقة، فهو يعذر الشعراء المتأخرين، لأن الأول لم يترك للأخر من المعاني إلا اليسير. فاستفاد منه في الكثير من القضايا وتبعه في غير قليل من المصطلحات؛ مما جعل أحد الدارسين المحدثين يقول: ÷ وأشهد لقد كان يخيل إلي وأنا أقرأ الموازنة في هذا الموضع أنني أقرأ الوساطة، وبالعكس¹.

وإذا ما نظرنا إلى تعامل القدماء مع مصطلحات التكلف والصنعة والطبع، نجد أنهم اكتفوا بالتمييز أو الفصل بين المتكلف من الشعر والمطبوع، إذ يقول ابن قتيبة: ÷ ومن الشعراء المتكلف والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر.... والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وارك في صدر البيت عجزه...²، فيما ظلت نظرتهم للعلاقة بين الشعر المطبوع والمصنوع غير محددة فلم يكن هناك فصل بين المصطلحين حتى جاء الجرجاني في القرن الرابع الهجري ليضع حداً فاصلاً بين المصطلحين إذ ÷ يعد من أكثر نقاد القرن الرابع الهجري إدراكاً للعلاقة الجدلية بين الطبع والصنعة، حتى أنه يصف قصيدة(الحمى) لأبي الطيب بأنها جاءت "مطبوعة مصنوعة" فيلتقي الطبع والصنعة نعتاً لنص واحد، ذلك أن الجرجاني أدرك أن الطبع يستوعب الصنعة وهي تسعى إليه³، وهذا مخالف لما اعتمده الأمدى في الموازنة بين الطائيتين إذا اعتمد على الطبع والتكلف كأساس للمفاضلة بينهما، على اعتبار أن عمود الشعر يقوم على الطبع، والتكلف خروج عنه.

كما لم يخرج الجرجاني في كلامه عن (الناقد البصير) عن ما ذكره الأمدى، فالناقد عند الجرجاني هو الناقد نفسه عند الأمدى، فنفس الشروط التي يشترطها القاضي في الناقد الحقيقي؛ وضعها صاحب الموازنة في كتابه، إلا أنها أوسع عند الجرجاني منها عند الأمدى⁴.

وربما دفع اعتماد الجرجاني الكبير على الأمدى بعض الدارسين إلى تقديمه عليه كما فعل محمد مندور فيقول: ÷ ونحن بعد نضعه في المرتبة الثانية بعد الأمدى. وذلك لأن

¹ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 129

¹ - الشعر والشعراء، ص 12

³ - ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 160

⁴ - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 313

معظم آرائه العامة عن الحقائق الأدبية قد سبقه إليها صاحب الموازنة¹، أو جعل كتابه وكتاب الموازنة توعماً كما فعل سلام زغلول إذ يقول: ÷ نستطيع أن نضع كتاب الجرجاني في موضعه اللائق في تاريخ النقد العربي، ونقولك انه وكتاب الموازنة توعمان يقيمان منهجاً واضحاً لدراسة الشعر ونقده².

ولا يقصد بهذا التقليل من مكانة القاضي الجرجاني ومن قيمة الجهد الذي بذله في تأليف كتابه الوساطة، فالقاضي وإن أخذ عن من سبقه إلا انه لم يقف عند حد الأخذ بل طور وجدد؛ بل تفرد وتميز بالكثير مما أضاف، مما جعل إحسان عباس يعتبر أن القاضي الجرجاني ÷ اعتمد بعض الآراء التي وضعت قبل زمنه وحاول ترسيخها بالتوضيح والشرح والتدقيق في التفصيلات × وهذا يتفق مع ما قاله محمد السمرة عندما رأى أن القاضي الجرجاني قد ÷ عالج قضايا كبرى، وأخرى ثانوية، وبيننا أنه قد سبق إلى الكثير من آرائه ولكنه مع هذا يبقى ناقداً فذاً، ومنازلة لا يخبو نورها في تاريخ النقد الأدبي عندنا، لأن المهم في الناقد روحه، ومنهجه، وذوقه، قبل آرائه³.

ويكفي القاضي أنه استطاع أن يطالع على هذا الكم الهائل من آراء سابقيه ويصوغها من جديد مع استغلالها في الدفاع عن المتنبي؛ كما فعل بآراء ابن سلام في أثر البيئة وصناعة الشعر، وموقف ابن قتيبة من القديم والحديث، وآراء الأمدى في عمود الشعر والسراقات... ليكون بهذا ÷ خاتمة النقاد التأثيرين عند العرب الذين كان لهم فضل كبير على عبد القاهر الجرجاني وعلى الذين درسوا المتنبي فيما بعد كالثعالبي صاحب "يتيمة الدهر" والعميدي صاحب "الإبانة عن سرقات المتنبي" والبديعي صاحب "الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" وغيرهم من النقاد والمؤلفين⁴.

وعرضنا لما أخذه القاضي عن بعض النقاد كما يرى عبده قلقيلة⁵، الغاية منه أن نعرف ما هو له خالصاً من دون الناس وما هو للناس خالصاً من دونه فنكون قد وضعنا الأمور في نصابها ورددنا الحقوق إلى أصحابها وبهذا نحسن تقويمه ونعدل في الحكم له أو عليه.

¹ - النقد المنهجي عند العرب، ص 307

² - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 371

³ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 183

⁴ - ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 332

⁵ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 137

المبحث الثاني: أثر القضاء والثقافة الفقهية:

عرف بين النقاد والدارسين والمترجمين لسيرة حياته من المؤرخين بالقاضي الجرجاني رغم أن اسمه عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، فتركت كل هذه الكنيات ولقب بالقاضي، وربما قد نبحت له عن لقب آخر أو كنية فلن نجد وإن وجدنا فلن نخرج على من يصفه بالفقيه الشافعي، ومرد هذا أن ما يفصح عليه أسلوبه ولغته في التأليف تجعلنا نشعر أننا أمام ÷ القاضي الذي أشرب طبعه وذوقه وعقله حب العدالة ومجانبة الهوى ودقة الحكم، وهي نزعة لا بد أنه قد استمدها من تجاربه الطويلة في القضاء وتمرسه بواجباته¹.

فنستطيع القول أن لغة القاضي التي صخرها في تأليفه لكتاب الوساطة هي لغة القضاء كما يصفها محمد مندور ÷ هي أشبه باللغة التي لم نعد نسمعها اليوم إلا من الرهبان الذين ينفقون حياتهم بالأديرة في خدمة العلم، بل قل أنها لغة القضاء، ومن خير القضاة، وهذا

واضح لا في الروح فحسب بل وفي الأسلوب وطرق العبارة².

ومنصب القضاء في الدولة الإسلامية في فتراتنا المختلفة، لم يكن يمنح لأي كان بل هناك شروط أو صفات يستوجب توفرها في شخصية من يشغل هذا المنصب، ومن هذه

¹ - القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص 229

² - النقد المنهجي عند العرب، ص 254

الصفات ÷ أن يكون متصفاً بالصفات التقليدية من رجولة وعقل وحرية وإسلام وعدالة وسلامة حواس، ثم العلم الكامل بأحكام الشريعة¹.

إذا فأهم شرطين يستوجب توفرهما في شخص من يشعل منصب القضاء هما (العقل والعلم)؛ أما العقل فلا يكتفي فيه بالعقل الفطري الذي يصح معه التكليف، بل يشترط أن يكون القاضي صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة ليتوصل لحل المشكلات وفهم المعضلات.

وكذلك العلم لا يجب أن يقتصر فيه على العلم بالمدرجات الضرورية بل يراد به العلم بأصول الشريعة وفروعها (العلم بكتاب الله عز وجل... العلم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم... العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوقة)².

ومن هنا يمكن القول أن القاضي ما كان ليتبوأ هذا المنصب لولا راحة عقله وتام دينه ونضج شخصيته وهذا ما يتضح جلياً من خلال ما يستعمله من عبارات ومصطلحات في كتابه الوساطة.

فنجده يقيم أركان وساطته وأسسها، معتمداً أو منطلقاً مما تشبعت به روحه طيلة مدة اشتغاله بالقضاء، فتكون الوساطة بمثابة المتنفس للملكة الإبداعية التي طال كبتها، فنجده يقول: ÷ وقد وفينا لك بما اقتضاه شرطُ الضمان وزدنا، وبرئنا إليك مما يوجبُه عقد الكفالة وأفضنا، ولم تكن بُغيتنا استيفاء الاختيار، واستقصاء الانتقاد، فيقال: هلا ذكرتَ هذا فهو خير مما ذكرت، وكيف أغفلت ذلك وهو مُقدّم على ما أثبت! وإنما دعوناك إلى المقاصّة وسِمْنَاك في ابتداء خطابنا المحاجّة والمحاكمة، فلزمنا طريق العدل فيها... وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك، ولا تضعف معه محاجّتك، ولعلك إذا رأيت هذا الجدّ في السعي والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خَصْماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط ثم أراك حزياً منازعاً. فإن خطر ذلك ببالك وحدثتك به نفسك فأشعرها الثقة بصدقي، وقرر عندها إنصافي وعدلي، واعلم مُبلّغ، وسامع مُؤدّد، واني كما أناظرك أناظر عنك، وكما أخاصمك أخاصم لك؛ فإن رأيتني جاوزت لك موضوع حجة فردني إليها، ونبهني عليها، فما أبرئ نفسي من الغفلة، ولا أدعي السلامة من

¹ - القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص 51

² - المرجع نفسه، ص 51

الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم¹ ×.

هذا الاقتباس يكشف لنا الكم الهائل من الاصطلاحات القانونية والفقهية، التي يستعملها القاضي، فهو يعتبر نفسه موكلاً بالفصل في الخصومة، فيقول: ÷ وشرعت شروع القاضي المتوسط × فينتهج منهج القضاة عندما يأخذون بالمقاصة، فيسقطون ما على الخصم مقابل ماله، وهذا هو منهجه في كل كتاب، فهو يورد عيوب المتبني ثم يشغلها بمحاسنه ليعمل المقاصة في الجانبين².

ويظهر جلياً مدى تأثير عمل الجرجاني في ميدان القضاء على ما كان يصدره من أحكام، ويعالجه من قضايا، وما كان يستعمله من مصطلحات.

فقد درس القاضي علوم الدين واللغة ونال حظاً من العلوم والآداب، حتى صار علماً اسمه على كل لسان، لكمال علمه وذيوع أخباره، بين العامة وطلاب العلم في عصره، فقد عمل في القضاء عند صاحب ابن عباد، وقد تركت مهنة القضاء أثراً بالغاً في نفسية وسلوك الجرجاني في الحياة، ومن هذه الخلفية لم يرق له موقف بعض الناس من المتبني بين مادم مفرط في المدح وقادح مغالٍ في القدح، فتحرك فيه ذوقه الشعري ليرسم نظرات نقدية منصفة في حق علم من أعلام الأدب، وتأججت فيه مشاعر القاضي الغيور على الإنصاف حين يشعر بوقوع الظلم على أحد من الناس، وكأنه شعر بأن واجبه كقاضي يوجب عليه الحكم في مثل هذه المخاصمات الشعرية كما كان محتتم عليه الحكم بين خصمين في مسألة من مسائل الحياة³.

وقد بدا هذا جلياً في فكرة (العدل)، التي أدار حولها معظم ردوده على خصوم المتبني. وقد انبثق عن فكرة العدل جملة من الأفكار الجزئية التي انبثقت ملامحها في تضاعيف الوساطة: الاعتذار للمتبني، والدفاع عنه، والمعاملة بالمثُل. كما تجلّى هذا التأثير باستخدام القاضي كثيراً من مصطلحات القضاء: العدل، والدِّفاع، والجَرَح، والحكومة، والحكم والحجة والقضاء، والشهادة، والبيّنة⁴.

¹ - الوساطة، ص 155-156

² - ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص 254

³ - ينظر: مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، دراسة: لحسن أبو الرب، المجلد 22 (2)، 2007

⁴ - ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 291

والأساس الذي تقوم عليه فكرة العدل عند الجرجاني يلزمه من جهة بالدفاع عن المتبني والرد على منتقديه، ومن جهة ثانية الاعتراف بنقائصه والكشف عنها.

فالمطلع على كتاب الوساطة تشعره أغلب مصطلحاته أنه أمام حاكم أو قاضي يدير محاكمة بين متخاصمين ÷ ولا أدعي السلامة من الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم¹×، وقوله: ÷ وليس الحكم بين القدماء و المولدين من التوسط بين المحدث والمحدث بسبيل²×.

والقاضي الجرجاني لا يفوت فرصة إلا واستغلها من أجل إظهار ثقافته الفقهية، فهو يفتخر بكونه فقيهاً شافعيًا، فلا تخلو الوساطة من مسائل فقهية وظفها القاضي في قضايا نقدية، كما هو الحال عند تعرضه لمعنى كلمة الأيم لغة وشرعاً لورودها في قول أبي تمام:

حَلَّتْ محلَّ البكر من مُعْطَى وقد رُفَّت من المعطى زَفَافَ الأيم

فيخوض في هذه المسألة الفقهية مستشهداً بالقرآن والسنة ومستعيناً بآراء الإمام الشافعي في هذه المسألة التي استغرق حديثه فيها ثلاث(03) صفحات، فيقول: ÷ فجعل الأيم مقابل البكر في التقسيم، والأيم قد تكون بكرًا؛ وإنما هي التي لا زوج لها...فأما قول النبي(ص): " الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها" فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة...فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيم الثيب، وليس يحفظ عنه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والثيب في اللغة عبارتان عن معنى واحد...³×.

فالقاضي يشير إلى عدم وجود شيء في كتب الشافعي يدل على أن الأيم والثيب لهما دلالة واحدة، فالقاضي يصرح باطلاعه على كتب الشافعي كاملة، وتصفحها فلم يجد لهذه المسألة إشارة تؤكد اتفاق الكلمتين في المعنى، ويجدر الإشارة إلى أن القاضي ذكر اسم الشافعي أكثر من أربع مرات في الوساطة.

ويكفي القاضي أن يطلع على كتب الشافعي حتى يتشبع ويتأثر بفكره الفقهي، مما ينعكس على أسلوبه ونظرته لبعض القضايا، كما أن تأثير ثقافته الفقهية كان واضحاً من خلال طريقة رده على خصوم المتبني وكثرة استشهاده بالقرآن والحديث الشريف.

¹ - الوساطة، ص156

² - المصدر نفسه، ص52

³ - ينظر: الوساطة، ص75

فقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها أو ذكرها القاضي في سياق حديثه في وساطته (18 آية) قرآنية، وأما عدد الأحاديث النبوية التي استشهد بها في مسائل مختلفة فقد بلغ (05 أحاديث) منها ما ذكره في قضية البيئة وأثرها على أسلوب الشعر؛ ومنه ما استشهد به في موضوع السرقات؛ ذلك أنه من الشعراء من يأخذ معاني الأحاديث النبوية ويضمنها في شعره، وعموماً أغلب الأحاديث التي أوردها كانت للفصل في ما اختلف حوله من مسائل لغوية في شعر المتنبي.

ويكون القاضي الجرجاني بهذا قد ألف كتاباً في النقد أبان فيه عن قدر كبير من الثقافة الفقهية من خلال ما عرضه من مسائل. واستطاع أن يوظف قدرًا من المصطلحات التي أغرب ما تكون إلى النقد؛ توظيفاً يكشف عن تشبعه بروح القضاء وميله إليها.

المبحث الثالث: المسائل اللغوية:

حفل الجزء الأخير من كتاب الوساطة بالكثير من المسائل النحوية والصرفية، التي تطرق لها القاضي من جانب نقدي ÷ فانتشرت مصطلحات البصريين والكوفيين في ثنايا كتاب الوساطة، واستعملها الجرجاني من دون ترجيح تماشياً مع ما شاع في الدرس النحوي في عصره، فكشف القاضي عن شخصية المتنبي اللغوية من خلال كتاب الوساطة، فقد نقل الجرجاني في مواضع كثيرة عن المتنبي أقوالاً وردوداً وتعليقات صرفية ونحوية ساقها أبو الطيب دليلاً على استقامة أبياته الشعرية وسلامتها اللغوية¹.

فالجرجاني عندما قسم خصوم المتنبي إلى صنفين ÷ إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، فهو يتعرض إلى انتقاد المعاني لما يدل على نقصه ويكشف عن استحكام جهله... أو معنوي مدقق لا علم له بإعراب ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر وينقم الأمر البين².

وفي ما أثارته هذه المسائل النحوية والصرفية من خلاف بين خصمي الوساطة، تدخل القاضي العادل، ليحكم بعين العالم الملم بأنواع العلوم بما في ذلك علوم اللغة مستخدماً بعض المصطلحات النقدية والتي أغرب ما تكون إلى كونها مصطلحات لغوية كالغلط

¹ - ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في الوساطة، ص 136

² - ينظر: الوساطة، ص 360

واللحن والفساد في اللغة و والإحالة التي تحيد الكلام عن وجهه وتسبب الخطأ في الإعراب و حتى الحذف والزيادة و التقصير، وهي حسب رأينا ما كان القاضي ليأتي على ذكرها لولا تطرقه لهذه المسائل اللغوية.

فالرد على ما عابه اللغويون عن المتنبي كشف القاضي عن بعض العيوب المسكوت عنها منطلقاً من مبدأ أساسه أنه إذا ÷ كان يؤخذ على المتنبي والمحدثين أغلاط في النحو و المعاني، فقد وقع القدماء في مثلها¹.

فوجد القاضي في دفاعه عن المتنبي عندما طعن في شعره من جهة الإعراب واللكنة يؤكد أن ما وقع عليه الطعن من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيئية، والتقصير الفاحش².

ويتعاضى الجرجاني عن الكثير من الأخطاء اللغوية التي وقع فيها الشعراء المحدثون على اعتبار أنها من دواعي الضرورة الشعرية التي يجب أن نجيزها لشاعر فالكثير من ÷ النحاة و اللغويين أجازوا للشاعر ركوب الضرورة- وهم حراس اللغة والقائمين على نقائها وسلامتها- لإدراكهم حاجة الشاعر إلى هامش من الحرية تسمح له بالانزياح عن الاستخدام العادي للغة والعدول عن بعض القواعد دون إفراط أو تفريط³.

وسبب حاجة الشاعر إلى ركوب الضرورة الشعرية هو إقامة الوزن وإيقاع القافية باعتبارهما قيدين شعريين على نحو ما⁴.

و غاية القاضي من إجازة الضرورة الشعرية للمحدثين هو تبرير أخطاء المتنبي و إنصافه بين شعراء عصره ومن سبقوه، فلا حرج على أبي الطيب في إتباع فصحاء العرب في ضروراتهم، فمثلا في قوله:

مَضَى بَعْدَمَا أَلْتَفَّ الرَّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا

يعلق القاضي: ÷ فأنكروا تثنية الرماح، وهو جمع رمح فحاجهم أبو الطيب ببيت أبي النجم:

تَنَقَلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّنَقْلِ بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ

¹ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 124-125

² - الوساطة، ص 360

³ - معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 46

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 56

والتثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس، وأكثر ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضره من الشعراء العرب، فهم القدوة وبهم الائتتام، وفيهم الأسوة¹×.

ولا يعني هذا أن القاضي يجيز للشاعر ركوب الضرورة الشعرية إجازة مطلقة؛ بل يستعين بها إذا اضطر إليها، في حين لا يعذر الشاعر فيها، عندما يترك الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية أو حاجة ماسة².

ومن خلال كلامه نتأكد أن القاضي محيط بأراء الكوفيين والبصريين اللغوية فهو يحتج من هذا ومن ذلك فيذكر على لسان المحتج: ÷ هذا لعمرى أصل القياس في النحو؛ غير أن ضرورة القياس تجيز ترك القياس في النحو، وقد أجازوا ذلك في النكرات، وهو في الجواز من هذه المعارف؛ قال الشاعر:

صاح هل أبصرت بالخَبِّ تئين من أسماء ناراً

وقال العجاج:

جاري لا تستنكري عذيري*

فإذا جاز هذا في النكرات فهو في المعارف أجوز؛ مع أن النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه في أبواب ضرورة الشعر.

وقوله:

بِيضَاءٍ يَمْنَعُهَا التَّكَلُّمُ دُلُّهَا تِيهًا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا

فنصب تميم مع حذف أن، وهو عند النحويين ضعيف، ولا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون عوض، وقد أجازوه الكوفيون، وأنشدوا قول طرفة:

ألا أيُّ هذا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الوَعَى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

بإضمار أن، والبصريون يروونه على الرفع³×.

لم نستشهد ونمثل للمصطلحات النقدية التي ذكرها القاضي عند تطرقه للمسائل اللغوية لأننا سبق وأن ذكرنا أغلبها، بل وأحصيناه ومثلنا له في معجم المصطلحات¹.

¹ - الوساطة، ص 173

² - ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 55-56

* لم يرد الشطر الثاني من البيت، ولم يشر له المحقق في الإحالة

³ - الوساطة، ص 385-386

¹ - يراجع نفسه، مصطلح الإحالة، الفساد، الحذف، الأصل، التقصير.....

مدخل:

شغل كتاب الوساطة منذ تأليفه وإلى العصر الحالي الكثير من الدارسين، ولعل مرد هذا الانشغال والاهتمام يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة شخصية مؤلف هذا الكتاب، والذي يضاف إلى كونه ناقدًا وأديبًا متمرسًا؛ طول اشتغاله بالقضاء وتمكنه من علوم الدين والتفسير وامتلاكه لغة الفقهاء وأسلوبهم ومصطلحاتهم، وهذا ما انعكس بشكل أو بآخر على مادة كتابه، وعلى منهجه الذي سار عليه في معالجته لبعض القضايا؛ والتي وإن سبقه إليها الكثير من أسلافه النقاد، غير أنه وجد لنفسه طريقة في التناول والمعالجة لهذه القضايا تميزه عن من سبقه، بل تجعله محور الاهتمام والمصدر الرئيس لمن يبحث أو يستفسر حول ما أثير من خلاف بين النقاد حول أهم القضايا في تاريخ النقد العربي القديم.

ولأن المصطلحات في كتاب الوساطة- وهي محور هذه الدراسة- تشكل المفاتيح الأساسية التي يمكن من خلالها، التعرف على موقف القاضي من أهم القضايا التي اختلف حولها في نقدنا القديم؛ وهذا من خلال ما يوظفه وطريقة توظيفه وتعامله مع كل مصطلح، وجب علينا الوقوف على المفاهيم العامة لهذه المصطلحات في فكر القاضي الجرجاني.

وبما أن القاضي لم يذكر تعريفات أو يحدد معاني أو مفاهيم ما يستعمله من مصطلحات؛ ذلك أنه لم يكن في كتابه بصدد التعريف بها بل كان يذكرها في سياق تعليقاته على بعض الشواهد الشعرية، أو في محاجاته لخصوم المتبني، فوجب علينا استنباط معاني تلك المصطلحات من خلال تتبع أشكال ورودها في نصوص مختلفة؛ من أجل الخروج بمفهومها الحقيقي الذي لم يصرح به القاضي وإن كان متأصلاً في تفكيره وعقله.

وليس بخفي على كل مطلع على كتاب الوساطة اختلاط مسائل النقد بالبلاغة، وهذا الاختلاط بين مسائلهما أمر طبيعي ما دام موضوعهما واحد وهو النصوص الأدبية كما يقول عبده قلقيلة¹، فالفصل بين النقد والبلاغة أمر تأباه طبيعة الأشياء من جهة وتاريخ تطور النقد من جهة ثانية.

ومع هذا هناك اتفاق بين عدد لا بأس به من الدارسين، حول أسبقية القاضي في التأسيس للفصل بين المصطلحات النقدية والبلاغية، كما يرى محمد مندور²، عندما يعتبر

¹ - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، عبده قلقيلة، ص 378

² - ينظر: النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، ص 266

أن القاضي مهد السبيل إلى تحويل النقد إلى بلاغة وذلك لأنه لم يعتمد على النقد الموضوعي قدر اعتماده على المبادئ العامة التي حاول أن يستخلصها أو ينمها إن كان قد سبق إليها.

وعموماً هذا ما حولنا الوقوف عليه من خلال خطوات هذه الدراسة التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- 1- إحصاء المصطلحات وما يتبعها من اشتقاقات
 - 2- تقسيم المصطلحات ومشتقاتها إلى حقول أو مجموعات تشترك في نفس الجذر
 - 3- التعريف اللغوي للمصطلح الأهم في كل مجموعة وبعض مشتقاته
 - 4- التعريف الاصطلاحي لجذر المصطلح في كل مجموعة وبعض مشتقاته
 - 5- تحديد عدد مرات ورود المصطلح وما تبعه من اشتقاقات تحديداً دقيقاً
 - 6- إيراد معنى المصطلح عند القاضي مع التمثيل
 - 7- ذكر أوصاف ونعوت و عيوب المصطلحات المحصاة-إن وجدت-
 - 8- أثرنا أن نشير للقضايا التي أثارها القاضي حول بعض المصطلحات
 - 9- نختم عرضنا لكل مصطلح ومشتقاته بخلاصة لأهم ما ذكرناه عنه
- مع الإشارة إلى أن اختيارنا للمصطلحات الرئيسية التي تنصدر كل مجموعة والتي تخص بالتعريف اللغوي و الاصطلاحي، بالإضافة إلى ترتيبنا لما يتبعها من مشتقات، لم نراعي فيه قرب المصطلح من جذر أو أصل الكلمة، بل كان اختيارنا للمصطلحات التي أقرب ما تكون وأسهل لاستنباط المعنى العام لهذا المصطلح، فمثلاً اختيارنا لمصطلح (الأوائل بدل الأول) رغم قرب مصطلح الأول من أصل أو جذر الكلمة، مرده أننا وجدنا مصطلح الأوائل في استعمال القاضي أوضح في الدلالة على القدماء والأسلاف من الأول، وهكذا مع باقي المصطلحات.

معجم المصطلحات:

الابتداء

(الابتداءات-المبتدئ)

الابتداء: يقول ابن فارس: « الباء والذال والهمزة من افتتاح الشيء، يقال بَدَأْتُ بالأمر وابتدأتُ، من الإبتداء»¹، و « بَدَأَ بِهِ إِبْتِدَاءً، وَبَدَأَهُ فَعَلَهُ وَابْتَدَاءً وَبَدَأَ اللهُ الْخَلْقَ: خَلَقَهُمْ وَأَوْجَدَهُمْ»²، وقيل: « بَدَأَ الشَّيْءُ: فَعَلَهُ إِبْتِدَاءً أَيْ قَدَمَهُ فِي الْفِعْلِ، وَالْمُبْدِئُ: هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ وَاخْتَرَعَهَا مِنْ غَيْرِ سَابِقٍ مِثَالُ»³، و « الْبَدْءُ وَالْإِبْتِدَاءُ تَقْدِيمُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ ضَرْباً مِنَ التَّقْدِيمِ ... وَمَبْدَأُ الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي مِنْهُ يَتَرَكَّبُ أَوْ مِنْهُ يَكُونُ»⁴، كما أن « الْبَدْءُ فَعْلُ الشَّيْءِ أَوَّلُ ... وَالْإِبْتِدَاءُ فِي الْعَرُوضِ: اسْمٌ لِكُلِّ جُزْءٍ يَعْتَلُ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ بَعْلَةً»⁵.

و في الاصطلاح: « ذكر البلاغيون أن الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاث مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأصح معنى. وهذه المواضع هي: الابتداء، و التخلص والانتهاء»⁶، وفي الكشف « حسن المطلع يكون باستخدام ألفاظ فصيحة وجزلة وأن تكون معانيها بديعة ومناسبة لمقتضى الحال»⁷، وقيل « الابتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو « نثراً، أنيقاً بديعاً، لأنه أول ما يقرع السمع، فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن

¹ - معجم مقاييس اللغة، أبو حسن احمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة(د.ط)، 1952م

مادة (بدأ)

² - مختار الصحاح، أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2009م،

مادة (بدأ)

³ - القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية،

بيروت لبنان، ط2، 2007م، مادة(بدأ)

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الأصفهاني، تح: محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2009م، مادة

(بدأ)

⁵ - لسان العرب، أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، مادة(بدأ)

⁶ - معجم النقد العربي القديم، احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م، ص32

⁷ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: علي وحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت

ط1، 1996م، ج1ص673

كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن»¹. واعتبر أن «الابتداء الحقيقي هو الذي لم يتقدمه شيء أصلاً»².

في اصطلاح (الوساطة):

الابتداء:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وقد جاء بمعنيين:
أ- الابتداء بمعنى البيت أو الأبيات الأولى التي تفتح بها القصيدة يقول: « واستقبح افتتاحه مخاطبة ملك»³، يقصد المتبني في قوله:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ويضيف القاضي في كلامه عن ما عيب من ابتداء المتبني فيقول: « وما عيب من ابتدائه»⁴، ثم يورد مجموعة من الأبيات التي تمثل بعض ما عيب من مطالع قصائد المتبني كقوله:

كُفِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمِكِ الْوَمَا هَم أَقَامَ عَلَى فُوَادِ أَنْجَمَا

وقوله:

هَذَا بَرَزْتِ لَنَا فَهَجْتِ رَسِيْسَا ثُمَّ انْتَهَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسَا

وقوله:

أُوهُ بَدِيْلٌ مِنْ قَوَاتِي وَهَآ لِمَنْ نَأَتْ وَالبَدِيْلُ ذِكْرَاهَا

ب- الابتداء بمعنى اختراع المعنى والسبق إليه، ونجد هذا في رد القاضي الجرجاني على من يعيبون مطالعاً من شعر أبي الطيب، بقوله أن له في هذا الباب ما هو غاية في الجودة؛ وأنه كان يحتذي القدماء في عدم التأنق في الاستهلال، فيرى أن ما عيب من ابتداء المتبني يقتفر له إذا ما سمعنا قوله:

أَتْرَاهَا لِكُثْرَةِ العُشَاقِ تَحْسِبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي المَآقِي

¹ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد (د.ط) 1983م ج1 ص

31-30

² - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، أعده: عدنان درويش ومحمد المصري،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص30

³ - الوساطة، ص138

⁴ - المصدر نفسه، ص136

فيعلق عن البيت بقول: « فإنه ابتداء ما سمع مثله، ومعنى انفراد باختراعه»¹، ثم يضيف أمثلة أخرى عن ما استحسننا من ابتداء المتنبي كقوله:

على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وقوله:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

وكلها ابتداءات ذائعة تفرد بها المتنبي وتشهد له بالاقنتدار وامتلاك القدرة عن الاختراع والسبق للمعاني، وتَغْفِرُ لَهُ ما عيب من ابتداءه.

الابتداءات:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، و الابتداءات جمع ابتداء وعنى بها القاضي أول الكلام، نثراً كان أو شعراً، يقول: « وترك الخير في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط»².

المبتدئ:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء فيها بمعنى السابق للأمر في حديثه عن المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه فيقول: « وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، تبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياء السابق فاقتطعه»³.

وقد دعا القاضي إلى ضرورة عناية الشعراء بافتتاح قصائدهم، فالشاعر الحاذق عنده من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولهذا على كل شاعر أن يتلطف ويترفق، ويتخذ من النسيب أو المديح معبراً يصل به إلى قلب السامع دون أن يحدث نبواً أو انقطاعاً.

¹ - المصدر نفسه، ص 138

² - الوساطة ، ص 376

³ -المصدر نفسه، ص 161

الإبداع

(الابتداع-المبتدع)

الإبداع: من بَدَعَ، فيقال: « بَدَعَ الشيء يبدُعه بَدْعاً وابتَدَعَهُ: أنشأه وبدأه، وابتَدَعْتُ الشيء: اخترعته لا على مِثَال، وفي التنزيل: (﴿لَوْ أَن رَأَىٰ مِنْكُمْ مُّجْرِمِينَ﴾)¹، أي ما كنت أول من أُرْسِل، قد أُرْسِل قبلي رُسُل كثير، وابتَدَعَ الشيء: جاء بالبديع»²، وقيل: « أبدأع الشاعر: أتى بالبديع، وأبدأع: أبطل، وبدعه: نَسَبَهُ إلى البديع، واستبدعه: عدّه بديعاً»³.

وفي الاصطلاح: « الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء وقيل الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء»⁴، كما اعتبر أن « الإبداع هو الإتيان بشيء لا نظير له، أو إخراج ما في العدم إلى الوجود والجودة»⁵، وقيل: « الإبداع لا يكون خلقاً من عدم إذ يفترض مادة لغوية وموضوعات فنية تاريخية يستلهمها الفكر الإبداعي الخلاق في الأدب»⁶، وهو « أن يكون الكلام مشتملاً على عدة أنواع من البديع»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

الإبداع:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وجاء فيها بثلاثة معاني وهي:
أ- الإبداع بمعنى السابق لاختراع و ابتكار المعاني الجديدة، وقد ورد هذا في قوله: « فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه اختراعه وإبداع مثله»⁸.

1- سورة الأحقاف، الآية 9

2- لسان العرب، مادة (بدع)

3- القاموس المحيط، مادة(بدع)

4- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط1985، ص6

5- المعجم المفصل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م

ص25

6- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م، ص16

7- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت (د.ط) 2003م، ص334

8- الوساطة، ص185

ب- الإبداع بمعنى الفطنة والذكاء والسبق إلى المستظرف من المعاني، يقول: « وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبياتٍ تُختار، ومعانٍ تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب وإبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرفٌ لا يصدر إلا على غريزة واقتدار»¹، فالإبداع هنا مقابل للفطنة والذكاء وسرعة البديهة والتصرف في ارتجال الألفاظ والمعاني المستظرفة والجديدة، وقوله: « وأعزل لك المقدم والمؤخر، وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد»².

ج- الإبداع بمعنى البديع والتصنع في الشعر، مثلما ذهب إليه أصحاب البديعيات وعلى رأسهم المصري، والذين اعتبروا أن الإبداع هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر يشتمل على عدة ضروب من البديع³، وهذا أغرب ما يكون من ما ذهب إليه القاضي القاضي في تعليقه على أبيات من شعر البحري بقوله: « ثم انظر: هل تجد معنى مبتدلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً!، وهل ترى صنعة أو إبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً!»⁴.

الابتداع:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وقد جاء بالمعنى الأول للإبداع أي الابتكار والاختراع في قوله: « ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع؛ فوجدت منه مستقيضاً متداولاً متناقلاً لا يعد في عصرنا مسروقاً...»⁵، وفي قوله: « فهذا مقدارُ اختراعه، وهذا طريقةُ ابتداعه»⁶.

المُبتدع:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والمُبتدع عند القاضي هو المُبتكر والجديد، الذي لم يسبق إليه أحد، سواء كان في النثر أو الشعر، يقول: « وينفرد أحدهم بلفظة تُستعذب، أو

¹ - الوساطة، ص 55

² - المصدر نفسه، ص 142

³ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 1 ص 35

⁴ - الوساطة، ص 33

⁵ - المصدر نفسه، ص 161

⁶ - المصدر نفسه، ص 158

ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع¹، ثم يمثل للمتداول-عكس المبتدع- بقول لبيد:

وَجَلَّ السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ نُجِدُ مَثُونَهَا أَقْلَامُهَا

ويعلق عن هذا البيت بقوله: « فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء²»، فالبيت خالي من الاختراع والإبداع، اعتمد فيه لبيد على معاني متداولة بين الشعراء.

مصطلح الإبداع عند القاضي غالبا عليه معنى التفرد والسبق إلى الجديد من المعاني والألفاظ التي لم يسبق إليها أحد، بعيدا عن التقليد والإتباع، كما يدخل في معناه كل ظريف ونادر ومستظرف تتمتع به النفس، ولم تجري العادة بمثله.

¹ - المصدر نفسه، ص 163

² - الوساطة، ص 164

الاحتجاج

(الحجة-المحاجة-المحتج)

الاحتجاج: جاء في المقاييس: « يقال حاجبت فلاناً فحجّته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج. والمصدر الحجاج¹، وقيل « الحجة: البرهان وقيل: الحجة ما دُفِعَ به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل مُحجّج أي جدلٌ والتَّحاجُّ: التَّخاضُّ؛ و حَجَّجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ التي أَدَلَّيْتُ بِهَا»².

أما في الاصطلاح: « في اللغة إثبات القاعدة بالشاهد النثري أو الشعري...والحجة: البرهان...وقيل: ما دُفِعَ به الخصم³، و القصد من الحجة « إلزام الخصم وإسكاته»⁴.
في اصطلاح (الوساطة):
الاحتجاج:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث عشرة موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وقصد به القاضي الجرجاني ما يستخدمه أحد طرفي الخصومة من إثباتات أو أدلة شعرية أو نثرية لرد على الطرف الآخر، كما فعل من يعتبرون شعراء الجاهلية القدوة، والأعلام والحجة ولهذا « ذهب الخواطر في الذبّ عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»⁵ وفي دفاعه عن المتنبّي يصرح القاضي بأنه لم يترك إثباتات في دفاعه إلا واستخدمه، فيقول: « قد قلت في هذه الأبواب...قولاً مجملاً يسهل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج. ولم أجد لإثبات كلّ لفظة، واستعراض كل بيت موقعا...»⁶.

الاحتجاج بالشعر:

وهو أمر محذور عند القاضي « في العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِرَ الاحتجاج بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقاة الشعراء»⁷.

¹ - معجم مقاييس اللغة، مادة(حج)

² - ينظر: لسان العرب، مادة(حج)

³ - المعجم المفصل في الأدب، ص36

⁴ - كشاف اصطلاحات الفنون، ص622

⁵ - الوساطة، ص14

⁶ - المصدر نفسه، ص360

⁷ - المصدر نفسه، ص28

الحجة:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً) وقصد به القاضي الدليل والبرهان، يقول: « وهو باب يضيق مجال الحجة فيه، يصعب وصول البرهان إليه»¹.

المحتج:

تكرر هذا المصطلح في ستة وعشرين موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً) وكان أغلبها في الجزء الأخير، والمحتج عند القاضي جاء على صنفين يختلف معناه فيهما باختلاف موقفهما من المنتبى:

أ-المحتج وقصد به المدافع عن المنتبى، وتقمص هذا الدور في كتاب الوساطة القاضي الجرجاني بدفاعه عن أبي الطيب، فيقول: « فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمرى إن وجه الكلام ما ذكرتم، ولكن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام »²، فالقاضي يدافع عن المنتبى مستنداً إلى حجج تؤكد ما يذهب إليه، ففي رده عن أصحاب المعاني الذين عابوا عن شعر المنتبى؛ انقطاع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى « فقال المحتج عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام...فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس عيب»³.

ب-المحتج وقصد به الخصم المتهم والطاعن في شعرية أبي الطيب، وتقمص هذا الدور خصوم المنتبى، فقد « زعم بعض المحتجين عنه أن العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وجهه»⁴، وهي المرة الوحيدة التي حمل فيها المحتج معنى الخصم. فتكرر في الجزء الأخير من الوساطة عبارة(فقال المحتج) وهو القاضي الجرجاني حين يرد على خصوم المنتبى .

المحاجة:

تكرر هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة(منكراً ومعرفاً) و قصد القاضي بالمحاجة

¹ - الوساطة، 91

² - المصدر نفسه، ص366

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص366

⁴ - المصدر نفسه، ص370

المعارضة بإيراد الحجة التي تعارض حجة الطرف الآخر، يقول: « ومن القسم الذي لا حظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة»¹، وقوله: « ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك ولا تضعف معه محاجاتك»².

ومصطلح الاحتجاج وما تبعه من اشتقاقات وظفه القاضي بطريقة تؤكد أننا أمام قاضي متأثر في ما استخدمه من مصطلحات نقدية بالقضاء.

¹ - الوساطة، ص 341

² - المصدر نفسه، ص 156

الاحتذاء

(مُحْتَذٍ - مُحْتَذِي)

الاحتذاء: « حَذَا حَذْوَهُ: فَعَلَ فِعْلَهُ، وَيُقَالُ فُلَانٌ يَحْتَذِي عَلَى مِثَالِ فُلَانٍ: إِذَا اقْتَدَى بِهِ فِي أَمْرِهِ، وَحَادَى الشَّيْءَ: وَازَّاهُ، وَاحْتَذَى بِهِ: اقْتَدَى بِهِ»¹، وقيل: « حَذَا النعلَ بِالنعلِ أَي قَدَرَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبَتِهَا، وَالْحِدَاءُ النَعْلُ وَاحْتَذَى انْتَعَلَ، وَحِدَاءُ الشَّيْءِ إِزَاؤُهُ، وَاحْتَذَى مِثَالَهُ اقْتَدَى بِهِ»²، وقيل: « حَادَاهُ: آزَاهُ وَالْحِدَاءُ: الْإِزَاءُ، وَالْحِدْوَةُ: الْعَطِيَّةُ، وَالْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ»³.

وفي الاصطلاح: تجمع المعاني اللغوية على أن الاحتذاء هو أن يتبع أحد غيره فيقتدي به ويقلده، والمثال المشهور بين النقاد في الاحتذاء، قول الفرزدق:⁴

أترجو ربيع أن تجيء صغارها بخير، وقد أعيا ربيعاً كبارها

احتذاه البعيث فقال:

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير، وقد أعيا كليباً قديمها

فقال الفرزدق عندما سمع هذا البيت:

إذا ما قلت قافية شروداً تتخلها ابن حمراء العجان

والحذو في هذه الأبيات يراد به الإتيان في الألفاظ والمعاني.

في اصطلاح (الوساطة):

الاحتذاء:

ورد مصطلح الاحتذاء عشر مرات في الوساطة كان في ثماني منها (منكراً)، أما معناه عند القاضي فهو الإتيان أو التقليد الذي يعتمد به بعض الشعراء، مع اختلاف في الطريقة فقد يكون الاحتذاء في اللفظ والمعنى، وقد يكون في تتبع الشاعر لأسلوب شاعر آخر، وهذا ما يستفاد من المرات التي ورد فيها مصطلح الاحتذاء في كتاب الوساطة بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً. ويمثل القاضي لاحتذاء بقول ابن الرومي:

¹ - لسان العرب، مادة (حذا)

² - مختار الصحاح، مادة(حذا)

³ - القاموس المحيط، مادة(حذا)

⁴ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، محمد عزلم، ص16

هي الأعينُ النُّجْلُ التي كنتَ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا في القَلْبِ والرَّأْسِ أَسْوَدُ

فمَالِكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ تَرْمِي سِوَاكَ وَتَعَمَّدُ

يلق القاضي: « فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه»¹، ثم يورد قول أبي الطيب:

مَنْى كُنَّ لِي أَنَّ الْبِيَاضَ خِصَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

فكَيْفَ أَدَمَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا كُنْتُ أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ

ويلق بقوله: « وقد كان الاحتذاء في المعنى، وإن تغير تركيب الكلام نتيجةً للقلب»².

ويمثل القاضي للاحتذاء الجيد بما فعله أبو الطيب ببيت البحري والذي فيه:

فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ وَلَا تَقُلْ أَمَامَ شَتَى أَوْ فِرْقِ

يلق القاضي: « وقال أبو الطيب واحتذى مثال البحري وأجاد، وللبحري الفضل»³، ثم

يورد قول أبو الطيب الذي احتذى فيه بالبحري:

إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعْنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَبِيلُ

فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبُ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

والاحتذاء هنا في الأسلوب والمعنى، وإن اختلفت الألفاظ، وهذا للقدرة على الإجابة في

الاحتذاء التي يتمتع بها المتنبى.

ويرد هذا المصطلح في سياق حديثه عن مدى إحاطته بشعر الأوائل والأواخر، فيقول: «

لأنني لم أدعي الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر... عساني أن أكون رويته ثم نسيته، أو حفظته

لكني أغفلت وجه الأخذ منه، وطريقة الاحتذاء به»⁴.

مُحْتَذٍ:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة يتيمة في الوساطة، ومحتذ من الاحتذاء، ويحمل معناه

يقول القاضي: « ومثل المصراع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحري:

متى ما أسير في البلاد ركائبي أجد سائقي يهوى إليك وقائدي»⁵.

¹ - الوساطة، ص 340

² - المصدر نفسه، ص 340

³ - المصدر نفسه، ص 253-254

⁴ - المصدر نفسه، ص 140

⁵ - المصدر نفسه، ص 212

مُحتَدِي:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة وكانت نكرة في الوساطة، وقصد به الجرجاني من يقوم بالاحتذاء بغيره من الشعراء فهو عنده محتدياً أو مقلداً متبعاً، كما في كلامه عن السرقات الشعرية إذ يقول: « فصار المعتدي مختلساً سارقاً، والمشارك له محتدياً تابعاً¹، فمن الجلي أن المحتدي هنا جاء بمعنى المتبع المقلد، وهذا هو المعنى العام للاحتذاء عند القاضي.

فالاحتذاء عند القاضي الجرجاني قد يكون في المعنى وقد يكون في اللفظ وقد يكون في الأسلوب أو تركيب الكلام.

¹ - الوساطة، ص 161

الإحالة

(المحال)

الإحالة: أَحَالَ أَتَى بِمُحَالٍ، يُقَالُ أَحَلْتُ الْكَلِمَ أَحِيلُهُ إِحَالَةً: إِذَا أَفْسَدْتُهُ، وَالْمُحَالُ مِنَ الْكَلَامِ مَا عَدَلَ بِهِ عَنِ وَجْهِهِ، وَحَوْلَهُ: جَعَلَهُ مُحَالًا¹، وَقِيلَ: «حَالَتِ الْقَوْسُ وَاسْتَحَالَتْ أَي انْقَلَبَتْ وَاعْوَجَتْ، وَحَالَ عَنِ الْعَهْدِ انْقَلَبَ، وَحَالَ لَوْنُهُ تَغَيَّرَ، وَحَالَ الشَّيْءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَي حَجَزَ، وَحَالَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ تَحَوَّلَ، وَ أَحَالَ الرَّجُلُ أَتَى بِالْمُحَالِ وَتَكَلَّمَ بِهِ»²، وَقِيلَ: «حَوْلَهُ جَعَلَهُ مُحَالًا، وَالْمِحْوَالُ: الْكَثِيرُ الْمُحَالِ»³.

وفي الاصطلاح: «أن يذكر الشاعر أو غيره معنى يستحيل وقوعه، كقول ابن مقبل:

أما الأداة ففينا ضمّر صنع جودٌ حواجزُ بالألباب واللجم

ونسج داود من بيض مضاعفةٍ من عهد عاد وبعد الحي من إرم»⁴

و «المحال الموقف أو الأمر الذي يتنافى مع المعقول، وإدراكه قد يثير الضحك»⁵. في ما اعتبر «المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه»⁶، وقيل أن «الاستحالة امتناع وقوع الشيء عقلاً، وهو معيار رداءة يترتب عليه تعطيل دور الخيل في إدراك صور ومعاني الشعر»⁷، وللإحالة معنى آخر: «وهو إرجاع الشيء إلى الشيء، يقال: الإحالة: مصدر أحلته على كذا وهي قسمان: خفية وجلية»⁸.

في اصطلاح(الوساطة):

الإحالة:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وجاء فيها بمعنيين:

1- لسان العرب، مادة (حول)

2- مختار الصحاح، مادة(حول)

3- القاموس المحيط، مادة (حول)

4- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص100

5- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكمال المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م

ص340

6- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص241

7- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص88

8- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص55

أ- قصد بالإحالة ذكر الشاعر لمعنى يستحيل أن يحصل، يقول القاضي في تعليقه عن الإحالة عند أبي نواس: « ووجد له في الإحالة قوله:

وَأَحَفَّتْ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّىٰ إِنَّهُ لِنَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخَلِّقْ¹ »

فالمعنى المستفاد من هذا البيت يستحيل وقوعه، ولهذا اعتبره القاضي من الإحالة في شعر أبي نواس.

والإحالة مما يعيبه خصوم المتنبي على شعره، يقول القاضي: « ولم تزد عن أحرف تلتقطها، وألفاظ تمحلثها، ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة ووصفت بعضاً بتعسف والغثاثة²، ومن إحالة المتنبي التي لا يتصور وجودها في الحياة قوله:

كَفَىٰ بَجَسْمِي نَحَوْلًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مَخَاطَبْتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي³

فمهما بلغ المرء درجات النحول، لن يبلغ درجة أن يصبح غير مرئي.

ب- كما حملت الإحالة معنى العدول بالكلام عن وجهه، في تعليقه على قول أبي تمام:

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جَزَعًا مِنْ رَاحَتِكَ دَرِي مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ

فيقول: « فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن (إن كان) لم يذوق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه⁴. ففساد الترتيب والترتيب واختلال النظم، نتيجة لإحالة الكلام عن وجهه.

والمرات المتبقية التي ذكر فيها القاضي مصطلح الإحالة كانت مرتبطة بالغلط واللحن وفساد المعنى، يقول: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط و إحالة وفساد معنى⁵، وقوله: « ونعارض حجتك بالزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة⁶ » وقوله: « وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة⁷ ».

¹ - الوساطة، ص 61

² - المصدر نفسه، ص 77

³ - المصدر نفسه، ص 348

⁴ - المصدر نفسه، ص 75

⁵ - المصدر نفسه، ص 17

⁶ - المصدر نفسه، ص 91

⁷ - المصدر نفسه ص 158

والإحالة في الشعر عند القاضي نتيجة لإفراط والمبالغة فهي شعبة من الإغراق، يقول: « وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق»¹.

الإحالة البيئية:

وهي الظاهرة، وردت في دفاعه عن المتنبي فيما طعن في شعره من جهة الإعراب واللكنة، يقول: « فأما ما وقع عليه الطعن من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيئية، والتقصير الفاحش»².

المحال:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بالمعنى الأول للإحالة في تعليقه عن قول أبي نواس، الذي ذكرناه سابقاً، فيقول: « فهو من المحال الفاسد...»³.

فالإحالة عند القاضي مما يعاب في الشعر، كونها سبب في خروج الكلام عن وجهه واختلال نظمه وفساد ترتيبه، كما أن الإحالة سببها الإفراط والمبالغة في المعاني وما ينجر عنه من إغراق يخل بمعاني الشعر.

¹ - الوساطة، ص 348

² - المصدر نفسه، ص 360

³ - المصدر نفسه، ص 354

الأخذ

(المأخوذ)

الأخذ: الأصل في الأخذ: « حوز الشيء»¹؛ ويكون ذلك « تارة بتناول نحو قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْنَاهُمْ أَيُّ آلَاءِ رَبِّنَا نَكَرُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْنَاهُمْ أَيُّ آلَاءِ رَبِّنَا نَكَرُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْنَاهُمْ أَيُّ آلَاءِ رَبِّنَا نَكَرُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْنَاهُمْ أَيُّ آلَاءِ رَبِّنَا نَكَرُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْنَاهُمْ أَيُّ آلَاءِ رَبِّنَا نَكَرُونَ﴾

الأخذ على خلاف العطاء، وهو بمعنى التناول، أخذت الشيء أخذاً: تناولته»⁵، ويقال: «

انْتَحَذُوا بِهِمَزَتَيْنِ: أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَمَأْخِذُ الطَّيْرِ: مَصَائِدُهَا»⁶.

وفي الاصطلاح: « الأخذ مصطلح أدبي ماثور عن قدامى البلاغين، والنقاد العرب

بمعنى تناول الشعراء المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم. وهي مسألة

تدخل في نطاق السرقات»⁷، كما يطلق « هذا المصطلح على الشاعر الذي أخذ المعنى أو

أو جانباً منه ممن سبقه أو عاصره من الشعراء»⁸، كما أنه « استغلال الشاعر أو الناثر لما

لما جاد من معاني سابقيه وألفاظهم بنقلها مع تحوير»⁹.

وقد يأخذ هذا المصطلح معنى السرقة، إذا « أخذ القائل من آخر معناه أو معناه وبعض

لفظه، أو معناه وكثيراً من لفظه»¹⁰.

في اصطلاح الوساطة:

الأخذ:

¹ - ينظر : مقاييس اللغة، مادة (أخذ)

² - سورة يوسف، الآية 79

³ - سورة البقرة، الآية 254

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أخذ)

⁵ - لسان العرب، مادة (أخذ)

⁶ - القاموس المحيط، مادة(أخذ)

⁷ - معجم المفصل في اللغة والأدب، ص55

⁸ - المعجم المفصل في الأدب، ص43

⁹ - ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار الأفاق الجديدة، بيروت

(د.ط) 1982م ص54

¹⁰ - معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد اسير و بلال جنيدي، ط1، 1981م، ص526

ورد هذا المصطلح في ستة وخمسين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني متصل بسرقة، فمنه ما هو مذموم قبيح، لما فيه من استغلال لمعاني وألفاظ السابقين، ومنه ما هو حسن مقبول، لما فيه من تجديد وزيادة مليحة، ذلك أن الأخذ قائم على تداول المعاني بين الشعراء وهي مسألة لا بد منها لأن اللاحق يتأثر بالسابق، يقول: «... ثم تُدوول بعده، فكثُر واستُعمل، فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد، والاستفاضة على ألسُن الشعراء، فحمى نفسه من السرقة، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ...»¹.

ويقول أيضاً في ما معناه أن الأخذ هو إتباع وتقليد من اللاحق إلى السابق: « حكمت بأن السرقة عنها منقضية، والأخذ بالإتباع مستحيل ممتنع»²، ويمثل لبعض ما أخذه المتنبي من غيره وما أخذه غيره منه فيقول: « وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول»³، ثم يورد قول أبو تمام:

نُؤيَ كما نَقَصَ الهِلالَ مَحَافُهُ أَوْ مِثْلَ مَا قَصَمَ السُّوَارَ المِعْصَمَ

ويقصد بالأول قول المتنبي:

وَنُؤيَ كَأَنَّهِنَّ عَلَيْهِ نَّ خِدَامُ خَرَسَ بِسُوقِ خِدَالِ

ولأبي هلال العسكري رأي آخر يساير رأي القاضي في مسألة الأخذ، فيقول: « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب عن قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض تأليف ويوردوها في غير حليتها الأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها»⁴.

حسن الأخذ:

هو أخذ المعنى مع التجديد في صيغته، وتضمينه الزيادة المليحة ونجد هذا النوع من الأخذ في تبرير الجرجاني لبعض ما أخذه المتنبي عن غيره يقول: « وما ضرّ قول المتنبي:

¹ - الوساطة، ص 162

² - المصدر نفسه ، ص 161

³ - المصدر نفسه، ص 213

⁴ - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، ط 1، 1952م، ص 196

فاستعارَ الحديدُ لوناً وألقى لونهُ في ذوائبِ الأطفالِ

وإن كان مأخوذاً من قول العامة: هذا أمر يشيب الطفل. وكانت الشعراء قد تداولته وابتدأته حتى أخلق ورثاً، وقد زاد فيه الزيادة المليحة¹.

ونجد الجرجاني يستحسن أخذ الجُويرية العبدية لبيتي الخنساء وجمعهما في بيت واحد فيقول: « وقد أخذ أبو الجويرية بيتي الخنساء أحسن أخذ، وجمعهما في بيت استوفى فيه معنيهما². قالت الخنساء:

وما بَلَغتُ كَفُّ امرئٍ متناولٍ من المجدِ إلا والذي فيكَ أطولُ

وما بُلغَ المُهذونُ نحوكَ مدحةً وإن أطنّبوا إلا وما فيكَ أفضلُ

أخذهما أبو الجويرية وجمعهما في قوله:

يزيدُ على سَرِّوِ الرجالِ بسُرِّوهِ ويقصرُ عنه قولُ مَنْ يتمدّح³

مذمة الأخذ:

مصطلح أطلقه القاضي على الشاعر الذي يعمد إلى معنى غيره فيأخذه بلفظه كله دون تغيير، فيفسده ويقصر فيه عن من تقدمه، يقول: « وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ⁴، وهذا ما عابه القاضي عن أبي الجويرية فقال: « إنما العيبُ على أبي الجويرية العبدية إذ أخذ قول نُصَيْب، فقال:

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهلِ ودانٍ طالبُ

فعاجوا فأنثوا بالذي أنتَ أهلهُ ولو سَكَنُوا أثنتُ عليكِ الحقائق

فنقل معناه وكثيراً من ألفاظه، ثم يقع من إحسانه أحسن موقع فيقول:

أقولُ لِقَافلينِ يُرى عليهم عطايا منكَ ليس لها حساً

قِفوا أُخْبِرْكُمْ وَنُخْبِرْوني قَلِيلاً والسَّرَابُ له اختِباب

لأفصِحُهم وما كفروك حُسناً ولوا فَعَلُوا لكذِّبه العِياب⁵»

¹ - الوساطة، ص 167

² - المصدر نفسه، ص 167

³ - المصدر نفسه، ص 167

⁴ - المصدر نفسه، ص 162

⁵ - المصدر نفسه ، ص 167

وتطرق الكثير من النقاد إلى هذا النوع من الأخذ، فنجد أبو هلال العسكري يقول عنه: « قبح الأخذ أن تعمد على المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن»¹، وقد أورد القاضي الكثير من الأمثلة عن الأخذ بين الشعراء، وما تبع ذلك من مناقشات ومخاصمات، بين من له الأحقية في أن ينسب له هذا البيت أو ذلك.

المأخوذ:

ورد هذا المصطلح خمس عشرة مرة (معرفاً ومنكراً) في الوساطة، والمأخوذ ما يقع عليه فعل الأخذ، فالشعر المأخوذ ليس لشاعر بل أخذه عن غيره يقول القاضي: « فإن ألحقت به المأخوذ المسترق فلبعض الأغراض المتقدمة»²، ويذكره القاضي في حديثه عن المعاني المشتركة التي لا يعد أخذها من السرقة يقول: « ولا يحسب مأخوذاً، وإن كان الأصل لمن انفرد به، وأوله للذي سبق إليه »³.

المأخذ:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة وكلها معرفة، ومعناه عند القاضي هو الطرق أو السبل التي يستقي منها الشاعر أشعاره، يقول: « وأن لها مقدمات سهلت سبيلها وأخوات قربت مأخذها»⁴، وقوله: « والحكم على كل واحد بعينه؛ لاختلاف مأخذ حجه»⁵.

ومن هذا نرى أن القاضي الجرجاني يميل إلى أن الشاعر يصبح أحق بالمعنى إذا أخذه وزاد فيه وأحسن، لأن تدول المعاني بين السابق واللاحق أمر مسلم به، فلأول فضل سبق إلى المعنى، وللاخر فضل الزيادة فيه. و أخذ المعاني ليس بالأمر السهل بل يحتاج تمكن ودراية لإخفاء الأخذ.

¹ - كتاب الصناعتين، ص 229

² - الوساطة، ص 142

³ - المصدر نفسه، ص 161

⁴ - المصدر نفسه، ص 141

⁵ - المصدر نفسه، ص 360

الأدب

(أهل الأدب - التأدب - الأديب - الأدباء)

الأدب: « الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاةً ومأدبةً، و الأدب: أدب النفس والدرس، وأدبه فتأدب: علمه، واستعمله، ويقال: للبعير إذا ريض أدب، و الأدب: مصدر قولك أدب القوم يأدبهم إذا دعاهم إلى طعامه، الأدب: الداعي إلى الطعام، قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا يئنقر

والأدب: العجب»¹، وقيل: « أدب بالضم أدباً بفتحين فهو أديبٌ و استأدب أي تأدب»².

أما في الاصطلاح: من معانيه الكثيرة حسن الخلق، قال أبو زيد الأنصاري « الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»³، وقد يقصد به « التهذيب في السلوك والكياسة في القول والتصرف»⁴، وهو أيضاً « علم من علوم العربية يتعلق بالفصاحة والبلاغة»⁵، وله معنى خاص « وهو الشعر والنثر وما يتصل بهما من أخبارٍ وأنساب وأحكام نقدية»⁶، وحديثاً « يعد الأدب لغة ما أي نظام علامات، ولا تتمثل كينونته في هذه اللغة، بل في نظامه»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

الأدب:

¹ - ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(أدب)

² - مختار الصحاح، مادة(أدب)

³ - المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي(د.تج)، دار الصحوة، ط2010، 1 مادة(أدب)

⁴ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص58

⁵ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1ص127

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص47

⁷ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط1، 1985م، ص31

تكرر مصطلح الأدب خمس مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وقد جاء بثلاث معاني عند القاضي وهي:

أ- جاء بمعنى الخُلق أو الأخلاق التي يجب أن تراعى في التعامل مع الآخرين قال القاضي الجرجاني: « فكذاك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف أو تخرج في بابه إلى الإسراف»¹، فالقاضي يدعو هنا إلى ضرورة العدل والإنصاف في الحكم عن شعر المتبني، ليس مراعاة للأدب فقط بل لوجوب ذلك لما في هذا الشعر من مزايا ومحاسن.

ب- كما جاء الأدب بمعنى الكلام عامة شعراً كان أو نثراً شرط أن يكون كلاماً جميلاً حسناً، قال القاضي في هذا: « وعائب يروم إزالته عن رتبته، فلم يسلم له فضل، ويحاول حطه عن منزلة بواه إياها أدبه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله وإظهار معائبه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته»²، ويقول أيضاً: « وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه»³.

ج- و جاء الأدب بمعنى الكلام الحسن المطبوع المهذب الخالي من التكلف والمصقول قال القاضي الجرجاني: « ولست أعني بهذا كل طبع، بل المهذب الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد... »⁴.

أهل الأدب:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة، وأهل الأدب هم أصحاب صناعة الأدب- الخبراء فيه- سواء كانوا خطباء أو شعراء⁵، وقال القاضي الجرجاني: « ما زلت أرى أهل الأدب- منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية ببني وبينهم- في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتبني...»⁶، وقوله في نفس السياق: « ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى...»⁷، وقوله: « ولقد حدثني بعض أهل الأدب أنه

¹ - الوساطة، ص 12

² - المصدر نفسه، ص 12

³ - المصدر نفسه، ص 12

⁴ - المصدر نفسه، ص 31

⁵ - ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 63

⁶ - الوساطة، ص 12

⁷ - المصدر نفسه، ص 46

حضر عند أبي الحسن بن لَنَكِّك البَصْرِيّ- وكان على فضله في العلم ، وتقدمه في الأدب-
«¹.

الآداب:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بالمعنى الأول للأدب؛ أي الأخلاق والقيم التي تربط بين الناس، يقول: « ولم تزل العلوم أيديك الله لأهلها أنسابا تتناصر بها والآداب لأبنائها أرحاماً تتواصل عليها»².

التأديب:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وإذا كان التأديب هو رياضة الأطفال وتربيتهم حتى تستقيم أسنتهم وأخلاقهم³، فهذه النتيجة المتحصل عليها بعد التأديب هي التأديب أي تثقيف الأذهان، وتقويم الخلق واللسان وبالتالي فهو الانتقال من حال إلى حال يقول القاضي: « فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأديب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله»⁴.

فالتأديب عند القاضي هو انتقال العرب من استعمال وحشي الكلام وأصعبه، إلى اختيار أسهل الكلام وألينه وأكثره ظرافة، ويتضح هذا في قوله: « فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأديب»⁵، فتأديب مرتبط بالحضر وأهل المدن عند القاضي الجرجاني .

الأديب:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، ومعنى الأديب في اللغة المُهَدَّب والمُؤَدَّب وبمعنى الظريف. وهو من أدب الرجل، يَأْدُبُ أدباً، فهو أديب، من قوم أدباء⁶. وفي الاصطلاح: هو الكاتب المتفرغ للكتابة الأدبية، والمتمكن في لغته وعلوم اللغة جميعاً، والمتقف ثقافةً واسعة في تاريخ أدبه وتاريخ آداب كثير من الأمم⁷.

¹ - المصدر نفسه، ص 46

² - الوساطة، ص 11

³ - ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 66

⁴ - الوساطة، ص 25

⁵ - المصدر نفسه، ص 72

⁶ - لسان العرب، مادة (أدب)

⁷ - المعجم المفصل في الأدب، ص 76

وعنه الأديب يقول القاضي في وساطته: «الأديب الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعترة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير»¹، ويقول: «وهيهات أن يعرض لك الأديبُ الفَظِن»²، ثم يورد قول عامر الثقفي:

كأن رَيْقَه لما عَلَا سَبْطاً أَقْرَابُ أبلق ينفي الخيلَ رَمَاح

ويرقى القاضي بالأديب إلى أعلى المراتب فيخصه بوصفه بالفاضل والفَظِن.

الأدباء:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والأدباء جمع أديب، قال القاضي: «وقد يمتنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً»³.

فالأدب عند القاضي مع تعدد معانيه واشتقاقاته غلبت عليه المعاني المرتبط بالأخلاق والجانب الديني، فهذا ما نلمسه في كل النصوص التي ورد فيها هذا المصطلح واشتقاقاته.

¹ - الوساطة، ص 92

² - المصدر نفسه، ص 163

³ - الوساطة، ص 51

الاستشهاد

(الشاهد - الشهود - الشهادة - الشواهد - المشاهدة)

الاستشهاد: « استشهدتُ فلان على فلان إذا سألته إقامة شهادة، يقال: أشهدتُ الرجل على إقرار الغريم واستشهدتُهُ بمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾¹ أي: أشهدوا شهيدين»²، ويقال: «الشهادة: خبر قاطع، واستشهدته: سأله أن يشهد، وشاهده عاينه»³، وشهد عند ابن فارس تدل على «حضور وعلم وإعلام... والشاهد: اللسان»⁴.

وفي الاصطلاح: هو «أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر، فيكون هذا بمثابة الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»⁵، كما أنه «وضع برهان على لغة أو فكرة لتأكيد ما ذهب إليه، وإثباته بالحجة، وهو نوعان: استشهاد في اللغة يكون بعرض قضية لغوية أو نحوية وإثباتها بسوق دليل من القرآن، أو الحديث، أو الشعر. واستشهاد في الأدب يكون بسوق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها»⁶، ويعد «الشاهد من الشعر هو الذي يستشهد به بعد قول أو رأي لا ثبات صحته»⁷. والشاهد «ما يتمثل

¹ - سورة البقرة، الآية 282

² - لسان العرب، مادة(شهد)

³ - القاموس المحيط، مادة(شهد)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة(شهد)

⁵ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 23

⁶ - ينظر: المعجم المفصل في الأدب، ص 85-86

⁷ - معجم النقد العربي القديم، ج2ص64

به في إثبات قاعدة»¹، وهذا ما ذكره أبو هلال العسكري عندما قال: « هو أن تأتي بمعنى وتؤكد به معنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»².

في اصطلاح الوساطة:

الاستشهاد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، وقد عنى به القاضي الجرجاني أمرين:

أ- الاستشهاد بمعنى الإثبات والتأكيد بإيراد الحجة لإثبات صحة المعنى وقد جاء بهذا

المعنى مرتين في الوساطة، إحداها في تعليقه على البيت التالي:

أَحَادُ أَمْ سُدَّاسُ فِي أَحَادٍ لِيُيْلِنُنَا الْمَنُوطَةَ بِالنَّتَادِ

فيقول: « ومنها أنه أقام أحادا وسُدَّاسا مقام واحد وستة... ومنها أنه صغر الليلة، ثم

وصفها بطول، ووصلها بتتادي، حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار وإلى التناول

والاستشهاد»³، وفي قوله: « ولسنا ننازعك في هذا الباب فهو باب يضيق مجال الحجة

فيه، ويصعب وصول البرهان إليه، وغنما مداره على استشهاد القرائح الصافية»⁴، وقوله:

« وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ»⁵.

ب- الاستشهاد بمعنى الوضوح والبيان، كما في قوله: « ثم تُدَوَّل بعده فكثير واستعمل

فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد»⁶.

الشاهد:

الشاهد في اللغة له معاني كثيرة منها: الحاضر والعالم الذي يبين ما علم و اللسان

وأصله عموما « يدل على حضور وعلم وأعلام»⁷، ومن معانيه، أيضا المخبر بالخبر

القاطع⁸.

¹ - المعجم الأدبي، ص 146

² - كتاب الصناعتين، ص 416

³ - الوساطة، ص 91

⁴ - المصدر نفسه، ص 91

⁵ - المصدر نفسه، ص 312

⁶ - المصدر نفسه، ص 162

⁷ - لسان العرب، مادة (شهد)

⁸ - مقاييس اللغة، مادة (شهد)

في اصطلاح (الوساطة):

الشاهد:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة بمعنيين مختلفين:

أ- بمعنى الشعر الذي ينشد عقب خبر ما قصد إثبات صحته، وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى مرة واحدة في الوساطة و كان نكرة، في قوله: « ولو أقبلنا على استيعابها وتميز ضروبها و أصنافها، لا حتجنا إلى إتباع كل ما يقتضيه من شاهد و بيان ومثال »¹.

ب- بمعنى الشخص أو المخبر الذي يشهد على شيء كما في قوله تعالى:
 ﴿لَا تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا إِلَىٰكَ أَوْ يُرْسِلُوا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ أَجْمَلُ﴾²، ورد مرة واحدة في قول الجرجاني: « توطئة لما نذكره على أثره، وتدرجاً إلى ما بعده ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره »³.
 شهود:

جمع شاهد بمعناه الثاني، أي الشخص الذي يشهد على شيء، وقد ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة كلها نكرة، كما في قوله: « والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من المتوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم »⁴، وقوله: « وتجعل هؤلاء شهودك وحججك »⁵.

الشهادة:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً) بهذه الصيغة، في ما جاء بصيغة الفعل (شهد) سبع مرات، وشهد من الشهادة عند القاضي فنجده يقول: « وعجلت بالحكم قبل استقاء الحجة، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة »⁶، وفي حديثه عن أبي نواس يقول: « وهو الشيخ المقدم والإمام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة

¹ - الوساطة، ص 51

² - سورة البقرة، الآية 282

³ - الوساطة، ص 51

⁴ - المصدر نفسه، ص 156

⁵ - المصدر نفسه، ص 56

⁶ - المصدر نفسه، ص 77

والأصمعي¹ « وقوله: « عرفت من طُرق السَّرْق، ووجوه النقل ما يسوغ فيه حُكْمُك، وتُعَدَّلُ فيه شهادتك² ».

الشواهد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، والشواهد جمع الشاهد بمعناه الأول فالشواهد في الشعر هي الأبيات التي تتشد لتأكيد صحة أمر ما، ومعناها عند الجرجاني لا يختلف عن هذا، يقول: « ولو لزمت هذا المثال في شعر أبي تمام لتظاهرت عليك الحجج و كثرت عندك الشواهد...³ »، وقوله: « فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة، وأكثر هذا المصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأقمت لك الشواهد عليه...⁴ ».

المشاهدة:

تكرر هذا المصطلح ست مرات في الوساطة (معرفةً ومنكراً) جاء فيها بمعنى الملاحظة فيقول: « وقد تحمل العصبية فيه العالم على دفع العيان، وجدد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، ولاشتهار بالجور والتحامل⁵ »، وقوله: « فإن ادعيت ذلك وجدت العيان العيان حَجِيحَك، والمشاهدة خصمك؛ وعدنا بك إلى أضعاف ما صدّرنا به مخاطبتك⁶، وقوله عن ما عيب عن شعر المتتبي وصحته المشاهدة: « وإن كانت المشاهدة صحّحت قول الشاعر⁷ »، وقوله: « لأنه من المبتذل العامي، المشاهد في كل حال⁸ ».

فالاستشهاد عند القاضي بمثابة الحجة والبرهان لتأكيد صحة رأيه أو موقفه من قضية ما كما أن طرفي الخصومة اتخذه وسيلة لتأكيد ما يذهب إليه كل منهما، بإيراد شواهد تجاري آرائهم في المقصد المراد الوصول إليه وتبليغه.

¹ - المصدر نفسه، ص 56

² - المصدر نفسه، ص 341

³ - المصدر نفسه، ص 64

⁴ - الوساطة، ص 356

⁵ - المصدر نفسه، ص 180

⁶ - المصدر نفسه، ص 55

⁷ - المصدر نفسه، ص 395

⁸ - المصدر نفسه، ص 168

الاستعارة

(المستعار - المستعار له - المستعار منه)

الاستعارة: « عَوْر: تَدَاوُلُ الشَّيْءِ، وَالْعَارِيَّةُ: نَقْلُ الشَّيْءِ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ، حَتَّى تُصْبِحَ تِلْكَ الْعَارِيَّةُ مِنْ خَصَائِصِ الْمُعَارِ إِلَيْهِ، وَالْعَارِيَّةُ وَالْعَارَةُ: مَا تَدَاوَلُوهُ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ أَعَارَهُ الشَّيْءُ وَأَعَارَهُ مِنْهُ وَعَاوَرَهُ إِيَّاهُ، وَالْمُعَاوَرَةُ وَالنَّعَاوُرُ شِبْهُ الْمُدَاوَلَةِ وَالتَّدَاوُلِ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ. تَعَاوَرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ، وَاسْتَعَارَهُ الشَّيْءُ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ، وَاسْتَعَارَ الْمَالَ: طَلَبَهُ»¹، واعتبرت « الْمُعَاوَرَةُ فِي مَعْنَى الْإِسْتِعَارَةِ»²، ويقال: « اسْتَعَارَهُ ثَوْباً فَأَعَارَهُ إِيَّاهُ. وَاعْتَوَرُوا الشَّيْءَ تَدَاوَلُوهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ»³.

أما في الاصطلاح: هي « استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، أو هي تشبيه حذف أحد طرفيه»⁴، كما أنها « استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الأصلي»⁵، ويعتبرها البعض « تشبيه

¹ - ينظر: لسان العرب والقاموس المحيط، مادة (عور)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عور)

³ - مختار الصحاح، مادة (عور)

⁴ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 29

⁵ - جواهر البلاغة، ص 303

حُذِفَ مِنْهُ جَمِيعُ أَرْكَانِهِ إِلَّا الْمَشْبَهَ أَوْ الْمَشْبَهَ بِهِ، وَأَلْحَقَتْ بِهِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْمَعْنَى الْمُسْتَعَارَ لَا الْحَقِيقِيَّ»¹.

في اصطلاح (الوساطة):

الاستعارة:

تكرر هذا المصطلح في تسعة وعشرين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، ومعنى الاستعارة عند القاضي الجرجاني ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، يقول: « وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»².

كما أن الاستعارة عند القاضي تعد عمدة الكلام والسبيل لتزيين اللفظ و تجميل الشعر والنثر، يقول: « فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسع والتصرف و بها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر»³.

ويقول أيضاً في تعقيبه عن بعض ما عيب في شعر المتنبي: « ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضها بالتعسف والغثاثة، وبعضاً بالضعف والركاكة، وبعضاً بتعدي في الاستعارة»⁴، ويقصد بالتعدي في الاستعارة هنا الإفراط والمبالغة في استعمالها.

ومن خلال هذه الاقتباسات نجد ثلاثة مصطلحات متعلقة بالاستعارة وهي:

المستعار:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والمستعار هو اللفظ المنقول في الاستعارة، كما في قول أبي تمام:

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَن غَطَارِفَةٍ* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

¹ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 89

² - الوساطة، ص 45

³ - الوساطة ، ص 355

⁴ - المصدر نفسه، ص 77

* الغطارفة: السادة

المستعار هو الضحك، كما نجد هذا المصطلح في تعليق القاضي عن أبيات لأبي تمام: « فلم يخلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة، طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزله »¹.

المستعار له:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار له اللفظ الذي يستعار له المعنى، وهو ما يقابل المشبه في التشبيه، ففي قوله تعالى: () (٢ ١ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠)²،

المستعار له هو الشيب وقد تقدم في الاستعارة³.

المستعار منه:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار منه اللفظ الذي تستعار منه صفة من الصفات، وهو ما يقابل المشبه به في التشبيه ففي قوله تعالى: () (٢ ١ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠)⁴، المستعار

منه هو النار، وقد تقدم في الاستعارة⁵.

الاستعارة اللطيفة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وهو أحد أوصاف الاستعارة، التي أطلقها القاضي في تعليقه عن هذين البيتين: قول امرئ القيس:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلٍ

وقول عدي بن الرفاع:

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَانِمِ جَاسِمِ

¹ - الوساطة، ص37

² - سورة مريم، الآية 4

³ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص252

⁴ - سورة مريم، الآية 4

⁵ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص252

فيقول القاضي: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قريهما منه، والمعنى واحد وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيداً عن البديع، إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة، التي كسته هذه البهجة»¹.

وتعريف القاضي للاستعارة متميز عن تعريفات أسلافه، فهو أكثر وضوح وأعمق دلالة وهو يوضح العلاقة بين المستعار له والمستعار منه وهي المشابهة، وملاكها تغريب الشبه وائتلاف ألفاظ صورتها مع معانيها حتى لا توجد منافرة بينها.

الأصل

(الأصول)

الأصل: « أسفل كل شيء وجمعه أصول لا يُكسَّر على غير ذلك...ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل»²، وقيل: « أصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائر» لذلك قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالشَّيْبَةُ وَالْحَبْلُ السُّبُكِيُّ وَالْحَبْلُ السُّبُكِيُّ﴾³ «⁴ وقيل: «الأصلُ الحَسْبُ والفصلُ اللِّسَانُ. والأصيلُ الوقتُ بعد القصر»⁵.

¹ - الوساطة، ص36

² - لسان العرب، مادة(أصل)

³ - سورة إبراهيم، الآية24

⁴ - مختار الصحاح، مادة(أصل)

⁵ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(أصل)

أما في الاصطلاح: « الأصل: ما يبني عليه غيره، والفرع ما يبني على غيره»¹.
في اصطلاح (الوساطة):
الأصل:

تكرر هذا المصطلح ست وأربعين مرة (معرفاً ومنكراً) في الوساطة، وجاء فيها بمعنيين:
أ- أصل الإنسان، طبيعته التي خلق عليها يقول القاضي: « بدوي جرى على طبعه، أو متحضر حن إلى أصله؛ لكنه يُعرض عنه صَفْحاً، ويتناساه جملة»².
ب- وأصل البيت من الشعر أول من نظمه في معناه، يعلق القاضي عن قول أبي الطيب:

وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا
يقول القاضي: « وأصله من قول موسى بن جابر الحنفي، وهو من خفي الأخذ:
فلا أَسْلَمْتَنَا عند قوم حفيظةً ولا نحنُ أغمدنا السيوفَ على وثرٍ»³
وعن قول أبي الطيب:

تَدْبِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي عَدِّ وَهُجُومٍ غَرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا
يعلق القاضي: « وقد قالوا: إن الأصل فيه قول قطري بن الفجاءة:

ثم انثنت وقد أُصِبتُ ولم أُصِبْ جَدَّعَ البصيرةِ قارحَ الإقدام»⁴.
فالمعاني التي جاءت في أبيات المتنبي أخذها عن غيره؛ الذي يعد الأصل.
الأصول:

جمع أصل، تكرر في خمس مواضع من الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وقصد القاضي بالأصول ما أجمع عليه النحاة وجعلوه من الأصول في العربية التي لا يختلف فيها يقول: « ولا تكاد تجد باب من العربية يخلو من نوادر وشواذ؛ ولو جعلت أصولاً وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام»⁵، وكذلك: « خان وخانات، وهارون

¹ - الحدود الأنيفة في المعاني الدقيقة، زكريا بن محمد الأنصاري، تح: مازن مبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان

(د.ظ) 1991م، ص 66

² - الوساطة، ص 47

³ - المصدر نفسه، ص 195

⁴ - الوساطة، ص 218

⁵ - المصدر نفسه، ص 370

وهارونات، وإوان وإوانات، فعدلوا بجميع هذه الأبنية عن أصول قياسها، وألحقها بأصول الجمع وغلبوا فيها التأنيث»¹.

ومصطلح الأصل وإن قصد به القاضي في بعض المواضع أول من ينظم البيت في معناه، غير أن أكثر المرات التي ذكر فيها كانت في الجزء الأخير من الوساطة، حين تكلم عن أصول اللغة التي يرجع إليها في القياس.

الإطالة

(الطول-الطويل-التطويل)

الإطالة: يقال: « طَالَ الشَّيْءَ طَوَّلاً وَأَطَلَّتْهُ إِطَالَةٌ أَيْ حَدَدْتُهُ وَجَعَلْتُهُ طَوِيلاً »²، واعتبر «الطولُ ضدَّ العُرْضِ وَطَالَ الشَّيْءَ يَطْوُلُ طَوَّلاً أَمْتَدَّ وَطَوَّلَهُ غَيْرُهُ، وَطَاوَلَنِي فَلَانَ فَطَلَّنْتُهُ أَيْ كُنْتُ أَطْوَلَ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا أَكْرَ لَا طَائِلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ غِنَاءً وَمَزِيَّةً، وَتَطَوَّلَ عَلَيْهِ أَيْ أَمْتَنَ عَلَيْهِ، وَطَاوَلَهُ فِي الْأَمْرِ أَيْ مَاطَلَّهُ، وَأَطَالَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَتْ وَلِداً طَوَّالاً »³، يقال « اسْتَطَالَ عَلَيْهِ تَطَاوَلَ وَقَدْ يَكُونُ اسْتَطَالَ بِمَعْنَى طَالَ »⁴، كما أن « والطَّوْلُ والقِصْرُ

¹ - المصدر نفسه، ص 369

² - لسان العرب، مادة (طول)

³ - مختار الصحاح، مادة (طول)

⁴ - القاموس المحيط، مادة (طول)

من الأسماءِ الْمُتَضَايِفَةِ ويستعمل في الأعيان والأعراض كالزمان... والطُولُ قيل للحبل المرخي على الدابة طُولٌ»¹.

وفي الاصطلاح: إعطاء الكلام حقه من التوسع لإيصال المقصد.

وما يعرف على معظم البلغاء أنهم لا يميلون إلى الإطالة في الكلام، ويجنحون إلى الإيجاز والاقتضاب، بل أن بعضهم كان لا يكاد يتكلم، كعمر بن عبيد الذي أخبرنا عنه الجاحظ: « كان عمر بن عبيد لا يكاد يتكلم فإذا تكلم لا يكديطيل، وكان يقول: لا خير في متكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه، وإذ طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتيك به التكلف»²، ومن « الإطالة التطويل وهو أن يُزادَ لفظٌ على الأصل المراد بلا فائدة، وهو نوعٌ من الحشو»³.

في اصطلاح (الوساطة):

الإطالة:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة، و معنى الإطالة عند القاضي الجرجاني هو التوسع والاسترسال وإعطاء الكلام حقه يقول: « حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار إلى التناول والاستشهاد»⁴، ويعلق على بيت المتنبي:

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقْفُ بِهَا وَقُوفَ شَاحِجِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ حَائِمُهُ

بقوله: « قالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف، فبالغ في تقصيره»⁵.

الطول:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة، ومعناه لم يختلف عن معنى الإطالة، فنجده في قوله: ، وفي قوله: « ولا تسمحُ بها القريحةُ إلا بعد الدرية وطول الممارسة»⁶، وفي قوله: « ومنها أنه صغر الليلة، ثم وصفها بالطول، ووصلها بالتناد»⁷.

الطويل:

¹ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (طول)

² - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998، م ج1 ص115

³ - المعجم المفصل في الأدب، ص263

⁴ - الوساطة، ص91

⁵ - الوساطة، ص390

⁶ - المصدر نفسه، ص141

⁷ - المصدر نفسه، ص91

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، و قصد القاضي بالكلام الطويل ما كان خلافه الكلام الموجز أو القصير كما في قوله: « لأنه جمع هذا الكلام الطويل في... »¹، « وهيئات أن يعرض لك الأديب الفطن... إلا عن روية كثيرة، أو فكر طويل »².

التطويل:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والتطويل نقيض الإيجاز، وحاصله أن يورد المتكلم ألفاظاً إذا أسقطت بقي الكلام على حاله في الإفادة. وأكثر ما يكون ذلك في الأشعار لحرص قائلها على استقامة الوزن³، يقول القاضي: « وأمثال هذه الاعتراضات كثيرة واستقصاء جميعها باب من التطويل »⁴.

الإطالة عند القاضي وإن قل ذكرها في وساطته؛ فلم تخرج هي و مشتقاتها (الطول والتطويل) عن معنى التوسع أي خلاف الإيجاز.

الإغراب

(الغربة-الغريب-المستغرب)

الإغراب: «عَرَبٌ بَعْدَ، وَالغَرِيبُ الغَامِضُ من الكلام، وكَلِمَةٌ غَرِيبَةٌ وقد غَرِبَتْ، ويقال: أَعْرَبَ الرجل إذا جاء بشيء غريب، واستغَرَبَ في الضحك واستغَرَبَ أَكْثَرَ مِنْهُ»⁵، وقيل: « الغربة والاعترابُ تقول تَغَرَّبَ واغْتَرَبَ بمعنى غَرِيبٌ و غُرْبٌ، والتَّغْرِيبُ النفي عن البلاد، وأَعْرَبَ جاء بشيء غَرِيبٍ، وأَعْرَبَ صار غَرِيباً، والغَرَبُ الدَّلُّ العظيمة»⁶، وقيل: « كل متباعد غَرِيبٌ

¹ - المصدر نفسه، ص 166

² - المصدر نفسه، ص 163

³ - معجم البلاغية العربية، بدوي طبانة، دار العلوم ، الرياض، ط 2، 1982م، ص 484

⁴ - الوساطة، ص 395

⁵ - لسان العرب، مادة(غرب)

⁶ - مختار الصحاح، مادة(غرب)

ولكلّ شيء فيما بين جنسه عديم النّظير غريب¹، وقيل: «الإغرابُ المُبالِغَةُ في الضحك»². أما في الاصطلاح: هو « أن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله، أو سمع وهو قليل الاستعمال»³، ومنه الغرابة وهي « استخدام الكلمات الوحشية وغير المألوسة يجعل المعنى غير ظاهر»⁴، بينما « الغريب كل شيء فيما بين جنسه عديم النظر فهو غريب»⁵؛ ومن هنا اعتبر « الإغراب والغرابة والغريب من الاصطلاحات النقدية التي تدل على استيعاب الشاعر للغة، وإلمامه بخباياها، ومن هنا كان إعجاب النقاد والرواة القدامى بالعجاج وابنه رؤبة، لأنهما يكثران من الغريب»⁶، يقول رؤبة: « أنا والله وأبي فتحنا للناس للناس باب الغريب وباب الرجز، والله إني لخليق أن أسده عليهم»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

الإغراب:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى الإغراب عند القاضي الجرجاني هو استعمال المبهم من الألفاظ و النادر قليل الاستعمال، يقول: « أو افتتح طريق مبهما لم يرضى منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذه في السمع، فإذا دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزين شعره وتحسين كلامه، فوشحه بشيء من البديع»⁸. ويقول أيضاً: « فإن رام أحدهم الإغراب و الاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف»⁹.

¹ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(غرب)

² - القاموس المحيط، مادة(غرب)

³ - معجم النقد العرب القديم، ج1ص195

⁴ - المعجم المفصل في الأدب، ص668

⁵ - الكليات، ص663

⁶ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص251

⁷ - الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه : عبدا علي مهنا وسمير جابر وآخرون، دار الفكر، بيروت

ط1، 1986م

⁸ - الوساطة، ص54-55

⁹ - المصدر نفسه ، ص25

ويمثل للطف من إغراب أبي تمام بقوله: « ومن أغرب ألفاظه وأطفها قوله:

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَائِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ »¹.

ويقول: « ومما عيب من إغراب المتنبي قوله:

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَّتْ سَقْنَهَا صَوَارِمُهُ »²

ويعلق عن البيت بقوله: « وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها وهذا غريب، وقد يعيبه المتكلفون... فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أغرب به »³.

فالمتنبي في هذا البيت خرج عن المعقول بجعله السحاب السفلى تسقي السحابة التي فوقها مما أوقعه في الإغراب.

ويشير القاضي إلى تهافت الشعراء على طلب الإغراب في وصف الظباء، فيقول: « ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم، وإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها »⁴.

الغرابة:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعنى الغرابة عند القاضي

هو أن يكون المعنى مما لم يُسبق إليه على جهة الاستحسان، فيقال: « ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله »⁵، فنجد في حديثه عن احتذاء المحدثين بالأوائل، لما رآه في أشعارهم من غرابة وحسن ورشاقة ولطف، يقول: « فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا

¹ - المصدر نفسه، ص 48

² - المصدر نفسه، ص 232

³ - المصدر نفسه، ص 232

⁴ - المصدر نفسه، ص 37

⁵ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 3 ص 93

الاحتذاء عليها»¹، وورد في قوله: «ولسنا نريد القسم الذي خفاءً معانيه واستتارها من جهة غرابية اللفظ وتوحش الكلام»².

الغريب:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والغريب من الغرابية وجاء بمعناها في قول القاضي: «حتى إن أعلمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية، والكتب المصنفة من شعر فحل، وخبر فصيح ولفظ رائع- ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مروى، وجل الغريب محفوظ منقول- ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يقرض بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير... لوجده أبعد من العيوق متاولاً وأصعب من الكبريت الأحمر مطلباً؟»³.

المستغرب:

ورد هذا المصطلح مرتين واحدة في الوساطة، وجاء بمعنى الغريب، يقول: «فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري؟ وما يدينني ما فيها؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها، ومقتبس منها؟»⁴.

فالقاضي عنى بالإغراب و الغرابية والغريب خروج الشاعر عن الاستعمال العادي للكلام، بمحاوثة خلق صورة لم تألف استعمالها العرب في أشعارها مما يوقعه في الإغراب. واستعمال الشاعر للغريب في شعره دليل على ارتباطه بالأصالة اللغوية، وتمسكها بالفصيح والمتين، وعليه كان إيراد الغريب والاعتداد به سمة حسنة في الشعر.

الإغراق

(الاستغراق)

الإغراق: قال ابن فارس: «الغين والراء والقاف أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على انتهاءٍ في شيءٍ يَبْلُغُ أَقْصَاهُ»⁵، ومعنى «أَغْرَقَ فِي الشَّيْءِ: جَاوَزَ الْحَدَّ، وَأَصْلُهُ مِنْ نَزَعَ السَّهْمَ»¹،

¹ - الوساطة، ص 39

² - المصدر نفسه، ص 346

³ - المصدر نفسه، ص 24

⁴ - المصدر نفسه، ص 140

⁵ - مقاييس اللغة، مادة (غرق)

ويقال: «غَرِقَ في الماء فهو غَرِقٌ وغَارِقٌ وأغْرَقَهُ، ولجام مُغْرَقٌ بالفضة أي محلى، وأغْرَقَ النَّازِعُ في القوسِ أي استوفى مَدَّها»²، و «الغَرْقُ الرسوب في الماء والبلاء، وغَرَقَ فلان يَغْرَقُ غَرْقاً وأغْرَقَهُ»³، و «استَغْرَقَ: استَوْعَبَ، والتَّغْرِيقُ: القَتْلُ»⁴، وقيل «الإغراق: الطرح، والمُغْرَقُ: الذي أغْرَقَهُ قومه فطردوه»⁵.

وفي الاصطلاح: هو «إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة، وهو فوق المبالغة رتبة، والغلو فوقهما»⁶، وقيل: «هو دون المبالغة وفوق الغلو»⁷، وقيل «الإغراق ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً لا عادة»⁸، ويمثل الكثير من البلاغيين لإغراق بقوله تعالى: (□◆①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟㊱㊲㊳㊴㊵㊶㊷㊸㊹㊺㊻㊼㊽㊾㊿) ، كما أنه «الإفراط في القول كالوصف أو المدح، وهو المبالغة عند بعضهم»¹⁰.

في اصطلاح (الوساطة):

الإغراق:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة كان فيها (منكراً)، و يحدث الإغراق عند

¹ - لسان العرب، مادة(غرق)

² - مختار الصحاح، مادة(غرق)

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(غرق)

⁴ - القاموس المحيط، مادة(غرق)

⁵ - تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف، (د.ط) (د.ت) مادة(غرق)

⁶ - الكليات، ص152

⁷ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص260

⁸ - مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبي الفضل جلال الدين السيوطي، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الأدب،

القاهرة ، ط2، 2007م، ص117

⁹ - سورة الأحزاب، الآية10

¹⁰ - المعجم المفصل في الأدب، ص116

القاضي الجرجاني عندما يبلغ الشاعر بمعاني شعره درجة لا يمكن بلوغها، وهو مرتبط بالمبالغة والإفراط، وقد عد الإحالة شعبة من الإغراق في قوله: « و إنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب »¹.

وهذا الربط بين الإفراط والمبالغة من جهة والإغراق من جهة ثانية عند القاضي، في المرات الأربعة التي ذكر فيها هذا المصطلح في الوساطة، جعل معنى الإغراق لا يخرج عن معنى الإفراط والمبالغة في الكلام، يقول: « ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف، وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة »²، ويمثل للإغراق بقول الشاعر:

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَوَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ

ويعلق عن البيت بقوله: « ولم يُستغنى بطيب المولد عن القابلة؟.... وأي فخر فيه؟ وأي شرف يناله؟ »³، وقوله: « وقد قدمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط ما يبين يبين لك القول »⁴. كما نجده يمثل للإغراق بقول المتنبي:

وضاقت الأرض حتى كادَ هارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

فالمتنبي بالغ وأفرط في معاني هذا البيت مما جعله يقع في الإغراق، وهذا ما عابه عليه خصومه، والقاضي الجرجاني لا ينكر هذا بل يأتي بأشباهه عند غيره من الشعراء ليثبت أن الإغراق في المعاني ليس مختصرا على المتنبي.

الإغراق الفاحش:

ورد مصطلح الإغراق بهذا الوصف مرة واحدة فريدة، في رده على خصوم المتنبي، فقال: « فإن قالوا: ألسنا نسامح المتقدمين بالخطأ؟ ولا نحتمل لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا: أولستم قد سلمتم لهم الإحسان في غير ذلك، ولم تسقطوهم من عداد الشعراء لأجله فأجروا هذا الرجل مجراهم، وألحقوه في الحكم بهم »⁵.

فالقاضي يرد على خصوم المتنبي الذين احتملوا الإغراق الفاحش لامرئ القيس في قوله:

¹ - الوساطة، ص 348

² - المصدر نفسه، ص 158

³ - المصدر نفسه، ص 158

⁴ - المصدر نفسه، ص 395

⁵ - المصدر نفسه، ص 353

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحُولٌ من الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ منها لأثرا

فيقول: « فاحتملوا لأبي الطيب»¹، ويورد قول المتنبي:

تَأَلَّمُ دَرَزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيْعَا

الاستغراق:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما (نكرة)، ولم يخرج معناه عن معنى الإغراق، يقول: « لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على مُعْظَمِهَا»².

الإغراق عند القاضي مرتبط بالغلو والمبالغة والإفراط في الكلام، وهذا عندما يرتفع الشاعر بالمعنى لدرجة لا يمكن أن يبلغها.

الإفراط

¹ - الوساطة، ص 353

² - المصدر نفسه، ص 185

(التفريط-المفريط)

الإفراط: « إعمال الشيء في الأمر قبل التثبت، وأفراط في الأمر: أسرف وأفراط عليه: حملة فوق ما يُطيق، وكل شيء جاوز قدره، فهو مفريط، ويقال: أفراط عليه في القول يُفريط: أسرف وتقدم، وفراط في الأمر يُفريط فراطاً، أي قصر فيه وضيعة حتى فات، وكذلك التفريط وهو التفصير والتضييع»¹، وقيل: « الإفراط أن يسرف في التقدم، والتفريط أن يقصر في الفريط، يقال: ما فراطت في كذا أي ما قصرت»²، وقيل: « فراط فروطاً: سبق وتقدم، وأفراطه: ملاءه حتى أسال الماء»³، ويقال: « أفراط، إذا تجاوز الحد في الأمر ... لأنه [إذا] جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته»⁴.

وفي الاصطلاح: « التجاوز عن الحد ويقابله التفريط»⁵، والتفريط « أن يقدم الشاعر على شيء فيأتي بدونه، فيكون تفريطاً منه، إذا لم يكمل اللفظ، أو يبالي في المعنى»⁶، في اصطلاح (الوساطة) :
والإفراط:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، ويعد الإفراط عند القاضي الجرجاني شعبة من الإغراق وهو الإسراف وطلب الزيادة وتجاوز الغاية، فيقول في معرض دفاعه عن المتنبي: « وأعيب ما فيها ما عيبه من باب التعقيد والعويص واستهلاك المعنى وغموض المراد؛ ومن جهة بعد الاستعارة، والإفراط في الصنعة»⁷، وعليه فالإفراط من الصفات السيئة والمذمومة عند الجرجاني ويضيف معلقاً على أقول مجموعة من الشعراء أمثال النابغة (الجعدي) في قوله:

بلغنا السماء مجداً وجدودنا وأنا لندرجوا فوق ذلك مظهراً

وقول الأعشى :

¹ - لسان العرب، مادة (فراط)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(فراط)

³ - القاموس المحيط، مادة(فراط)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة (فراط)

⁵ - الكليات، ص 155

⁶ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 113

⁷ - الوساطة، ص 344

لوأسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يُنقل إلى قابر

وقول الطرماح:

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكر على صفي تميم لولت

وقول العيني في جوابه :

ولو أن عُصفوراً يمدُّ جناحه على طيئ في دارها لا ستقلت

بقوله: « وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه جدنا من بعدهم سبيلاً مسلوکاً وطريقاً موطاً، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم، فاجتذبه الإفراط إلى النقص وعدل به الإسراف نحو الذم»¹.

والإفراط عند الجرجاني نوعان: مستحسن قابل، ومستقبح زاد، يقول عن هذا: « فأما الإفراط فمذهب عام عند المحدثين...والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل ومستقبح زاد، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها، ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص ولاعتداء، فإذا جوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق»².

الإفراط في الاستعارة:

وهو الخروج عن حد الاستعمال والعادة؛ وهذا النوع من الإفراط تطرق له القاضي الجرجاني بإسهاب في كتابه لأن الكثير ممن تحاملوا على المتنبي حسب رأيه عابوا عليه إفراطه في الاستعارة، فيقول القاضي: « وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة»³، فكان مما عدد منها قوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحمرة في قلوب الطيب واليلب

فعابوا المتنبي لأنه جعل للبيض واليلب قلوباً ولزمان فؤاداً، فرد عليهم القاضي بقول ابن أحر:

ولهمت عليه كل مُعصفة هَوَجَاءَ ليس لِلبُّها زبر

¹ - الوساطة، ص349-350

² - المصدر نفسه، ص348

³ -المصدر نفسه، ص356

ثم يعلق: « فما الفرق بين من جعل لريح لُبًّا، ومن جعل للطيب و البيض قلباً »¹.
فالقاضي يرد على ما يعاب عن شعر المتنبي بأن يأتي بأشباهه ونظائره عند باقي الشعراء ليبيّن لخصوم أبو الطيب أن هذا الأمر لم يختصر على شعر المتنبي.

التفريط:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعنى التفريط عند القاضي هو التقصير، كما في قوله: « ولم يبق عليك إلا أن تحترس من التفريط، كما احترست من الإفراط »²، وقوله: « ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرط »³.

الفرط:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما منكرًا، وكان رديفًا لندرة في مرتي وروده، يقول: « وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفَـرط والندرة »⁴، وقوله: « والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة »⁵

المفرط:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكرًا)، وقصد القاضي بالمفرط المسرف، كما في قوله: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن ورائها كنزاً من الحكمة »⁶، وقوله: « فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط »⁷.

فالإفراط عند الجرجاني له حدود إن لم يتجاوزها الشاعر جمع القصد والاستقاء وسلم من النقص والاعتداء وهو بذلك مستحسن مقبول؛ وإن تجاوزها هذه الحدود، وقع في الإحالة والإغراق.

¹ - الوساطة، ص 355

² - المصدر نفسه، ص 168

³ - المصدر نفسه، ص 13

⁴ - المصدر نفسه، ص 12

⁵ - المصدر نفسه، ص 90

⁶ - المصدر نفسه، ص 90

⁷ - المصدر نفسه، ص 39

الانتحال

الانتحال: (نَحَلَ) في اللغة « أعطى، وتَنَحَّلَ فلان شعر فلان أو قوله: إذا ادعاه لنفسه. ونَحَلَ القول يَنَحُلُهُ نَحْلاً: نسبه إليه. ويقال: نَحَلَ الشَّاعِرُ قصيدة إذا نسبه إليه وهي من قيل غيره. وانتَحَلَ فلان كذا و كذا معناه قد ألزمه نفسه وجعله كالمالك له. ونَحَلْتُهُ القول أَنَحُلُهُ نَحْلاً إذا أَضَفْتُ إليه قولاً قاله غيره وادعيتَه عليه»¹، وقيل: « انْتَحَلَهُ وتَنَحَّلَهُ: ادْعَاهُ لِنَفْسِهِ وهو لغيره، ونَحَلَهُ القَوْلَ كَمَنَعَهُ: نَسَبَهُ إِلَيْهِ»²، وقولهم: « انتَحَلَ كذا، إذا تعاطاه وادَّعاه»³.

وفي الاصطلاح: هو « إقحام شعرٍ قاله متأخِّرٌ على شاعرٍ مُتَقَدِّمٍ لأسبابٍ سياسية، أو دينية، أو شعبية. أو بسبب وضع القصص أو هو بعض الرواة»⁴، و « نَحَلَ شِعْراً، نَسَبَهُ إلى نفسه. وهو لغيره»⁵.

ويعد ابن سلام الجمحي من الأوائل الذين تحدثوا على الانتحال في الشعر، في كتابه (طبقات فحول الشعراء) فيقول: « في الشعر مصنوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه...»⁶، فقد عرف العرب الانتحال بأشكاله المختلفة وقد حذروا منه ووضع النقاد قواعد يمكن عن طريقها توثيق وتحقيق الشعر المنحول وكان من أهم هذه القواعد « الرواية عن أهل البادية، وعرض الشعر عن العلماء به»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

الانتحال:

يعد من أقل المصطلحات وروداً في الوساطة، فلم يتعد ذكره الأربع مرات، وكانت كلها نكرة، وقد جاء فيها بمعنيين:

¹ - لسان العرب، مادة (نحل)

² - القاموس المحيط، مادة (نحل)

³ - مقاييس اللغة، مادة (نحل)

⁴ - المعجم المفصل في الأدب، ص 185

⁵ - المعجم الأدبي، ص 279

⁶ - طبقات فحول الشعراء، ج 1 ص 4

⁷ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 58

أ- قصد به أخذ الراوي لأبيات شاعرٍ ونسبتها إلى شاعرٍ آخر، نتيجة لفساد هذا الراوي الذي ينقل هذه الأشعار، مما يؤدي إلى تداخل الأشعار واختلاطها، ذكر القاضي عينة من هؤلاء الرواة والشعراء الذين عرفوا عند العلماء بنحلهم لشعر، فيقول: «أحلتك على ما قالت العلماء في حماد وخلف وابن دأب وأضربهم، ممن نحلّ القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وصعب على أهل العناية إفراده وتعسر»¹.

وهذا لا يختلف عن ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي عندما اتخذنا من سيرة ابن إسحق نموذجاً عن نحل الشعر، فقال: «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل على غُثاء منه محمد بن إسحق...»². وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه مصطلح الانتحال بهذا المعنى.

ب- الانتحال بمعنى الإدعاء، في قوله: «فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وانتحلُّ مولاتّه وتعظيمه»³، وفي قوله: «فإن عثر له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان الإحسان هفوة انتحل له عذر صادق، أو رخصة صائغة»⁴، وقوله: «وقد تجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلوا في تقديمه»⁵. والانتحال هنا في معناه لا يدخل يدخل في ما ذكرناه سابقاً عن انتحال الأشعار

والقاضي لم يعر قضية الانتحال أهمية في وساطته، وربما لأن موضوع الانتحال أنهك لكثرة تطرق أسلافه إليه، ونعكس هذا على مصطلح الانتحال فقل وروده وإن كان معناه لا يخرج عن وضع الأشعار لغير أصحابها.

¹ - الوساطة، ص 24

² - طبقات فحول الشعراء، ج1 ص7

³ - الوساطة، ص26

⁴ - المصدر نفسه، ص14

⁵ - المصدر نفسه، ص55

الأوائل

(الأول-أولى-التأويل)

الأول: يقول ابن فارس: « الهمزة و الواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاءه... والأولُ مبتدأ الشيء، ومؤنثه الأولى»¹، وقيل: « الأولُ: الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه: أحدها المتقدم بالزمان، فيقال بمعنى قديم نحو: جِئْتُكَ أولاً وأخراً أي قديماً وحديثاً... وإذا قيل في صفة الله: هو الأولُ، فمعناه أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء»²، ويقصد بـ « آل الرجل أهله و عياله وألّه أيضا أتباعه وآل الشَّخصُ وآل الأمير رعيته»³.

أما في الاصطلاح: « الأول هو الجاهلي أو الإسلامي الذي قال شعراً أو كلمة مأثورة»⁴.

وإذا قلنا أوائل فهم « الشعراء من أهل الجاهلية و صدر الإسلام، ويقابلهم الشعراء المحدثون»⁵.

في اصطلاح (الوساطة):

الأوائل:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وجاء فيها بمعنيين:
أ-الأوائل جمع أول، جاء بمعنى السابق في الزمن سواء كان جاهلي أو إسلامي، يذكره القاضي في حديثه عن عدم عناية الأوائل بالاستهلال والتخلص والخاتمة، يقول: « والشاعر الحذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص و بعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائل، تخصه بفضل مراعاة»⁶، وفي حديثه عن شيوع الإفراط بين الأوائل والمحدثين، يقول: « فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل»⁷.

1- مقاييس اللغة، مادة (أول)

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أول)

3- مختار الصحاح، مادة (أول)

4- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 87

5- المصطلح النقدي عند المرزباني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، من إعداد: بلقاسم مالكية، تحت إشراف

الدكتور الطيب بودربالة، جامعة باتنة، 2005م ص 186

6- الوساطة، ص 51

7- المصدر نفسه، ص 348

ب- جاء مرة واحدة بمعنى بداية أمر ما، يقول: « وكثيراً منكم لا يعرف من السرقة إلا فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف على أوائله »¹.

أشعار الأوائل:

ورد هذا المصطلح في قوله: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى »²، وفي قوله: « لأنني لم أدع الإحاطة بشعر الأوائل ولأواخر »³ ولأواخر »³ وضد الأوائل والأواخر.

أوائل الشعراء:

ورد هذا المصطلح في حوار داخلي مثير يتسأل فيه القاضي فيقول: « خبرني عن من تعظم من أوائل الشعراء، ومن تفتتح به طبقات المحدثين »⁴.

الأول:

الأول عند القاضي الجرجاني جاء بمعينين:

أ- السابق في الزمن سواء كان جاهلي أو إسلامي. وهذا ما قصده القاضي في تعليقه عن المبالغة في الإفراط عند المتقدمين إقتداءً بالمتأخرين، فيقول: « واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم »⁵.

ب- المبتدئ السابق في فعل الشيء فيقول: « ولم يرض الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قدماً، وارتفع عليه درجة »⁶. ويذكره القاضي في كلامه عن المعاني المشتركة المتداولة التي استعملها المتأخرون احتذاءً بالأوائل، فيقول: « ثم تدوول بعده، فكثرت واستعمل؛ فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد »⁷.

أولى:

تكرر هذا المصطلح إحدى عشرة مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والأولى عند القاضي

¹ - الوساطة، ص 161

² - المصدر نفسه، ص 17

³ - المصدر نفسه، ص 140

⁴ - المصدر نفسه، ص 55

⁵ - المصدر نفسه، ص 350

⁶ - المصدر نفسه، ص 50

⁷ - المصدر نفسه، ص 162

هو الأحق بالأمر يقول: « حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها»¹، وقوله: « وما من حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممن رعي حريمه أن يهتك»².
التأويل:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والتأويل « تفسير ما يؤول إليه الشيء»³، وقيل: «التأويل رد الشيء إلى الغاية المُرداة منه، علماً كان أو فعلاً. والتأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل»⁴، ويقصد بـ « تأويل الكلام: عاقبته وما يؤول إليه»⁵.
ويعد البعض « التأويل من عيوب الكلام، لأن القدماء كانوا يرون البيان أن يكون الكلام بريئاً من التعيد غنياً عن التأويل»⁶.

أما التأويل عند القاضي فهو تبين المراد من اللفظ المحتمل لأكثر من وجه، ومثل له بختلف خصوم المتنبّي حول المراد من قوله:

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجُدودي

يلق القاضي بقوله: « فخرت القول بأن لا شرف له بأبائه. وهذا هجو صريح، وقد رأيت من يعتذر به، فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بأبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفي مناقب سوى الحسب، وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيبة، وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ»⁷، فالكلام الذي تعددت تأويلاته، واختلفت الآراء حول المقصد منه، يأخذ بظاهريه ومعاني ألفاظه.

ويحمل التأويل عند القاضي معنى التفسير لما هو غامض وهذا عند كلامه عن المتكلف من شعر أبي تمام، يقول: « فخبّرني هل تعرف شعرا أحوج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطو»⁸، ثم يورد قول أبي تمام:

1 - الوساطة، ص 11

2 - المصدر نفسه، ص 11

3 - مختار الصحاح، مادة (أول)

4 - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أول)

5 - مقاييس اللغة، مادة (أول)

6 - معجم النقد العربي القديم، ص 289

7 - الوساطة، ص 312

8 - المصدر نفسه، ص 27

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جَوْهر الأشياء

ويأخذ شعر المتنبي قدر كبير من التأويلات، من المتحاملين عليه بالانتقاد والتجريح يقول: « وإن قال ما سمحت به النفس ورضي به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل فأحسانه يُتَأَوَّل، وعيوبه تُتَمَحَّل، وزلته تتضاعف، وعذره يكذب»¹ ومعنى التفسير واضح في مصطلح التأويل في هذا الاقتباس.

ويقول القاضي عن فساد العقيدة في شعر أبي نواس: « وإنما هو نزع عن الشيء نزوعاً وأبيات كثيرة يضعف عذره في معظمها، وإن كان باب التأويل يتسع، ومذاهب الاحتيال في النحو لا تضيق»².

ولاشك أن اختلاف التأويل يعود لاختلاف القرائح و الأفهام والنزعات، فبينما ينزع هذا في تفكيره نزعة لغوية، وذاك نزعة نحوية، وذلك نزعة فلسفية منطقية، يكون تأويل الأبيات متبايناً تبعاً لذلك، ويكونون كما وصفهم المتنبي في قوله :

ولكن تأخذ الأذان منه على قدر القرائح والعلوم

وما أثاره تفاعل الأوائل مع الأواخر أو المتقدمين بالمتأخرين جعل هذا المصطلح- الأوائل- يتكرر كثيراً في الوساطة، كما لقياً مصطلح التأويل حظاً وافراً من عناية القاضي كونه سبباً في إثارة الكثير من المشاحنات حول أشعار المتنبي لاختلاف خصومه في تأويلها.

¹ - الوساطة، ص55

² - المصدر نفسه، ص61

البديع

(أهل البديع-أصناف البديع)

البديع: البديعُ عند بن منظور « من المُبدِع، وهو من أسماء الله الحسنة لإبْدَاعِهِ الأشياءِ وَخَلْقِهِ إِيَّاهَا، وهو البَدِيعُ الأوَّلُ قبل كُلِّ شيءٍ، قال سبحانه: ﴿لَمَّا خَلَّصْنَاكَ مِنَ الْأَيْدِي وَجَاءَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ السَّيْفُ الْأَخْضَرُ﴾¹ أي خالقها مُبدِعُهَا، والبَدِيعُ الجَدِيدُ، وَحَبْلٌ بَدِيعٌ: جديد، والبَدِيعُ من الحبال: الذي ابتدئ فنتله والبَدِيعُ الزمن الجديد، وابتدَعَ الشيء: جاء بالبَدِيعِ المُبتَدَعُ، والإبتدَاعُ: الاختِرَاعُ على غير مثل²، ويقال « أبدعَ الشاعرُ جاء بالبديعِ وشيءٌ بَدِعٌ مُبتَدَعٌ، والبِدْعَةُ الحديث في الدين بعد الإكمال واستبدَعَهُ عده بديعاً³، وقيل: « أبدوغتُ الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عَنْ سابقٍ مثال⁴».

أما في الاصطلاح: « أطلقه الرواة على المستظرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسناً وجمالاً⁵، واعتبر « علم تُبحثُ به وجوهُ تفيدهُ الحسنُ في الكلام بعد رعايةِ المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام⁶، والبديع اسم كتاب لابن المعتز، والذي اعتبر البديع فناً ليس من وضع المحدثين فقط، بل كان موجوداً عند الشعراء الجاهلين، يقول ابن المعتز: « ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم(حاكاهم) وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم⁷».

في اصطلاح (الوساطة):

البديع:

ورد هذا المصطلح خمس عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والبديع عند القاضي

¹ - سورة البقرة، الآية 117

² - ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(بدع)

³ - مختار الصحاح، مادة(بدع)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة(بدع)

⁵ - فنون بلاغية، البيان والبديع، احمد مطلوب، دار البحوث العلمية ، الكويت، ط1، 1975م ص196

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص174

⁷ - البديع، عبد الله ابن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه وإعداد فهرسه: أغناطيوس كراتشوفسكي، بغداد، ط3،

1982م، ص1

الجرجاني هو ما يميز بعض الأبيات عن غيرها لما فيها من غرابة وحسن ورشاقة ولطف فيقول: « وقد كان يقع ذلك (استعمال البديع) في خلال قصائدهم، ويتفق لها في البيت بعد البيت، على غير تعمد أو قصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، و تميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط ¹، ويعلق على بيتين أحدهما لامرئ القيس يقول فيه:

تَصَدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلٍ

وآخر لعدي بن الرفاع:

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ

فيقول: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قريهما منه، والمعنى واحد، وكلاهما خال من الصنعة، بعيداً عن البديع ²، وقوله: « وشحن مطابقة وبديعاً ³.
أهل البديع:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، و أهل البديع هم الشعراء الذين يكثر استعمال البديع حتى أصبح ينسب إليهم، يقول القاضي: « ولست أقول هذا غضبا من أبي تمام، ولا تهجينا لشعره، ولا عصبية عليه لغيره، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وأنتحل موالاته و تعظيمه، وأراه قبلة أصحاب المعاني، وقدوة أهل البديع! ⁴، وقوله: « إن كان أهل الإغراب و أصحاب البديع من المحدثين قد لهجوا به واستحسنوه، وتنافسوا فيه؛ وبارى بعضهم بعضا به ⁵.

أصناف البديع:

تكرر هذا المصطلح مرتين، وأصناف البديع هي أقسامه أو أنواعه، يقول القاضي: « ومن أصناف البديع التصحيف، كقول الشاعر:

و لم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز، والمعتز بالله طالبه

¹ - ينظر: الوساطة، ص 39

² - المصدر نفسه، ص 36

³ - المصدر نفسه، ص 343

⁴ - المصدر نفسه، ص 26

⁵ - المصدر نفسه، ص 354

وقول إسماعيل بن عباد:

غمائم هن فوق رؤسنا غمائم لم يذلن بالخلق»¹

ويجعل التقسيم من أنواع البديع، ويجعله موصولاً، فيقول: « ومنه التقسيم، وقد يكون موصولاً»²، ويمثل له بقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذ أطعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

يعلق عن البيت: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به»³.

نرى أن كل المعاني السابقة تدور حول مفهوم واحد للبديع وهو الجديد الذي يظفر به الشاعر عن غيره فيتميز به.

ولم يهتم القاضي بألوان البديع، ولم يذكر منها إلا فنونا قليلة، وقد أشار إلى أن المحدثين سموا الاستعارة والمطابقة و الجناس وغيرها بديعاً⁴.

¹ - الوساطة، ص 49

² - المصدر نفسه، ص 49

³ - المصدر نفسه، ص 49

⁴ - ينظر: فنون بلاغية، ص 201

الباردة

(البرد - بارد - مستبرد)

الباردة: جاء في اللسان « البردُ ضد الحر والبرودة نقيض الحرارة، برد الشيء يبرُدُ بُرُوداً وماء بَرَدٌ وبارد وبرُودٌ وبرد، وقد بَرَدَه يَبْرُدُهُ بَرْدًا وِبَرْدَهُ: جعله بارداً، وضرب حتى بَرَدَ معناه: حتى مات، وِبَرَدَ...ضَعْفٌ وَفَتَرَ عن هُزال أو مرض، وِبَرَدَه يَبْرُدُهُ: خلطه بالتلج وغيره، وأَبْرَدَ له: سقاه بارداً، بَرَدَ: سَكَنَ وَفَتَرَ، بَرُودُ الظل أي طيب العشرة»¹، ويقال: « بَرَدَ الشيء وِبَرَدته أنا فهو مَبْرُودٌ وِبَرَدته تبريداً ولا يقال أَبْرَدته إلا في لغة رديئة»²، ويقال: « الباردة في اللغة خلاف الحارة، لأن أصلَ البردِ خِلافُ الحَرِّ...وَعَيْشُ بَارِدٍ: أي طَيِّبٌ»³، و إذا قلنا « غنيمة باردة: أي حاصلة بغير تعب، وكل محبوب عندهم بَارِدٌ»⁴.

وفي الاصطلاح: « الأشعار الباردة هي الأشعار التي لا تستفز القلب»⁵، وتعتبر « الباردة من النوادر هي التافهة المعنى، التي تقابل عادة من المتلقي بَبْرُود... والبارد من الشعر هو الضعيف منه الذي لا يكاد يجاوز مستوى الكلام العادي، ومن اسمه يفهم أنه لا يبعث في نفس المتلقي أي حركةٍ أو حرارةٍ، بخلاف ضده الحار»⁶.

في اصطلاح الوساطة:

الباردة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة يتيمة في الوساطة، والباردة عند القاضي الجرجاني جاءت بمعنى السهلة، أي عكس المعقدة، فالألفاظ الباردة عنده هي السهلة الحاصلة من غير عناء وتعب، والمرة الوحيدة التي أورد فيها هذا المصطلح كانت في كلامه عن المعقد من شعر المتنبي فيقول: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن ورائها كنزاً من

1- لسان العرب، مادة (برد)

2- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت

لبنان، ط3، 1984م مادة (برد)

3- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (برد)

4- مختار الصحاح، مادة(برد)

5- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص263

6- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص86-87

الحكمة، وأن في طيها الغنيمة الباردة...»¹، وقد أوردنا في المعنى اللغوي للباردة أن الغنيمة الباردة هي الحاصلة بغير تعب.

البَرْد:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة، كان فيها معرّفًا، والبرد في الشعر عند القاضي هو الركيك الغث الثقيل عن القلب والنفس، وهذا ما أورده القاضي في قوله: « قد جمع في هذه الأبيات و في غيرها مما احتذي به حذوها بين البرد الغث، و بين الثقل والوخامة...»²، وبنفس المعنى في قوله: « هل كان من يزيد على أن يذم عفته، ويصفها بالجموس والجمود، وهما من صفات البرود والثقل»³. وغالبًا ما يرد مصطلح البَرْد في كتاب الوساطة رديفًا للغثاة، كما في قوله: « ومنهم ما حمل عليه التعمق، فخرج به إلى العنّائة والبرد»⁴.

بارد:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة كانت نكرة بعد قول أبي تمام:

مَازَالَ يَهْذِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ

يعلق القاضي بقوله: « فتناول معنا باردًا، وغرضًا فاسدًا، فأكدته وأضاف إلى الحمى الهذيان»⁵.

مستبرد:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة وكان فيهما نكرة ، وقصد القاضي بالمستبرد ما تَنَبُّوُ النفس عنه، ويقل ارتياح القلب إليه، وهذا ما جاء في قوله: « وأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، فإنما تخبر عن نُبُو النفس عنه، وقلة ارتياح القلب إليه»⁶، و قوله في تعليقه عن المستقبح من ابتداء المتبني: « واستبَرَدَّ قوله:

أَمَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثٌ غَابَ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا »⁷

¹ - الوساطة، ص 90

² - الوساطة، ص 85

³ - المصدر نفسه، ص 72

⁴ - المصدر نفسه، ص 92

⁵ - المصدر نفسه، ص 220

⁶ - المصدر نفسه، ص 91

⁷ - المصدر نفسه، ص 137

والمعنى البارد عند القاضي هو الضعيف الذي لا يكاد يجاوز الكلام العادي، ومن اسمه يفهم أنه لا يبعث في نفس المتلقي، أي حركة أو حرارة بخلاف ضده الحار.

البيان

(التبيين-التبين-البيان-الاستبانة)

البيان: « ما يُبَيِّنُ بِهِ الشَّيْءَ مِنْ الدَّلَالَةِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ: الظُّهُورُ وَالْوُضُوحُ، وَبَانَ الشَّيْءُ: اتَّضَحَ فَهُوَ بَيِّنٌ، وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ، وَالبَيَانُ الفَصَاحَةُ وَكَلَامٌ بَيِّنٌ: فَصِيحٌ. وَالبَيَانُ الإِفْصَاحُ مَعَ ذِكَاءٍ. وَالبَيِّنُ مِنَ الرِّجَالِ: الفَصِيحُ وَ السَّمْحُ اللِّسَانِ، وَالبَيَانُ: إِظْهَارُ المَقْصُودِ بِأَبْلَغِ لَفْظٍ¹، وَيُقَالُ: « بَانَ كَذَا: أَي انْفَصَلَ وَظَهَرَ مَا كَانَ مُسْتَتِرًا مِنْهُ، وَلَمَّا اعتَبِرَ فِيهِ مَعْنَى الإِنْفِصَالِ وَالظُّهُورِ اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مَنْفِرِدًا، فَقِيلَ لِلبُّنْرِ البَعِيدَةِ القَعْرُ: بَيُونٌ... وَبَانَ الصَّبْحُ: ظَهَرَ²، وَهُوَ « بَعْدَ الشَّيْءِ وَانْكَشَافَهُ³».

وفي الاصطلاح: هو « توضيح المعنى، والكشف عنه كشفاً يجعل السامع يفضي إلى حقيقته بسهولة⁴، ويقال: « فلان ذو بيان أي فصيح وهذا أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً. فالبيان هو المنطق الفصيح المعبر عمّا في الضمير⁵، وهو « الكشف عن عن المعنى حتى تتركه النفس من غير عقلة، فإذا كان في الكلام تعقيد لم يستحق اسم بيان⁶ » والبيان عند الجاحظ هو الكشف والإيضاح والفهم والإفهام، قال: « البيان اسم جامع جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته... فإنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الوضع⁷».

في اصطلاح (الوساطة):

البيان:

¹ - لسان العرب، مادة (بين)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(بين)

³ - مقاييس اللغة، مادة (بين)

⁴ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 81

⁵ - كشاف اصطلاحات الفنون، ص 348-349

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص 199

⁷ - البيان والتبيين، ج 1 ص 76 وينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 119

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو كشف وإظهار المعنى وإيضاحه للعيان وهذا ما يفهم من النصوص التي ورد فيها، كما في قوله على لسان الشافعي: «إني لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطق به لساني»¹. فالبيان هنا جاء بمعنى الوضوح، فهي واضحة ظاهرة في قلبه، لكن لا يستطيع نطقها بلسانه.

فيعلق القاضي على قول الشافعي، بقوله: «وما أقرب ما قاله من الصواب وأخلقه بالسداد وقد أجد هذا الفصل الذي تخيل له بعض البيان»². ولا يختلف معناه هنا عن سابقه.

كما يرد هذا المصطلح نكرة، كما في قوله: «وتميز ضرورها وأصنافها لإحتجنا إلى إتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال»³، فالشاهد والمثال يستخدمان لغرض توضيح وتقريب الحقيقة من القارئ، والقاضي يضيف لهما البيان لنفس الغرض؛ فلا يخرج هنا عن معناه في الاقتباسات السابقة.

التبيين:

التبيين من تَبَيَّنَ الشيء: ظَهَرَ، والتبيين: الإيضاح والوضوح⁴.

في اصطلاح (الوساطة):

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة وكان فيهما مطلقاً، ومعنى التبيين عند القاضي هو الكشف والإظهار، فمثلاً في قوله: «ومما يقارب هذه الأبيات، مما يحتاج في بعضها إلى تبيين وكشف»⁵. فالتبيين هنا جاء مرادفاً للكشف، فحمل معناه وهو الإظهار والتوضيح والتوضيح وفي قوله: «فإني لو شرعتُ في تبيين كل ما يشكل منه على الشَّادي»⁶.

التبين:

¹ - الوساطة، ص 357

² - المصدر نفسه، ص 357

³ - المصدر نفسه، ص 51

⁴ - لسان العرب، مادة (بين)

⁵ - الوساطة، ص 385

⁶ - المصدر نفسه، ص 360

ورد هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه لا يختلف عن معنى التبيين، كما في قوله: « فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين»¹، وقوله: « وحسن النظر، والتحرز من الإقدام قبل التبين»²، وقوله: « تتبين عند حروف الحلق»³.

أي تظهر عند حروف الحلق.

البيّن:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وجاء البيّن بمعنى الظاهر عند القاضي، كما في قوله: « فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البيّن»⁴، وفي حديثه حديثه عن الإحالة: «... وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيّنة، والتقصي الفاحش»⁵. ومراده الإحالة الظاهرة، وهي عنده مما يعاب.

التباين:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي هو الاختلاف والتنافر وعدم الائتلاف، وهذا ما يستفاد من مجموع النصوص التي ورد فيها فمثلاً في قول القاضي: « وتلك الوجوه تختلف بحسب اختلاف مواضعه، وتتباين على قدر تباين المعاني المتضمنة له»⁶، ويعلق عن قصيدة جُمعت أبياتها من شعراء مختلفين فيقول: « فزوده كل رجل منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح، واختلاف الأفكار والهواجس»⁷.

فالتباين هنا يعني التنافر، وهذا يتفق مع قول الجاحظ في التباين: « وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده...»⁸، كما يرد هذا المصطلح في قول

1 - المصدر نفسه، ص 25

2 - المصدر نفسه، ص 180

3 - المصدر نفسه، ص 377

4 - الوساطة، ص 364

5 - المصدر نفسه، ص 360

6 - المصدر نفسه، ص 358

7 - المصدر نفسه، ص 142

8 - ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 136

القاضي: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر آخر¹ .

الاستبانة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، ومعناه عند القاضي هو الظهور والوضوح يقول: « والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجترأ بظهور الغاية واستبانة المراد² .
فمصطلحي البيان والتبيين وما تبعهما من اشتقاقات لم يخرج معناهما عن الوضوح والظهور والكشف عن ما وراء المبهم الغريب من المعاني، وإن خرج مصطلح التباين عن ما قلنا ليدل على التنافر وعدم التوافق.

¹ - الوساطة، ص24

² - المصدر نفسه، ص372

التثقيف

(المتقفة)

التثقيف: في الصحاح هو « الحذق والسُرعة. ومنه يقال تَفَّفَ الرَّجُلُ تَفَّافًا وَتَفَّافَةً: أي صار حَادِقًا وَخَفِيفًا وَتَفَّاهُ وَتَفَّاهُ: سواه وقومه، والتثقيفُ: التأديب والتهذيب»¹، وقيل « التَّفُّفُ: الحذقُ في إدراكِ الشيءِ وَفِعْلُهُ؛ يقال تَفَّفْتُ كَذَا: إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر»²، وقيل « التثقيفُ: التسوية والتقويمُ: حساً وَمَعْنَى، ومنه تَثْقِيفُ الرِّمَاحِ: أي تَسْوِئُهَا»³، وقيل: « تَفَّفَهُ تَثْقِيفًا: سَوَّاهُ، وَتَفَّاهُ فَتَقْفِيهِ، كَنَصْرَهُ: غَالِبَهُ فَغَلَبَهُ فِي الْحَذَقِ»⁴، ويقال: « تَفَّفْتُ بِهِ إِذَا ظَفِرْتُ بِهِ»⁵.

وفي الاصطلاح: « التثقيف تجويد الشعر»⁶، وقيل أن « التثقيف للشعر هو معاودة صاحبه النظر فيه بالإصلاح والتحسين حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة»⁷، و« من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملاً، أو زمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه... وكان النقاد يسمون الذين يعتنون بشعرهم: عبيد الشعر، يقول الحطيئة خير الشعر الحولي المحك»⁸.

¹ - تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (تقف)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (تقف)

³ - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزايوي، دار التراث العربي

الكويت، ط1، 2000م، مادة (تقف)

⁴ - القاموس المحيط، مادة (تقف)

⁵ - مقاييس اللغة، مادة (تقف)

⁶ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص87

⁷ - مصطلحات نقدية وبلاغية، ص148

⁸ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص87

في اصطلاح (الوساطة):

التثقيف:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو إتعاب الفكر وإجهاد خاطر لإخراج الكلام منظوماً كان أو منثوراً في أجود صورة، يقول: « الكلام: منظومه ومنثوره ... تُقَف غاية التثقيف، وجهد فيه الفكر، وأتعب لأجله خاطر، حتى أحتمي ببرائته عن المعايِب، واحتجر بصحته عن المطاعن...»¹. ويتكرر هذا في قوله: « ولم يبخر التثقيف شرطه، لا نقطعت عنها ألسن العيب»².

المتففة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة، في قوله: « وتستشهد عليه الأذهان المتففة»³، وقصد بالأذهان المتففة الواعية.

فالتثقيف عند القاضي سلاح الشاعر يحتمي به من مطاعن معيبيه، ووسيلة تُرد عنه ألسنة منتقديه.

1 - الوساطة، ص342

2 - الوساطة، ص344، ويراجع، مصطلح: التهذيب

3 - المصدر نفسه، ص344

التجنيس

(الجنس-الأجناس)

التجنيس: جاء في القاموس « الجنيس: العريق في جنسه، والمجانيس: المشاكل، والتجنيس: تفعيل من الجنس»¹، وقيل « الجنس: الضرب من كل شيء وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو و العروض و من الأشياء جملة»²، قال الخليل: « كل ضرب جنس وهو من الناس والطير والأشياء، والجمع أجناس ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله»³.

وفي الاصطلاح: « من مُحسنات البديع التقليدية، وهو تشابه الكلمتين في اللفظ كله أو بعضه مع اختلاف المعنى»⁴، وقيل: « تشابه الكلمتين لفظاً لا معنى»⁵، أو « تشابه الكلمتين في اللفظ»⁶، أو « تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى»⁷، وقيل « حقيقته أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً»⁸.

في اصطلاح (الوساطة) :

التجنيس:

1- القاموس المحيط، مادة (جنس)

2- اللسان العرب، مادة (جنس)

3- مقاييس اللغة، مادة (جنس)

4- المعجم الأدبي، ص 88

5- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص 173

6- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 118

7- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 2001م، ص 329

8- فنون بلاغية، ص 224

ورد هذا المصطلح ست عشرة مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وقد قسمه القاضي إلى العديد من الأنواع، فاختلاف معناه أو مفهومه باختلاف هذه الأنواع وهي:

التجنيس المطلق:

ويقصد به اختلاف حروف الكلمتين مع اتفاقهما على أصل واحد يجمعهما الاشتقاق¹ يقول القاضي الجرجاني: « فأما التجنيس، فقد يكون منه المطلق وهو أشهر أوصافه»² ويمثل لتجنيس المطلق بقول النابغة:

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بعد الكلال تشكي الأين والسأما
وهذا يتصل بالاشتقاق ف(خرق) و(خرقاء) يجمعهما أصل واحد.

ويضيف في تمثيله لتجنيس بقول البحتري:

صدق العُراب لقد رأيت حمولهم بالأمس تغرب عن جوانب غراب
ثم يعلق عنه بقوله: « فجانس بثلاث ألفاظ»³.

التجنيس المستوفي:

التجنيس المستوفي ويقال له التام والكامل، وهو أن تكون كل الكلمة مستوفاة في الأخرى يقول القاضي الجرجاني: « وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فجانس بين يحيا ويحيى، وحروف كل منهما مستوفاة في الأخرى، وعد هذا من التجنيس لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل ولآخر اسم ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيسا بل لفظة مكررة»⁴. كما يورد قول امرئ القيس:

فلما دنوت تسديتها فثوباً نسيثُ وثوباً أجُرّ

فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، مع اتفاق اللفظين في المعنى فلم يعد جناساً.

التجنيس الناقص:

التجنيس الناقص خلاف التام أو المستوفي، وذلك أن يكون نقص في إحدى الكلمتين، يقول القاضي: « ومنه التجنيس الناقص، كقول الاخنش ابن شهاب:

¹ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص96

² -الوساطة، ص45

³ - الوساطة، ص46

⁴ - المصدر نفسه، ص46

وحامي لواء قد قتلنا وحاملٍ لواءٍ منعنا والسيوفُ شوارعُ.

فجانس (بحامي وحامل) والحروف الأصلية في كل واحد منهما تتقص عن الأخرى»¹.

التجنيس المضاف:

التجنيس المضاف ورد في قوله: « ومنه التجنيس المضاف»²، ومثل له بقول البحرني:

أيا قمر التمام أعنت ظلماً علي تطاول الليل التمام

ثم يعلق عن البيت بقوله: « ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يعد تجنيساً، ولكن

أحدهما صار موصولاً بالقمر ولآخر بالليل، فكانا كالمختلفين»³.

ويعتبر أن من التجنيس التصحيف، ويمثل له بقول البحرني في المعتز بالله وبعض

الخارجين عليه:

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليُعجزن والمعتز بالله طالبه

فقد جانس بين المعتز والمغتر بنقط العين وحذف نقطة الزاي، حتى بدت كلمة المغتر كأنها تصحيف لكلمة المعتز، وفي تعليق القاضي عن البيت يقول: « وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابٌ على حياله وجانب يتميِّز به عن غيره»⁴.

الجنس:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والجنس عند القاضي

الجرجاني هو النوع من كل شيء يقول: « فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم

يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر»⁵، وقوله: « حتى جاء المتنبي، فملاً ديوانه من هذا

الجنس، فأنسانا بيت مسلم»⁶.

الأجناس:

¹ - المصدر نفسه، ص 47

² - المصدر نفسه، ص 47

³ - الوساطة، ص 47

⁴ - المصدر نفسه، ص 49

⁵ - المصدر نفسه، ص 26

⁶ - المصدر نفسه، ص 78

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والأجناس جمع جنس فهي الأنواع والأنماط المختلفة للأشياء، يقول: « يفصل بطبعه بين الأجناس والأبجر¹ »، وقوله: « والنثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس² ».

ولم يستخدم القاضي الجرجاني مصطلح الجناس في كتاب الوساطة و اكتفى بمصطلح التجنيس رقم شيوع استخدامه -مصطلح الجناس- بين كتاب عصره ومن سبقوه أمثال المبرد وأبن المعتز وقدامه و أبو هلال العسكري.

و لما كان لتجنيس وقع في النفس وفائدة في ذبوع الشعر ورواجه، لقي إقبالاً وكثرة استعمال من الشعراء المتقدمين والمتأخرين، ففصل القاضي الحديث فيه وذكر بعضاً من أنواعه، كما مثل له بأشعار كثيرة.

¹- المصدر نفسه، ص 343

²- المصدر نفسه، ص 373

التشبيه

(أشباه-الشبهة-المشابهة)

التشبيه: يقول ابن فارس: « الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفاً»¹، وقيل: « الشبه والشبيه: المثل، وأشبه الشيء: ماثلته، ويقال هذا شبهه أي شبيهه، وأشبهت فلاناً وشابهته وأشبهه علي، وتشابهها الشيطان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه هو التمثيل»²، و « الشبه والشبه والشبيه حقيقتها في المماثلة، والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى»³، و«الشبهة: الالتباس، وشبه عليه الأمر تشبيهاً: لبس عليه»⁴.

و في الاصطلاح: « يتفق البلاغيون على أن التشبيه هو الاتفاق بين شيئين، في صفة أو أكثر، فالتشبيه عند أهل البيان هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى لا على وجه الاستعارة الحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد»⁵، كما أن « التشبيه هو الدلالة على شيئاً أو صورة تشترك مع شيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة. وهو يتكون من

¹ - مقاييس اللغة، مادة(شبه)

² - لسان العرب، مادة(شبه)

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (شبه)

⁴ - القاموس المحيط، مادة (شبه)

⁵ - كشف اصطلاحات الفنون، ص434

مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبه»¹، يقول سيبويه: « تقول: (مررت برجل أسد أبوه) إذا كنت تريد أن تجعله شديداً، و(مررت برجل مثل الأسد أبوه) إذا كنت تشبهه»².

في اصطلاح (الوساطة):

التشبيه:

ورد هذا المصطلح اثنين وستين مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وبصيغ مختلفة (شبهه- أشبهه-شبيهه-المتشابهين)، والتشبيه عند القاضي الجرجاني في مفهومه لا يختلف على أسلافه من النقاد واللغويين، فهو اتفاق شيئين في صفة أو أكثر فيعلق على بيتٍ للمسيب بن علس جاء فيه:

وَكَأَنَّ غَارِيهَا رُبَاوَةٌ مَخْرِمٌ وَتَمُدُّ ثَنِي جَدِيلِهَا بِشَرَاخِ

فيقول: « أراد تشبيه العنق بدقل فغلط»³، ويشير أيضاً إلى ما يتداول من التشبيهات فيقول: « وما تزال العامة والخاصة، تشبه الورد بالخدود، والخدود بالورد، نظماً ونثراً»⁴، فالورد والخدود يتشابهان في صفة الاحمرار

كما تحدث القاضي عن التشبيه في ثانيا كلامه عن الخط بين الاستعارة والتشبيه عند بعض الناس، فيقول: « وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل؛ فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس:

وَالْحُبُّ ظَهْرُ أَنْتِ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ انصَرَفَ

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر...فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء»⁵. وقوله: « ومن ذا يشك في فضل امرئ القيس يشبه الناقة في سرعتها بتيس الظباء في عدوه »⁶، ثم يورد قول امرئ القيس:

أَوْ تَيْسٍ أَظْبِ بَبْطُنٍ وَاذِ يَعْذُو وَقَدْ أُفْرِدَ الْعَزْلُ

¹ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 99

² - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2 ص 167

³ - الوساطة، ص 20

⁴ - المصدر نفسه، ص 164

⁵ - المصدر نفسه، ص 45

⁶ - المصدر نفسه، ص 165

وفي كلامه عن سرقات المتنبي المدعاة، يتكلم القاضي عن تشبيه الشيء بشيء، وذكر أن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وآخر بالحال والطريقة، كما يذكر محاسن التشبيه وأدواته، وما يعاب منه كقول المتنبي:

أَمِطَ عَنكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَلَاحِدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي

يلق القاضي: « فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمثل وشبه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف ثم تدخل على أن فيقال: كأنه الأسد، وقد تُقَرَّبَ العرب التشبيه بأن تجعل أحد الشيين هو الآخر، فتقول زيد الأسد عادياً، والسيف مسلولاً»¹. في هذا الاقتباس نتعرف على أقسام التشبيه عند القاضي وهي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهو لا يختلف فيها عن أسلافه.

التشبيه ب(ما):

التشبيه ب(ما)؛ من الأمور التي تفرد بذكرها القاضي وخصص لها حيزاً من كتابه الوساطة لتفصيلها، ولأنها تتصل بمصطلح التشبيه ارتأينا أن نذكرها في تتبعنا لهذا المصطلح، يقول القاضي: « فأما (ما) فلها مواقع معروفة وليس للتشبيه في أبوابها مدخل. وهذا مما سئل أبو الطيب عنه فذكر أن (ما) تأتي لتحقيق التشبيه؛ تقول: عبد الله الأسد وما عبد الله إلا الأسد وإلا كالأسد، تنفي أن يشبه بغيره »²، ويمثل لهذا النوع من التشبيه بقول الشاعر:

وما هندُ إلا مُهْرَةٌ عربية سَلِيلَةٌ أفراس تجلَّلها بَعْلُ

وقد تجيء مع الكاف قال لبيد:

وما المرؤُ إلا كالشهابِ وضوئِهِ يَحُورُ رَمَاداً إذ هو مَاطِعُ

ويلق عن البيتين فيقول: « فكأن قائلاً قال: ما هو إلا كذا، وآخر قال: كأنه كذا... إن التشبيه بما محال وإنما يقع التشبيه في هذه المواضع التي ذكرها بحرفه»³.

ف(ما) على رأي الجرجاني لا دخل لها في التشبيه وإنما التشبيه يقع بحرفه؛ فمثلاً في قوله: ما المرء إلا كالشهاب فالتشبيه وقع بالكاف، و(ما) دخلت للنفي فنفت أن يكون المرء إلا كالشهاب، فهي لم تتعد موضعها من النفي.

¹ - المصدر نفسه، ص 367

² - الوساطة ، ص 368

³ - المصدر نفسه ، ص 368

المشبه:

ورد مرة واحدة، وهو أحد طرفي التشبيه، يقول: « فقد يكون المشبه بالشمس في العلو والنباهة»¹.

أشباه:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة مطلقاً، بمعنى أمثال، كما في قوله: « وأشباه ذلك مما يكثر تعقبه، ولم يذكر إلا اليسير منه»².

المشابهة:

ورد هذا المصطلح مرتين في كتاب الوساطة، وجاء بمعنى المماثلة، كما في قوله: « وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غير مستكرهة، وقريبةُ المشاكلة ظاهرةُ المشابهة»³ وقوله: « وألا يكون همك في تتبع الأبيات المتشابهة، والمعاني المتناسخة»⁴.

الشبهة والاشتباه:

تكرر هذا المصطلح خمس مرات (معرفاً ومنكراً)، كان فيها بمعنى الإلتباس الذي يحدث نتيجةً لعدم القدرة على التمييز بين أمرين لتشابه بينهما يقول: « ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها»⁵، وقوله: « لو قال: نفوسهم لأزال الشبهة، ودفع القالة»⁶.

والقاضي لم يخرج في حديثه عن التشبيه عما ذكره سابقوه، وإن فصل في كلامه عن التشبيه ب(ما) والتمثيل لها لتبيين دورها من عدمه في التشبيه.

1 - المصدر نفسه ، ص392

2- المصدر نفسه، ص22

3- الوساطة، ص358

4- المصدر نفسه، ص175

5 - المصدر نفسه، ص92

6 - المصدر نفسه، ص372

التفسير

(المفسرين)

التفسير: « فَسَّرَ الشَّيْءَ وَيُفَسِّرُهُ فَسْرًا: أَبَانَهُ»¹، و « الفِسرُ: بيان الشيء وإيضاحه»²، كما أن « الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول ومنه التَّفْسِيرُ قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل»³، وقيل: « الفَسْرُ البيان والتفسيرُ مثله»⁴، وعند ثعلب: « التَّفْسِيرُ والتأويل واحدٌ أو هو كشف المراد عن المُشْكِلِ»⁵.

أما في الاصطلاح: هو « الإبانة والكشف والإيضاح»⁶، وقيل إن « التفسير في الأصل هو هو الكشف والإظهار وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها وسبب نزولها...»⁷، وهو « أن يأتي الشاعر بمعنى غير مستقل بالفهم، أو غير منفصل، ثم يفسره بعد ذلك إما

¹ - لسان العرب، مادة(فسر)

² - معجم مقاييس اللغة، مادة(فسر)

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(فسر)

⁴ - مختار الصحاح، مادة(فسر)

⁵ - قاموس المحيط، مادة(فسر)

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص270، وينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص445

⁷ - التعريفات، ص95

في الشطر الثاني، أو البيت الثاني، أو الأبيات التالية»¹، و «التفسيرُ أن يعدد الشاعر عدة أوصافٍ مجملَةٍ ثم يأتي بعد ذلك بالتفسير لها»².

في اصطلاح الوساطة:

التفسير:

تكرر هذا المصطلح في ثمانية مواضع كلها (نكرة)، وقصد به القاضي شرح وتوضيح الغامض من المعاني، حتى تصبح أكثر وضوحاً ويسراً في الفهم، إذ « قيل في تفسير قوله (المتنبى):

ويستنفذون السّمهريّ المقوما*

إنا نطعنهم فتبقى الرّماحُ أو عواليها فيهم إذا أعجلونا بركض الخيل عن انتزاعها، وقيل غير ذلك»³.

ويضيف القاضي في تمثيله لتفسير بقول امرأة من بني عامر:

تعرفكم جزر الجزور رماحنا ويُمسِكُنَ بالأكبادِ مُنكسرات

يعلق القاضي: « وقد قيل في تفسيره أن الرماح تتكسر فتعلق بالأكباد عواليها»⁴.

وعن قول النابغة:

« لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصِحْنِي فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلٌّ مَالِي

يعقب القاضي: وفسر أبو الطيب وشرح ومُلح:

أَسِيرٌ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ

وَمَا مَطَّرَ ثَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا وَوَمِ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ»⁵

فبالرغم من روعة بيت النابغة واختصاره ووضوحه إلا أن القاضي الجرجاني يفضل بيتي أبي الطيب، لأنه زاد شرح المعنى بتعداده عطايا ممدوحة.

¹ - معجم الشامل، ص 328

² - كشاف اصطلاحات الفنون، ج 1 ص 492

* الشطر الثاني لم يرد في الوساطة، ولم يشر إليه المحقق في الإحالة

³ - ينظر: الوساطة، ص 275

⁴ - المصدر نفسه، ص 275

⁵ - المصدر نفسه، ص 179-198

كما يذكر القاضي مصطلح التفسير على اعتبار أنه وسيلة للإفهام في قوله: « فإني لو شعرت في تبين كل ما يشكل منه على الشادي، والمتوسط وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتجت إلى تفسير الديوان بأسره فإن اقتضت فعلى معظمه وأكثره»¹.
فهناك طبقات يجب أن يستوفي تفسير الديوان مستوياتها الفكرية المتباينة، فيطول أو يقصر شرح وتبسيط معاني الديوان بحسب قدرات المتلقي ودرجة استيعابه.

المفسرين:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد به القاضي من يشرحون الدواوين الشعرية، فيقول: « وأظنها لا حظا قول بعض المفسرين لبيت عنتر:
وابن النعمامة يوم ذلك مركبي ويكون مركبك القعود ورحله
فإنه زعم أن ابن النعمامة عرق في باطن القدم؛ لأن معنى البيت أنه راكب أخمصه ماشياً»².

و مع قلت ورود مصطلح التفسير، غير أن ما عرضناه يبين لنا أن القاضي يفضل أن يعتمد الشاعر إلى التفسير والشرح في أبياته لتبسيط المعنى لأن وضوح المعنى جمالية من جماليات الشعر عند القدماء

¹ - المصدر نفسه ، ص 360

² - المصدر نفسه ، ص 248

التفضيل

(الفضل-التفاضل-الأفاضل-الفضيلة-الفضائل-الفضلاء)

التفضيل: «فَضَلَهُ: مَزَاه، وَفَضَّلَ فَلَانٌ عَلَى غَيْرِهِ: إِذَا غَلَبَ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ»¹، وَقِيلَ: «الْفَضْلُ وَالْفَضِيلَةُ ضِدُّ النِّقْصِ وَالنَّقِيسَةِ، وَالْإِفْضَالُ الْإِحْسَانُ، وَرَجُلٌ مِفْضَالٌ وَامْرَأَةٌ مِفْضَالَةٌ عَلَى قَوْمِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ فَضْلٍ سَمِيحَةٍ، وَالْمُتَّفَضِلُ الَّذِي يَدْعِي الْفَضْلَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَالْفَضْلَةُ وَالْفَضَالَةُ مَا فَضَلَ مِنْ الشَّيْءِ»²، وَقِيلَ: «الْفَضْلُ الزِّيَادَةُ عَنِ الْإِقْتِصَارِ... وَكُلُّ عَطِيَّةٍ لَا تَلْزَمُ مَنْ يُعْطَى يُقَالُ لَهَا فَضْلٌ»³، وَ«النَّقَاضُ: التَّمَازِي، وَفَاضَلَنِي فَفَضَلْتُهُ كُنْتُ أَفْضَلَ مِنْهُ»⁴ وَالْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ فِي شَيْءٍ»⁵.

¹ - لسان العرب، مادة (فضل)

² - مختار الصحاح، مادة (فضل)

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فضل)

⁴ - القاموس المحيط، مادة (فضل)

⁵ - مقاييس اللغة، مادة (فضل)

أما في الاصطلاح: قصد به « تغليب أحد اثنين اشتراكاً في الصفة، فزاد أحدهما فيها على الآخر »¹. والفضيلة « استعداد ثابت للإقدام على أعمال صالحة »².

في اصطلاح (الوساطة):

التفضيل:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، والتفضيل عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى التمييز بين أمرين، وهذا بتقديم أحدهما عن الآخر لمزية في المقدم جعلته ينال التفضيل، يقول: « ولست أقول هذا غَضًّا من أبي تمام، ولا تهجيناً لشعره، ولا عصبية عليه لغيره، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وانتحل مولاته وتعظيمه »³. فالتفضيل هنا حمل معنى التقديم والتميز، الذي يوليه القاضي لأبي تمام.

ومثل لتفضيل بقول زهير:

يَطْعُهُمْ ما ارْتَمَوْا حتى إذا طَعْنُوا ضَارِبَ حتى إذا ما ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

وعلق عنه بقوله: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه

في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به، مقروناً إليه »⁴. فالتفضيل الممدوح كان بوصفه بالإقدام والمعانقة كلما اشتد الطعن، وهذا ما يتفضل به الممدوح عن غيره. وقوله: « ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل »⁵، كما ورد في قوله: « وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المُحدث والمحدث بسبيل؛ كما لا نسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم »⁶، ويقول: « وهذا معاوية يفضل عدياً على جماعة الشعراء »⁷، فمعاوية يقدم عدياً في المنزلة على غيره من الشعراء، ويقول في تفضيله لأصحاب السرقة

¹ - معجم الشامل، ص 330

² - المعجم الأدبي، ص 194

³ - الوساطة، ص 26

⁴ - الوساطة، ص 49

⁵ - المصدر نفسه، ص 13

⁶ - المصدر نفسه، ص 52

⁷ - المصدر نفسه، ص 53

الممدوحة: « ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تُعد مع المعاييب، ولم تُخص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحق، وبالمح والتزكية أولى»¹.

وقد جاء هذا المصطلح على وزن (أفعل) ثلاث مرات من مجموع مرات وروده، وكانت مترادفة في عبارة واحدة: « تقول: زيد أفضل الناس...ولو قلت: أفضل الحمير لم يصح...ولو قلت: أفضل ما يقضم الشعير...لم يجز»²، ولم يخرج فيها عن معنى التفضيل.

الفضل:

تكرر هذا المصطلح في ست وعشرين موضعاً (منكراً ومعرفاً)، وقد حمل معنى المزية أو المكانة الرفيعة، كما في قوله: « فإذا انصفت أبا دهب عرفت فضله»³، وقوله: « حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدي إليها من هو أحق بها و اكتست من فضله أزين ملابس فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة»⁴، ويتكلم القاضي هنا عن فضيلة المنتبى وهي شعره، وفضل القاضي الذي اهتدى إليها وأظهرها في أحسن مظهر؛ فالفضل هنا حمل معنى المزية.

التفاضل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في خمس موضع في الوساطة (معرفاً ومنكراً) وقصد القاضي بالتفاضل التمايز والتفاوت في المراتب، هذا ما يستفاد من قول القاضي: « التفاضل -أطال الله بقاءك- داعية التنافس؛ والتنافس سبب التحاسد»⁵. فالتفاوت بين الشعراء وتميزهم، سبب لتحاسد والتنافس، ويقول: « وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصناعة الشعر»⁶.

الأفاضل:

¹ - المصدر نفسه، ص 165

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 364

³ - المصدر نفسه ، ص 166

⁴ - المصدر نفسه ، ص 11

⁵ - الوساطة، ص 11

⁶ - المصدر نفسه، ص 163

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والأفاضل هم أصحاب المراتب العليا بين الشعراء ممن يعتد بشعرهم، يقول القاضي: « وقصرت به الهمة عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستر ما كشفه العجز عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سمته»¹.

الفاضل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وهو مفرد أفاضل وجاء بمعناه في قوله: « ولازال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنا يوجد أبداً»²، وقوله: « وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكره أن أبيت حكماً أو أفضل قضاء أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُحسن مصيب»³. والفاضل من الشعراء هو صاحب المكانة الرفيعة.

الفضيلة:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، يقول في تعليقه عن بيت أبي الطيب:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَّيْتُ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

يلق القاضي: « صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تستثرها المحاسد لم تبرح في

الصدر كامنة، ومنقبة لو لم تزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزت فتناولتها ألسن الحسد تجلوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهرها وهي تحاول أن تسترها»⁴.

فالقاضي هنا يتحدث عن شعر المتنبي الذي أظهره حاسدوه وأبرزوه بتحاملم عليه ومحاولتهم الإنقاص منه فحدث العكس، فكان هذا التحامل سبباً في ظهور شعره وشيوعه

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

⁵ (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) .

¹ - المصدر نفسه، ص 11

² - المصدر نفسه، ص 13

³ - المصدر نفسه، ص 110

⁴ - الوساطة، ص 11

⁵ - سورة البقرة، الآية 216

الفضائل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة، والفضائل جمع فضيلة، وعنى به القاضي المحاسن والمناقب وضدها المعاييب، يقول: « فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معاييبه وتتبع سقاطته، وإذاعة غفلاته»¹، وقوله: « ثم لك بكل سيئة عشر حسنات، وبكل نقيصة عشر فضائل»²، فالفضيلة هنا عكس النقيصة، وقوله: « ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة، ولا تقدمه الفضائل المجتمعة، وأن تحطه الزلة العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة»³ فالفضائل هنا حملت معنى المناقب.

الفضلاء:

ورد مرة واحدة في الوساطة، كانت في قوله: « رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه»⁴.

فالتفضيل بين المعاني عند القاضي يكون عندما يقوم الشاعر بوصف، ثم يستطرد إلى وصف آخر يزيد الممدوح تفضيلاً ومدحاً.

التقسيم

(الأقسام - القسم و القسمة)

التقسيم: قَسَمَ جِزاً، وَقَسَمَهُ جِزَاهُ، وَالتَّقْسِيمُ هو التجزئة والتفريق⁵، الْقِسْمُ إِفْرَازُ النَّصِيبِ، يقال: يقال: قَسَمْتُ كَذَا قِسْماً وَقِسْمَةً وَقِسْمَةً الميراثِ وَقِسْمَةَ الغَنِيمَةِ تَفْرِيقُهُمَا عَلَى أَرْبَابِهِمَا⁶، يقول

تعالى: () ﴿ قَسَمَ لَكُمْ تِلْكَ الْقِسْمَ حَقّاً لِمَنْ كَسَبَ ﴾ [النحل: 67] ﴿ قَسَمَ لَكُمْ تِلْكَ الْقِسْمَ حَقّاً لِمَنْ كَسَبَ ﴾ [النحل: 67]

1- الوساطة، ص12

2- المصدر نفسه، ص55

3- المصدر نفسه، ص92

4- المصدر نفسه، ص11

5- لسان العرب، مادة (قسم)

6- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(قسم)

﴿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ﴾¹، أَقَاسِيْمٌ: الجزء من الشيء المقسوم و قَاسَمَهُ الشيء أخذ كل قِسْمَهُ²، وعند ابن فارس: القَسْمُ تَجْزِئَةُ شَيْءٍ³.

وفي الاصطلاح: هو « أن يُريد المتكلم شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له»⁴، أو هو « أن يريد المتكلم متعدياً أو ما هو في حكم المتعدد، ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين، والكل راجع إلى مقصود واحد»⁵، وهو « أن يذكر الشاعر أمراً له أجزاء، أو أحكام مختلفة، ثم يقسمها جميعاً حتى يستوفيها»⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

التقسيم:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعنى التقسيم عند القاضي الجرجاني هو التجزئة، وقد عده من أنواع البديع، ويجعله موصولاً، ويمثل له بقول زهير:

يَطْعُنُهُمَ مَا ارْتَمُوا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا

يعلق القاضي عن البيت فيقول: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح فصار موصولاً به مقروناً إليه»⁷، وقوله: « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه؛ إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو

معناه أو إعرابه؟»⁸، فسوء التقسيم يعد من الأغاليط التي تحسب على الشعراء وتعب بها أشعارهم، مهما كان زمانهم.

¹ - سورة الحجر، الآية 44

² - القاموس المحيط، مادة (قسم)

³ - مقاييس اللغة، مادة (قسم)

⁴ - ينظر: البلاغة الاصطلاحية، ص 325

⁵ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 116 وينظر: المعجم المفصل في الأدب، ص 273

⁶ - معجم الشامل، ص 374

⁷ - الوساطة، ص 49

⁸ - الوساطة، ص 14

ولتقسيم مراتب تختلف باختلاف المعاني التي تختلف باختلاف أغراض الشعر، يقول: « بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كفخرك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزل جدك ولا تعريضك بمنزل تصريحك، بل ترتب كل مرتبته وتوفيه حقه»¹، فكل قسم يعد مرتبة يجب أن توفى حقها.

الأقسام:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والأقسام هي الأنواع أو الأصناف، يقول: « وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس»²، وقصده هنا بأقسام التجنيس أنواعه. وبنفس المعنى في قوله: « ولست تعد من جهاذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه»³.

القسم و القسمة:

ورد هذا المصطلح تسع مرات مذكراً ومرة وحدة مؤنثاً (معرفاً ومنكراً)، وكلاهما جاء بمعنى الجزء، كما في تعليقه عن بيت عنتر:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرَرُ وَإِنْ يَسْتَلْحَمُوا أَشَدُّ وَإِنْ يَنْزِلُوا بَضِيقٌ أَنْزَلُ

يقول القاضي: « و إن كان إنما أزوج كل قسم بقريته، وما هو وفقه، ولم يرضى الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدماً، وارتفع عليه درجة، وقد تكون القسمة مطلقة غير مشفوعة»⁴، وقوله: " هذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس»⁵، وقوله: « ومن القسم الذي لاحظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة»⁶.

فالتقسيم عند القاضي له مراتب يجب أن تستوفي حقها، فتقع الألفاظ على رتب المعاني التي تختلف باختلاف أغراض الشعر، شرط استفاء الأقسام في بيت واحد، فصحة التقسيم تكتمل بتمام المعنى واستيفائه.

التقصير

(المقصر)

1 - المصدر نفسه، ص 30

2- المصدر نفسه، ص 49

3- المصدر نفسه، ص 161

4- المصدر نفسه، ص 50

5 - المصدر نفسه، ص 109

6 - المصدر نفسه، ص 341

التقصير: « القَصْرُ: الحَبْسُ، وَقَصَرَ قَيْدَ بَعِيرِهِ قَصِيرًا: إِذَا ضَيَّقَهُ. وَقَصَرَ فُلَانٌ صَلَاتَهُ يَقْصُرُهَا قِصْرًا فِي السَّفَرِ. وَقَصَرَ: نَقَصَ وَرَخَّصَ»¹، وقولهم: « قَصْرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَقَصَارُكَ وَقُصَارُكَ أَي غَايَتُكَ وَآخِرُ أَمْرِكَ وَمَا اقْتَصَرْتَ عَلَيْهِ، وَقَصَرَ الشَّيْءُ حَبْسَهُ، وَقَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ عَجَزَ عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ، وَالتَّقْصِيرُ فِي الْأَمْرِ التَّوَانِي عَنْهُ»²، ويقال: « قَصَرْتُ كَذَا ضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقِصْرُ وَجَمَعَهُ قُصُورٌ، وَاقْتَصَرَ عَلَى كَذَا اِكْتَفَى بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ الْقَصِيرِ مِنْهُ أَي الْقَلِيلِ»³، وقيل: «الْقَصْرُ وَالْقِصْرُ خِلَافُ الطُّولِ، وَقَصَرَ عَنْهُ: تَرَكَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ»⁴، والقَصْرُ يَدُلُّ عَلَى أَلَا يَبْلُغُ الشَّيْءُ مَدَاهُ وَنَهَائِيَّتَهُ»⁵.

و في الاصطلاح: أن ينقص السارق من كلامه ما هو من تمامه⁶.

ولأمثلة عن التقصير في أشعار القدماء كثيرة، كما يقول عنتره:

وَإِذَا سَكْرَتْ فَاِنْنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

أخذهما حسان فنقص منهما ذكر الصحو فقال:

فَنَشْرِبُهَا فَتَتْرَكُنَا مَلُوكًا وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ

ومعنى ذلك أن هذا النوع يدخل في السرقات غير المحمودة، لان اللاحق قصر عن السابق⁷ السابق⁷ وقيل « القَصْرُ تَخْصِيصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ»⁸، والتقصير «هو ترك الشيء أو بعضه عن عجز»⁹.

في اصطلاح (الوساطة):

التقصير:

¹ - لسان العرب، مادة (قصر)

² - مختار الصحاح، مادة(قصر)

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(قصر)

⁴ - القاموس المحيط، مادة(قصر)

⁵ - مقاييس اللغة، مادة(قصر)

⁶ - ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص365

⁷ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص334-335

⁸ - معجم المفصل في الأدب، ص706

⁹ - الكليات، ص310

تكرر هذا المصطلح في تسعة وثلاثين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، والتقصير عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أ- التقصير بمعنى الإنقاص وعدم بلوغ الغاية، يقول القاضي على أنصار المتنبّي: « ويميل على من عابه بالزراية والتقصير، ويتناول من يَنْقُصُهُ بالاستحْقار والتجهيل »¹. فأنصار المتنبّي يتناولون من يعيبه بالإنقاص من قيمته واستحقاره وتجهيله. وقوله: « رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره »²، فهناك تقابل بين الكمال والتقصير، وضد الكمال النقص، وهذا هو معنى التقصير.

ومثل لتقصير في المعاني بين الشعراء ببيتين أحدهما لأبي نواس والآخر لأبي الطيب فيقول أبو نواس:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانٌ

ويقول أبو الطيب:

كذب المخبرُ عنكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مَنْ بِالْعِرَاقِ يِرَاكُ فِي طَرْسُوسَا

يعلق القاضي: « فقصر، لأنه اقتصر على من بالعراق، وعم أبو نواس القلب والأماكن، و بين اللفظين بون في الجزالة والصحة »³، ويمثل للتقصير بقول المتنبّي:

يَرَى فِي النَّوْمِ رُوحَكَ فِي كُلاهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السُّهَادِ

يعلق القاضي: « فقصر في ذلك السُّهاد، لأنه أراد أن يقابل بها النوم، وبذلك يتم المعنى وليس كل يقظة سهاداً؛ إنما السُّهاد امتناع الكرى في الليل، ولا يسمى المتصرف في حاجاته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظاً »⁴.

والقاضي يعد التقصير في الشعر إساءة، إذ يقول: « وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة »⁵، فيقابل الإحسان بالإصابة والتقصير بالإساءة.

¹ - الوساطة، ص 12

² - المصدر نفسه، ص 11

³ - المصدر نفسه، ص 189

⁴ - المصدر نفسه، ص 215

⁵ - المصدر نفسه، ص 356

ب- التقصير بالمعنى المخالف للإطالة، يقول القاضي: « أراد التتاهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره»¹.

التقصير الفاحش:

وهو التقصير المفرط البائن والظاهر، يقول: « وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البينة، والتقصير الفاحش»².

تقصير شديد:

جاء بمعنى النقص والقلّة، يقول القاضي: « وهذا الاعتراض يدل على تقصير شديد في العلم بكلام العرب»³.

المُقَصِّر:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والمقصر من يقوم بالتقصير، يقول: « ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرط، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا، وأقام بين كل حديث فصلاً»⁴.

التقصير في المعاني وعدم البلوغ بها درجة الانتهاء يعده القاضي إساءة يلام وينتقد عليه الشاعر، كما حدث مع المتنبي في ما ذكرناه من أمثلة.

¹ - الوساطة، ص 390

² - المصدر نفسه، ص 360

³ - المصدر نفسه، ص 364

⁴ - المصدر نفسه، ص 13

التكلف

(المتكلف-المتكلفون)

التكلف: يقول ابن فارس: «الكاف واللام والفاء أصلٌ صحيح يدل على إيلاجٍ بالشيء وتعلقٍ به... يقولون: " لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا، ولا بُغْضُكَ تَأْفًا"»¹، وقيل: «الكَلْفُ: الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة، وكَلْفَهُ تَكْلِيفًا أي أمره بما يشق عليه. وتكَلَّفَتِ الشَّيْءَ: تَجَنَّمَتْهُ على مشقة وعلى خلاف عَادَتِكَ، وكَلِفْتَهُ إِذَا تَحَمَّلْتَهُ. يقال: فلان يَتَكَلَّفُ لِإِخْوَانِهِ الكُلْفَ والتكالييفَ و يقال: حملت الشيء تَكْلُفَةً إِذَا لم تطقه إِلا تَكْلُفًا، وفي الحديث: أَنَا وَأُمْتِي بُرَاءٌ مِنَ التَّكْلُفِ»² واعتبر أن «المُتَكَلِّفُ: العَرِضُ لما لا يعنيه، وكلف به كفرح»³.
و في الاصطلاح: هو « طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة»⁴، أو هو « معاناة الفاعل الفعل ليحصل، نحو: " تشجّع الجنديُّ " ، أي: تكلف الشجاعة وعانها لتحصل»⁵، فالتكلف من الكلام هو « ما بَعُدَ عن الطبع وبانَ فيه العناء، وصعَبَ فهمُه ومجّه الذوق»⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

التكلف:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث وعشرين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، والتكلف عند القاضي الجرجاني هو إتعاب الفكر، وكد خاطر، لظفر بجنس من الشعر يرضاه الشاعر وهذا بعد العناء والمشقة، يقول القاضي في حديثه عن تكلف أبي تمام: « فإن رام أحدهم الإغراء والإقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تصنع مع التكلف المقت ... وربما كان ذلك سبباً لطمس المحاسن، كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام، فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توعير اللفظ، فقبح في غير موضع من شعره...وصار هذا الجنس من شعره إذا قرع

1- مقاييس اللغة، مادة(كلف)

2- لسان العرب، مادة (كلف)

3- القاموس المحيط، مادة (كلف)

4- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 120

5- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 446

6- المعجم المفصل في الأدب، ص 753

السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكد خاطر... فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة... وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن، أو الالتذاذ بمستظرف وهذه جريرة التكلف!¹.

فالتكلف من الشعر تمقته النفس ولا تستمتع بسماعه، كما يجهد الفكر لإيصاله إلى القلب، فيطمس محاسن الأشعار، ويمحو طلاوة ما تقدم.

ويكشف القاضي عن سر ذبوع شعر المطبوعين من الشعراء وموقعه المستظرف من القلب، وارتياح النفس له فيقول: « وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر...وملاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض العمل والاسترسال إلى الطبع»².

فسر حلاوة أشعار المطبوعين وقربها من النفوس كأشعار جرير وذبي الرمة في القدماء والبحثري في المتأخرين، هو تركهم التكلف والتعمل كما يرى القاضي.

ويمثل القاضي للتكلف في الشعر بما قاله الأصمعي لإسحاق بن إبراهيم الموصلي عندما أنشده بيتين، فيقول القاضي: « حكي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشدت الأصمعي:

هَلْ إِلَى نَظْرَةِ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُبَلِّ الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْتُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال: والله هذا الدبياجُ الحُسرَواني، لِمَنْ تتشدني؟ فقلت: إنهما ليلتئها فقال: لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر»³.

ومن العلامات الدالة على التكلف، كما يرى القاضي كثرة استعمال اسم الإشارة (ذا) فيقول: « وهو أكثرُ الشعراء-المنتبي- استعمالاً لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر، دالة على التكلف»⁴، ويمثل لهذا بقول المنتبي في هذين البيتين:

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيَا

¹ - ينظر: الوساطة، ص 25-26

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 31

³ - المصدر نفسه، ص 53

⁴ - المصدر نفسه، ص 88

وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْدِ تِكِّ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ

فيعلق على البيتين بقوله: « فأما في مثل قوله في هذين البيتين: (ومن حق ذا الشريف عليك)؛ و (في وقتك ذا) ... فهو- كما تراه- سخافةً وضعفاً، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعافاً ما ذكره من هذه الإشارة»¹

المتكلف:

تكرر هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والمتكلف من يفارق الطبع ويعمد لتصنع في شعره يقوله: « فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب، وقروي متكلف»²، ويقول: « فأسلم من تورط المسترسل، ولا أقف موقف المتكلف»³.

المتكلفون:

ورد مرة واحدة في الوساطة، وهو جمع متكلف وجاء بمعناه، وقد ورد مرة واحدة في كلامه عن إغراب المتنبي: « وقد يعيبه المتكلفون في هذا البيت»⁴.

وكلام القاضي عن التكلف متشعب في وساطته، ضرب عليه الكثير من الأمثال، ونفرد بأن ميز بين التكلف والتصنع في الشعر، وهذا ما غاب عن أسلافه من النقاد في العقود التي سبقته.

¹ - الوساطة، ص 89-90

² - المصدر نفسه، ص 70

³ - المصدر نفسه، ص 142

⁴ - المصدر نفسه، ص 232

التَّمَامُ

(التَّامُّ-التَّامَّة- الاستتمام)

التَّمَامُ: « تَمَّ الشيء يَتَمُّ تَمًّا وَتَمًّا وَتَمَامَةً وَتَمَاماً وَتَمَّةً، وتَمَّ الشيء وتَمَّامه وَتَمَّتَهُ: ما تَمَّ بِهِ، وَتَمَّةُ الطَّعَامِ: إِذَا فَسَدَ، وَتَمَّةُ اللَّبَنِ: تَغْيِرَتْ رَائِحَتَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: إِنَّمَا وَصَفَ كَلَامَهُ بِالْتَمَامِ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ نَقْصٌ أَوْ عَيْبٌ كَمَا يَكُونُ فِي كَلَامِ النَّاسِ »¹، وَيُقَالُ أَيْضاً: «التَّامُّ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ: ضِدُّ النَّاقِصِ...وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى الْكَامِلِ»²، وَيُقَالُ إِذَا « تَمَّ الشَّيْءُ... تَكَمَّلَتْ أَجْزَاؤُهُ...فَهُوَ تَامٌ »³، وَتَمَّامُ الشَّيْءِ: « انْتِهَائُوهُ إِلَى حَدِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ »⁴. وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: « هُوَ الْكَمَالُ وَعَدَمُ الْحَاجَةِ إِلَى شَيْءٍ »⁵، وَهُوَ « أَنْ يَأْتِيَ فِي الشَّعْرِ أَوْ النَّثْرِ، كَلَامٌ حَذَفَ مِنْهُ يَخْلُ بِالْمَعْنَى الْمَقْصُودِ، أَوْ جَمَالَ الْعِبَارَةِ »⁶، وَهُوَ عِنْدَ الْبَعْضِ «الْإِتْيَانُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ بِكَلِمَةٍ إِذَا طُرِحَتْ مِنَ الْكَلَامِ نَقْصٌ حَسَنٌ وَمَعْنَاهُ»⁷. وَهُوَ « أَنْ يَذْكَرَ الشَّاعِرُ الْمَعْنَى فَلَا يَدْعُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَتَمُّ بِهَا صِحَّتَهُ، وَتَكْتَمِلُ مَعَهَا جُودَتُهُ شَيْئاً إِلَّا أَتَى بِهِ »⁸.

في اصطلاح (الوساطة):

التَّمَامُ:

ورد هذا المصطلح في أربعة عشر موضعاً (منكراً ومعرفاً)، ومعنى التَّمَامُ عند القاضي الجرجاني بخلاف النقص، فهو الاكتمال أو الكمال في الألفاظ والمعاني التي تتخلل الشعر أو النثر، يقول: « فَإِنْ عَثَرَ عَلَى بَيْتٍ مَخْتَلٍ النَّظْمِ، أَوْ نَبِهَ عَلَى لَفْظٍ نَاقِصٍ عَنِ التَّمَامِ،

¹ - لسان العرب، مادة (تَمَّ)

² - كشاف اصطلاحات الفنون، مادة (تَمَّ)

³ - تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (تَمَّ)

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (تَمَّ)

⁵ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 454

⁶ - معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص 270

⁷ - المعجم المفصل في الأدب، ص 223

⁸ - معجم البلاغة العربية، ص 132

الترمز من نصرة خطئه ...»¹، وقوله: « وإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار، وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن، وتستوفي أوصاف الكمال، وتذهب في الأنفس كل مذهب، وتقف من التمام في كل طريق»².

التَّام:

ورد هذا المصطلح في الوساطة مرتين (نكرة) وحمل معنى الكمال والاكتمال في قوله: « فلا تكن كمن يرى السرقة لا يتم إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل البيت جملة، والمصراع تاماً »³، وقوله: « فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكامل الأعضاء، تام الجوارح»⁴.

التَّامَّة:

التَّامَّة مؤنث التَّام، وقد وردت مرتين في الوساطة، إحداها نكرة والأخرى معرفة، قال الجرجاني: « وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التَّامَّة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة موموقة؛ ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها»⁵، وقد وردت في قوله: « وكان عبيد راوية الأعشى ولم تسمع له كلمة تامة »⁶ والتامة في كلا الاقتباسين جاءت بمعنى الكاملة.

الاستتمام:

ورد مصطلح الاستتمام مرة واحدة في الوساطة وجاء فيها بمعنى الاكتمال في قوله: « ومن طلب أبواب الحذف والاختصار والانتقال من كلام إلى كلام والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه...»⁷.

التمام عند القاضي من صفات الكلام الحسن المكتمل، الذي يصل به قائله إلى المقصد من معانيه وألفاظه.

¹ - الوساطة، ص 12

² - الوساطة، ص 342

³ - المصدر نفسه، ص 168

⁴ - المصدر نفسه، ص 357

⁵ - المصدر نفسه، ص 92

⁶ - المصدر نفسه، ص 23

⁷ - المصدر نفسه، ص 372

التهذيب

(المهذب-المهذبة)

التهذيب: يقال: « التَهْذِيبُ كالتنقية، هَذَبَ الشَّيْءَ يَهْذِبُهُ هَذْبًا، وَهَذَبَهُ: نَقَاهُ وَأَخْلَصَهُ»¹، وهو « كلمة تدل على تنقية الشيء مما يشوبه، يقال شيء مُهَذَّبٌ: مُنْقَى مما يعيبه، وأصلها الإِهْذَابُ: السرعة في الطيران والعدو، ومعناه أنه لا يمكن التعلق به»²، ويقال: « أصل التَهْذِيبِ وَالهَذْبِ: هُوَ تَنْقِيَةُ الْأَشْجَارِ بِقَطْعِ الْأَطْرَافِ، لِتَزِيدَ نَمُوًّا حَسَنًا، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ فِي تَنْقِيَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَإِصْلَاحِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِنَ الشَّوَائِبِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي تَنْقِيَةِ الشَّعْرِ وَتَزِينِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِمَّا يَشِينُهُ عِنْدَ الْفَصْحَاءِ وَأَهْلِ اللِّسَانِ»³، واعتبر « الهَذْبُ: الصَّفَاءُ وَالْخُلُوصُ، وَرَجُلٌ مُهَذَّبٌ: مُطَهَّرُ الْأَخْلَاقِ»⁴.

وفي الاصطلاح: « التهذيب هو التنقيح والتصحيح وتغيير الكلام الذي لا يراه الأديب جميلًا أو مناسبًا كما كان يفعل زهير بن أبي سلمى في قصائده التي سميت بالحواليات لأن كلاً منها كان يستغرق سنة كاملة كتابةً وتنقيحاً»⁵، ويقال: « هذب الشعر أصلحه ونقحه»⁶ وقيل: « من التهذيب أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ، والقوافي قبل الأبيات»⁷.

في اصطلاح الوساطة:

التهذيب:

ورد مصطلح التهذيب خمس مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وحمل فيها معنى التنقيح والتنقية و إعادة النظر في الكلام للخروج به في أحسن صورة، يقول: « كذلك الكلام: منثور ومنظوم، ومجمله ومفصله، تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوي، والمصنع المحكم

1- لسان العرب، مادة (هذب)

2- مقاييس اللغة، مادة (هذب)

3- تاج العروس، مادة (هذب)

4- القاموس المحيط، مادة (هذب)

5- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 463

6- المعجم الأدبي، ص 286

7- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص 404

والممنق المواشح قد هُذَّبَ كلُّ التَّهْذِيبِ...»¹، وقوله: « هذا قولي فيما صفا وخلص وهُذَّبَ ونقح، فلم يوجد في معناه خلل، ولا في لفظه دخل...»².

وفي سياق دفاعه عن المتنبي يرى أن التهذيب شرط لقطع ألسن المعيبين عن شعره فيقول: « وجملة القول في هذه الأبيات وأشباهاها، أنه لو وُقِّي التهذيب حقه، ولم يبخرس التثقيف شرطه لا انقطعت عنها ألسن العيب، وانسدت دونها طرق الطعن»³. وفي قوله: « و كان الشعر أحد أقسام منطقتها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية ... خرج كما تراه فحماً جزلاً قوياً متيناً»⁴.

المُهذَّب:

المُهذَّب من قام بفعل التهذيب، ورد مرتين في الوساطة (معرفاً)، يقول القاضي: « قيل: زلة عالم، وقل من خلا منها، وأي الرجل المهذب!»⁵، والرجل المهذب عند القاضي هنا هو الرجل الفاضل الذي لا يعثر له على زلة، وصيغة التعجب تنبه إلى عدم وجوده في رأي القاضي.

المهذبة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في قوله: « وهذا أمر تستخبر به النفوس المهذبة، وتستنشهد عليه الأذهان المثقفة»⁶.

فالتهذيب عند القاضي سلاح يحتمي به الشاعر من ألسنة معيبيه، فيخرج به أشعاره فخمة جزلة قوية متينة.

¹ - الوساطة، ص 342

² - المصدر نفسه، ص 342

³ - الوساطة، ص 344

⁴ - المصدر نفسه، ص 24

⁵ - المصدر نفسه، ص 13

⁶ - المصدر نفسه، ص 342

التناسب

(الانتساب-المناسبة-الأنساب)

التناسب: يقال: « ناسبه شاركه في نسبه، والمناسبة: المشاكلة»¹، وجاء في القاموس أن « هذا الشعر أنسب، أي أرق نسيب»². وقيل: « الانتسابُ في الشعرِ إلى المرأةِ بِذِكْرِ العشقِ، يقال نَسَبَ الشاعرُ بالمرأةِ نَسَبًا ونَسِيبًا»³.

أما في الاصطلاح: هو « حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي، حتى يتمتع كل عنصرٍ منه بنصيبه من الاهتمام والإبراز مع مساهمته في انسجام الكلِّ وتماسكه»⁴، أو « حُسْنُ العلامةِ وانسجامها بين أجزاء العمل الأدبي أو الفني»⁵، ويقصد بتناسب الأبيات « أن تكون الأبيات أو أشطرها متناسبة»⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

التناسب:

تكرر هذا المصطلح في خمسة مواضع من الوساطة (معرفةً ومنكرًا)، وقصد به تلاؤم وانسجام أبيات القصيدة، فيقول معلقاً على قصيدة لأبي تمام: « لتري تناسب أبياتها وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهاها، وملاءمة بعضها لبعض»⁷، وهو على وجهين عند القاضي:

أ-التناسب باتفاق الأبيات الشعرية في المعاني واختلافها في الصياغة، أو « اتفاق الألفاظ واختلاف الأغراض»⁸، يقول: « وألطف من هذا التناسب، وأغمض مأخذاً ما تجده

1- لسان العرب، مادة(نسب)

2- قاموس المحيط، مادة(نسب)

3- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(نسب)

4- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص122

5- المعجم المفصل في الأدب، ص284

6- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص357

7- الوساطة، ص36

8- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص198

بين هذه الأبيات إذا حذفّت عنك اعتبار أمتلتها. وأقبلت على حريص معانيها»¹ ، ومثل له بقول العرب:

يهاب العديذَ الدُّهُم من حيث لا يُرى ويخشى شُدَاةَ العِزِّ والعِزُّ غَائِبُ

وقول أبو هفان:

أنا السيف يُخشى حُدّه قبل هِزِه فكيف وقد هُزَّ الحسامُ المهنَّدُ

وقول البحتري:

ويخشى شُدَاهُ وهو غيرُ مُسَلِّطٍ وقد يُتَوَقَّى السيفُ والسيفُ في الغِمْدِ²

ب- التناسب بانفاق الصياغة واختلاف المعاني والأغراض، يقول: « كاختلافها وانفاق

أغراضها قول الطفيل الغنوي:

نجوم سماءٍ كلِّما انقضُّ كوكبُ بدا وانجَلَّت عنه الدُّجْنَةُ كَوَكَبُ

وقول أبي الطَّمَحَان:

نجوم سماءٍ كلِّما غَارَ كَوَكَبُ بَدَا كوكبُ تَأْوِي إليه كَوَاكِبُهُ»³

فهذان البيتان وان اتفقا في التركيب والأسلوب وتمائلت ألفاظهما، غير أنهما اختلفا في

المعاني والغرض الذي يرصبو إليه كل شاعر.

الانتساب:

ذكر هذا المصطلح في موضع واحد من الوساطة، والانتساب بين الأشعار عند القاضي

قد يكون باتفاقها في المعاني واختلافها في الأغراض أو العكس كما في تعليقه عن قول

الشاعر:

وما المرءُ إلا حيثُ يَجْعَلُ نفسه ففي صالح الأخلاقِ نفسك فاجعل

وهو من قول الآخر:

فنفسكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِن تَهَنْ عَلَيْكَ فلم تَلْقَ لها الدهرَ مُكْرِمًا

فيقول: « وحتى تتأمل هذه الأبيات فتعرف انتساب بعضها إلى بعض، واتصال كل واحد

منها بصاحبه، مع افتتان مذهبهما، واختلاف مواقعهما»¹.

¹ - الوساطة، ص 176

² - الوساطة ، ص 176

³ - المصدر نفسه، ص 177

المناسبة:

تكرر هذا المصطلح في موضعين من الوساطة، وقصد به الملائمة، كما في تعليقه على قول أبي تمام:

لو كان كلفها عبيداً حاجةً يوماً لزنى شدقماً وجدبلاً

فيقول القاضي: « وأظنه لو وجد لفظة أسقط من "زنى"، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها»².

الأنساب والنسب:

تكرر هذا المصطلح في تسعة مواضع من الوساطة، وقصد به صلة قرابة و رحم، يقول: « ولا أقبح وسماً من عقوق من ناسبك إلى أكرم آبائك، وشارك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك»³

ومصطلح التناسب عند القاضي يمكن اعتباره نوعاً من السرقة وإن لم يذكر ذلك صراحةً وهذا النوع من السرقة قد يكون باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني والأغراض أو العكس.

¹ - المصدر نفسه، ص 175

² - الوساطة، ص 66

³ - المصدر نفسه ، ص 12

الجزالة

(الجزل)

الجزالة: « الجزل الحطب اليابس وقيل الغليظ، ورجل جزل الرأي، وامرأة بينة الجزالة: جيدة الرأي، واللفظ الجزل خلاف الركيك، ورجل جزل: ثقف عاقل أصيل الرأي، والجزيل: العظيم والجزلة من النساء: العظيمة العجيزة، وأجزلت له من العطاء أي أكثرته، وأجزل له العطاء إذا أعظم، والجزلة: البقية من الرغيف والوطب والإناء والجلة»¹. والجزلة: « القطعة العظيمة من التمر، ويقال جزله بالسيف: قطعه جزلتين أي نصفين»².

وفي الاصطلاح: « جزالة الألفاظ هي متانة صياغة النص، مع عذوبة في اللغة ولذاذة في السمع. وهي العبارات المنسوجة بالمفردات الرصينة على أسلوب كبار البلغاء الذين أجادوا اختيار الكلم بحسب المقام»³، أوهي « فصاحة النص وامتانة صياغته، وتوخي الإتيان بالمفردات الفخمة، والعبارات المنسوجة على منوال كبار البلغاء»⁴، وأجمع التعارف وأشملها نجده عند ثعلب، يقول: « فأما جزالة اللفظ فمما لا يكون بالمغرب البدوي ولا السفاسف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، واستصعب على غير المطبوعين مراده وتوهم إمكانه»⁵.

في اصطلاح (الوساطة):

الجزالة:

مصطلح الجزالة ورد ثلاث مرات في الوساطة، مرتين منهما نكرة وكلها حملت معنى الفخامة في الكلام أو القول، أي أن الكلام عندما يبلغ درجة عالية من البلاغة؛ تطلق عليه

¹ - لسان العرب، مادة (جزل)

² - ينظر: مقاييس اللغة والقاموس المحيط، مادة (جزل)

³ - المعجم المفصل في الأدب، ص 314

⁴ - المعجم الأدبي، ص 84

⁵ - قواعد الشعر، أبي العباس أحمد بن الحسين ثعلب، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1995،

صفة الجزالة، يقول: « فما بال المتقدمين خصوا بمتانة الكلام و جزالة المنطق وفخامة الشعر »¹.

فمصطلح الجزالة ربطه القاضي بالفخامة، وهي من أعلى درجات البلاغة. كما أن الجزالة حملت معنى السلاسة والسهولة في الألفاظ، يقول: « وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته »². وقوله: « وبين اللفظيين بون من الجزالة »³. فجزالة اللفظ هنا تكمن في سهولته و وضوحه
الجزل:

ورد مرتين في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وحمل معنى الجزالة: « كذلك الكلام: منثور ومنظومه، ومجمله ومفصله، تجد منه المحكم الوثيق، والجزل القوي، والمصنع المحكم... »⁴. وفي قوله « فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً »⁵.

فمصطلح الجزالة عند القاضي يطلق على اللفظ إذا اجتمعت فيه جملة من الصفات أهمها القوة والفخامة والمتانة مع السلاسة والسهولة التي لا تخل بالمعنى.

¹ - الوساطة، ص 23

² - الوساطة، ص 38

³ - المصدر نفسه، ص 189

⁴ - المصدر نفسه، ص 342

⁵ - المصدر نفسه، ص 24

الجمع

(الجامع - أجمع - الاجتماع)

الجمع: « جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً، وجمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهنا والجمع خلاف التفريق ¹، أو هو « ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض ²، وقيل: « جمع الشيء عن المتفرق فاجتمع، وتجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا، والجمع اسم لجماعة الناس، ويجمع على جموع، وأجمع الأمر إذا عزم عليه، واستجمع السيل اجتمع ³».

وفي الاصطلاح: هو « أن تجمع بين متعدد في حكم ⁴، نجد السكاكي قد أدخله في المحسنات المعنوية فقال: « هو أن تدخل شيئين فصاعداً في شيء واحد ⁵، أو هو « أن أن تجمع شيئين أو أشياء في حكم واحد ⁶، كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَجْمَعُ الْبَيْنَ لَكُمْ فِي الْاٰمْرِ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النساء: 64) « أن تجمع شيئين أو أشياء في حكم واحد ⁷، و قول خلف الأحمر: « لم أر أجمع من بيت لامرئ القيس وهو قوله :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وقادَ وذادَ وعادَ وأفضلَ

ولا أجمع من قوله:

له أبطا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان و تقريبُ تنقل ⁸

في اصطلاح (الوساطة):

الجمع:

¹ - اللسان العرب، مادة (جمع)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جمع)

³ - مختار الصحاح، مادة (جمع)

⁴ - ينظر: مقالات العلوم في الحدود والرسوم، ص 116

⁵ - مفتاح العلوم، ص 200

⁶ - البلاغة الاصطلاحية، ص 325

⁷ - سورة الكهف، الآية 46

⁸ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2 ص 406

الجمع عند القاضي الجرجاني هو حصر المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وتجنب الإطالة لتجنب النسيان مع المحافظة على تمام المعنى، ورغم تعدد مرات ورود هذا المصطلح في الوساطة، فإن مرات وروده بهذا المعنى لم تتعدى ثماني مرات، منها قوله: «تقريب العبارة، وجمع المنفرد...»¹، كما جعله القاضي من أصناف البديع فقال بعد كلامه عن التقسيم: «ومما يقارب هذا جمع الأوصاف»²، ويقصد به أن يجمع الشاعر أكبر عدد من الأوصاف في بيت واحد، ثم يمثل لجمع الأوصاف بقول أبي داود:

بعيد مدى الطرف خاظمي البضيع مُمر المطا سَمهري العصب

وبقارنه بقول (النابعة) :

أبي غفلتي إني إذا ما ذكرته تقطع حزن في حشي الجوف داخلي
وأن تلادي إن نظرت وشكتي ومهري وما ضمت ألي الأنامل

كما يورد قول أبا دَهبل:

وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم

ويعلق عنه بقوله: «فإذا أنصفت أبا دَهبل عرفت فضله، وشهدت له بالإحسان، لأنه جمع هذا الكلام الطويل في قول (ولا أيديك واحدة عندي). ثم أضاف إليها (ولا بالذي أوليت من قدم) فتم المعنى، وأكده أحسن تأكيد، لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدها، وتقادم عهدا، فنفي عنه وجوه النسيان كلها»³.

كما نجده في تعليقه على بيت جرير الذي فيه:

واني لعفُ الفقرِ مُشتركُ الغنى سريعُ إذا لم أرضَ داري احتماليا

يعلق القاضي: «وأشبه ذلك مما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتمائل الأوزان»⁴.

وقوله: «وتعلم أن زهيراً جمع في قوله:

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغيةً

1 - الوساطة، ص 344

2 - الوساطة، ص 50

3 - المصدر نفسه، ص 166

4 - المصدر نفسه، ص 174

* الشطر الثاني لم يرد ولم يشر له المحقق في الإحالة

ما بسطه هؤلاء»¹.

والقاضي يستحسن جمع الكلام الطويل في أقل قدر من الألفاظ مع المحافظة على تمام المعنى، كما فعل أبا دهبيل.

الجامع:

الجامع في اللغة جاء بمعاني متعددة منها: «الجامع الأتان أول ما تحمل»²، وقدُرُ جَامِع

وجَامِعَةٌ وَجِمَاعٌ ككِتَاب: أي عظيمة³، والرجل المُجْتَمِع: الذي بَلَغَ أشدّه⁴، و جَامِعُ الكَلِم: ما يكون لفظه قليلاً ومعناه جزيلاً و الجِمَاعُ : ما جَمَعَ عدداً أي كلمة تجمَعُ كَلِمَات⁵.

وفي الاصطلاح: الجامع هو الخطيب المتمكن، الوافر الحظ من العقل والرأي كأنه من الأتان الجامع أو الرجل المجتمع، أو هو الخطيب الذي أوتي جوامع الكلام⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

الجامع:

مصطلح الجامع عند القاضي الجرجاني ورد مرة واحدة بمعنى الكلام المطبوع الذي يتمكن صاحبه من الإحاطة والإلمام بأكبر قدر من نعوت و مزايا وصفات الفصاحة والبلاغة، فيقول: « ويحتاج في كثير منها إلى دقة الفطنة، وصفاء القريحة، ولطف الفكر ويُعَدُّ العَوَص. وملاك ذلك كله، و تمامهُ الجَامِعُ والزَّمَامُ عليه صِحَّةُ الطَّبَعِ»⁷. وهذا ليس ببعيد عن ما ذهب إليه الجاحظ في تصوره لمعنى الكلام الجامع في قوله: « وهو القليل الجامع للكثير »⁸، فهذه الصفات والنعوت التي اشتمل عليها كلام الجرجاني مما يجب أن يُلَمَّ به كل فصيح بليغ.

أَجْمَعُ :

¹ - الوساطة، ص 176

² - مقاييس اللغة، مادة (جمع)

³ - تاج العروس، مادة (جمع)

⁴ - تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (جمع)

⁵ - مختار الصحاح، مادة (جمع)

⁶ - مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 152

⁷ - الوساطة، ص 343

⁸ - البيان و التبيين، ج 4 ص 29

و أجمعُ اسم تفضيل، من الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة من ألفاظ التوكيد، يؤكد به كل ما يصح افتراقه حساً أو حكماً¹.

وعند القاضي ورد مصطلح أجمع مرتين بمعنى الإلمام بشروط جودة الشعر وهي الإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة في القصيدة الواحدة يقول: « لكن لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قل ما تجد ذلك في القصيدة الواحدة »²، والقاضي يرى أنه من النادر أن نجد شاعر يجمع هذه المزايا في قصيدة واحدة. وقوله: « مع شدة الصعوبة حتى تكلف فلي الدواوين واستقراء القصائد فنفى منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقيل »³.

الاجتماع:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة وكان فيها بمعنى الاتفاق يقول: « وليس بمثل بقرط على علمه ومعرفته بالطب، واجتماع الألسن على تقديمه جهل ذلك »⁴.

فالقدرة على جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، عده القاضي من صفات الشاعر المقتدر والمحيط بقدر وافر من معجم اللغة، فتأتي أشعاره أقرب إلى الإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة، وملاك هذا كله جمع الكثير في اللفظ القليل.

¹ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 45

² - الوساطة، ص 344

³ - الوساطة، ص 24

⁴ - المصدر نفسه، ص 391

الحذف

الحذف: « حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعهُ من طرفه، وحذفُ الشيء: إسقاطه¹. والمَحذوفُ في العروض: ما سقط من آخره سبب خفيف، وحذفُهُ تحذيفاً: هيأهُ، وصنَعَهُ² وقيل: « حذفَ الصانعُ الشيءَ: سواه تسوية حسنة، كأنه حذفَ كل ما يجب حذفه، حتى خلا من كلِّ عيب وتهذب³».

وفي الاصطلاح: هو « أحد أقسام الإيجاز، ويكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مُسترك مسترذل، وكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرفقة⁴».

وقيل: « الحذف لا يكتمل إلا بدلالة على ما تم حذفه، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال⁵».

وكثيراً ما يمثل للحذف عند القدامى بقول « نعيم بن أوس يخاطب امرأته:

إن شئتِ أشرفنا جميعاً فدعا الله كلَّ جهده فأسمعا

بالخير خيراً وأن شرّاً فأ ولا أريد الشرّ إلا أن تآ

¹ - لسان العرب، مادة (حذف)

² - القاموس المحيط، مادة (حذف)

³ - أساس البلاغة، أبي القاسم بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،

ط1، 1998م مادة (حذف)

⁴ - معجم البلاغة العربية، ص 185-186

⁵ - المرجع نفسه، ص 186

ويرى النحويين أنه قصد بقوله: (وإن شراً فا) و(وإلا أن أتى) قالوا: يريد (وإن شرّ فشر) و(وإلا أن تشائي)»¹.

في اصطلاح (الوساطة):

الحذف:

ورد هذا المصطلح واحد وثلاثين مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والحذف عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى الاستغناء على ما لا فائدة من ذكره؛ تفادياً للحشو الذي لا طائل منه يقول معلقاً على بيتين أحدهما لامرئ القيس والأخر لعدي بن الرفاع: « وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغني عنه وما لا فائدة في ذكره»².

فيعلق على الحشو الذي يستلزم الحذف في قول امرئ القيس:

تصدُّ وتُبدي عن أسيل وتُنقي بناظرة من وحش وجرة مُطفل

وقول عدي بن الرفاع:

وكأنها بين النساء أعارها عينيهِ أحور من جاذر جاسم

بقوله: « لأن امرأ القيس قال: (من وحش وجرة)، وعدياً قال: (من جاذر جاسم)، ولم يذكر هذين الموضوعين إلا استعانة بهما في إتمام النظم، وإقامة الوزن»³. فالقاضي يرى في هذه الزيادات حشو لا فائدة منه، وحذفه لا يخل بالمعنى ولا ينقص من بلاغته.

وكما يكون الحذف في جمل أو كلمة فقد يكون في حرف كما مثل القاضي لذلك بقول

المتبني:

جلاً كما بي فليك التبريحُ أغدأءُ ذا الرشا الأغن الشيحُ

يلق القاضي: « حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك إلى الكسر وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت»⁴، وهذا النوع من الحذف يكون « بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من نثره أو نظمه»⁵.

¹ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2 ص425

² - الوساطة، ص36

³ - الوساطة، ص36-37

⁴ - المصدر نفسه، ص366

⁵ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2 ص425-426

والعرب أميل للحذف كما يرى الجرجاني « وهم إلى الحذف فيه أميل، وبالتخفيف أولع وعلى ذلك قالوا: درس المنا؛ يريد المنازل. وقالوا: قواطن مكة من ورق الحما يريد الحام»¹ وهذا النوع من الحذف يدخل في باب الشواذ الذي لا يجعل له أصولاً ولا يلزم له قياس. كما أن الحذف قد يراد به الاختصار في الكلام والإيجاز فيه يقول: « ومن طلب أبواب الحذف والاختصار، ولانتقال من كلام إلى كلام»². وخلاف الحذف الزيادة يقول: « وقد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار إليه، ولكن للاتساع فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون»³. والحذف عند القاضي منه ما يكون في الجمل والكلمات ومنه ما يكون في الحروف وقد مثل القاضي لكل منها، وأشار القاضي إلى ميل العرب للحذف في كلامهم تجنباً للحشو.

الحلاوة

(مستحلاة)

الحلاوة: قيل: « الحُلُوُّ نقيض المر، والحَلَاوَةُ: ضد المرارة، والحُلُوُّ: كل ما في طعمه حَلَاوَةٌ، وقد حُلِيَ وحَلَا»⁴، وقال الأزهري: « (أَحْلُوَيْتُ) الشيء استَحْلَيْتُهُ و(أَحْلَيْتُ) الشيء جعلته حُلُوًّا»⁵، و « حَلَا: أصاب منه خيراً، وحَلَا الشيء وحَلَاهُ تَحْلِيَةً جعله حُلُوًّا...وحُلُوُّ الرجال: من يُسْتَحْفُ وَيُسْتَحْلَى»⁶، وجاء في المقاييس: « حُلُو: ثلاثة أصول: فالأول طيب طيب الشيء في ميل النفس إليه»⁷.

أما في الاصطلاح: « يراد بحلاوة اللفظ سهولته وجماله واتساع الذوق له، والحلاوة مما يذاق بالطبع»⁸، وقيل: « أن المراد بحلو الشعر عذوبته»⁹.

في اصطلاح (الوساطة):

الحلاوة:

- 1- الوساطة، ص 376
- 2- المصدر نفسه، ص 372
- 3- المصدر نفسه، ص 373
- 4- لسان العرب، مادة (حلى)
- 5- مختار الصحاح، مادة (حلى)
- 6- قاموس المحيط، مادة (حلى)
- 7- مقاييس اللغة، مادة (حلى)
- 8- معجم النقد العربي القديم، ص 450
- 9- ينظر: المرجع نفسه، ص 455

تكرر هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وعن القاضي بحلاوة الأشعار لطفها ورشاققتها وعدم مخالفتها الطبع، يقول: « والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحااجة، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة؛ وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقرئها منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون الشيء متقناً محكماً، ولا يكون حلواً مقبولاً، ويكون جيداً وثيقاً، وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً»¹، وكذلك: « وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق، وإخلاف الديباجة»².

ويمثل لحلاوة الشعر بقول البحري:

عَطَفَ اذْكَارِكَ يَوْمَ رَامَةَ اُخْدَعِي شَوْقاً وَأَعْنَاقُ المَطِيِّ قَوَاصِدُ

يلق القاضي: « فوق من الحلاوة والحسن في الموقع الذي تراه»³.

فالبحتري لم يخالف عمود الشعر، فكانت أشعاره مطبوعة، لها موقع في القلب لحسنها وحلاوتها.

فحلاوة الأشعار سبيل الشاعر لتجد أشعاره موقع في القلوب تمتزج بنفوس: « وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأعلق بالنفوس، وأسرع ممازجة للقلب»⁴.

حلاوة اللفظ:

ورد مرة واحدة، وسر حلاوة اللفظ عند القاضي عدم خروجه عن الطبع يقول: « فما هذا من المعاني، التي يضيع لها حلاوة اللفظ، وبهاء الطبع، ورونق الاستهلال»⁵.

مستحلاة:

ورد مرة واحدة وجاء بمعنى الحلاوة: « يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقالية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة موموقة»⁶.

¹ - الوساطة، ص 91-92

² - المصدر نفسه، ص 25

³ - المصدر نفسه، ص 69

⁴ - الوساطة، ص 342

⁵ - المصدر نفسه، ص 90

⁶ - المصدر نفسه، ص 92

مصطلح الحلاوة عند القاضي مرتبط بالطبع، فالطبع أساس حلاوة الأشعار وسبب علوقها بنفس و امتزاجها بالقلب، كونه أي الطبع- يكسبها رونقاً وطلاوة و لطفاً ورشاقة.

الخطاب

(الخطبة-الخطيب-المُخاطب-المُخاطب-المخاطبة)

الخطاب: « الكلام بين اثنين... والخطبة الكلام المخطوبُ به¹، وقيل: « الخطبُ سبب الأمر، وما خطبك، أي ما أمرك، وتقول: هذا خطبٌ جليل وخطبٌ يسير، وجمعه خطوبٌ خاطبه بالكلام مخاطبةً، وخطبَ على المنبر خطبةً، وخطبَ المرأة في النكاح خطبةً². والخطاب « مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام، وقد خاطبه مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان والخطابُ هو الكلام بين متكلم وسامع³، و « الخطبُ والمُخاطبةُ والتخاطبُ المُراجعةُ في الكلام، ومن الخطبةِ خطابٌ وخطيبٌ⁴. »

وفي الاصطلاح: هو « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام... والخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه⁵، والخطاب « نصٌ يكتبه كاتبه إلى آخر

¹ - مقاييس اللغة، مادة(خطب)

² - مختار الصحاح، مادة(خطب)

³ - المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الحلبي(د.ط)(د.ت) مادة (خطب)

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خطب)

⁵ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 749

ويسمى كذلك الرسالة¹، وقد فرق العرب بين الشعر والنثر منذ القديم فنجد الجاحظ يقول: « إن الجمع بين الشعر والخطابة قليل²، مما يعني استغلال شخصية كل من الشاعر والخطيب كما كان البحثري يردد في بيته المشهور:

والشعرُ لَمْحُ تكفي إشارتهُ وليس بالهذرِ طُولت خطبُهُ

في اصطلاح (الوساطة):

الخطاب:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث عشرة موضعاً (معرفاً ومنكراً)، والخطاب عند القاضي الجرجاني هو الكلام الموجه للغير - مكتوباً كان أو ملفوظاً - سواء كان موجه من فرد إلى آخر، أو من فرد إلى مجموعة من السامعين، وقد يكون هذا الكلام شعراً أو نثراً، فلم يحصر الخطاب في النثر دون الشعر، أو العكس، فيعقب على المعقد من الشعر بقوله: « فأما

قوله: (والدمعُ أشفاه ساجمهُ) فخطاب مستأنف، وفصل منقطع من الأول³، وقوله أيضاً: «وترى الجاني الجلف منهم كزَّ الألفاظ، معقد الكلام، وعرَّ الخطاب⁴».

فالقاضي يشير في هذا الاقتباس إلى اختلاف طبائع الناس في الكلام، بين من تسهل ألفاظه ومن يميل إلى توعيرها، وهم أبناء عصر وزمان واحد.

ويرد عن بعضٍ مما عابه العلماء على خطاب المتنبي فيقول: « فحذف الصفة استغناء بما تقدم، وما تعقب من الكلام، ثم ابتداءً خبيراً ثانياً، وصرفَ الخطابَ عن الأول، وهذا سائغٌ لا يُردُّ، ألا تره لو قال: وإني لمن قوم كرام، ثم أمسك لكان قد استكمل الفائدة، و استوفى الغرض، ولم يحظر عليه العدول إلى غيره ... والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واستبانة المراد⁵».

الخطبة:

¹ - المعجم المفصل في الأدب، ص 402

² - البيان والتبيين، ج1 ص 45

³ - الوساطة، ص 90

⁴ - المصدر نفسه، ص 25

⁵ - المصدر نفسه، ص 372

الخطبة مصطلح وردة مرة واحدة في الوساطة، ولم تخرج عن كونها نص الخطاب، أو الكلام الذي يتحدث به الخطيب.

يقول في دفاعه عن المتنبى: « لكنا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قلماً تجد ذلك في القصيدة الواحدة والخطبة الفردة »¹، أما معنى الخطبة الفردة فهي الخطبة المتميزة الفريدة من نوعها، والجرجاني قصد هنا بالخطبة الفردة- شعر المتنبى لتمييزه بين شعراء عصره.

الخطيب:

الخطيب من خَطَبَ خَطَابَةً صار خطيباً، ورجل خَطِيبٌ حَسَنُ الخُطْبَةِ، وجمع الخَطِيبِ خُطَبَاءٌ²، وقد ورد هذا المصطلح مرتين مترادفتين (نكرةً) في نفس العبارة، في قوله: « وتجد فيها الشاعر أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وجِدَّةِ القريحة والفطنة! »³.

المُخَاطَب:

المخاطب وهو المتلقي للخطاب، وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى مرتين يقول: « وإذا استبعدوا ذهن مُخَاطَب، واستخفوا فطنة منازع قالوا: هذا ثور وتيس، حتى شاع ذلك على أفواه العامة وألسن النساء والصبيان »⁴.

المُخَاطَب:

هو المتكلم، وردة مرتين يقول: « لكنه عدل إليهم مخاطباً »⁵، وقوله: « عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب »⁶.

المُخَاطَبَةُ:

من الخِطَاب وحملت معنى المحاوراة، وردة ثلاثة مرات في الوساطة، كان في مرتين منها نكرة، يقول القاضي: « وإنما يستعيب لك هذه المخاطبة من وافقك على فضل أبي تمام

¹ - المصدر نفسه، ص 344

² - لسان العرب، مادة (خطب)

³ - الوساطة، ص 23

⁴ - الوساطة، ص 291

⁵ - المصدر نفسه، ص 372

⁶ - المصدر نفسه، ص 371

وحزبه»¹، وقوله عن ما يستقبح في ابتداء المخاطبة: « واستقبح افتتاحه مخاطبةً ملك»²، ثم يورد قول المتنبي:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانياً

وجاء مصطلح المخاطبة في قوله: « فإذا ادعيت ذلك وجدت العيان حجيجك، والمشاهدة خصمك، وعدنا بك إلى أضعاف ما صدرنا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دعواك»³.

ومصطلح الخطاب عند القاضي مع تعدد اشتقاقاته لم يخص به النثر دون النظم كما فعل البعض فهو مصطلح أطلقه القاضي على كل كلام موجه شعراً كان أو نثراً.

الخاطر

(الخواطر)

الخاطر: « ما يخطرُ في القلب من تدبير أو أمر، والخاطرُ: الهاجس، وجمعه الخواطر وقد خَطَرَ بباله وعليه: إذا ذكره بعد نسيان»⁴، وقال الزمخشري: « الخواطرُ: ما يتحرك بالقلب من رأي أو معنى...وعده من المجاز، والخاطرُ: المتبختر يقال: خَطَرَ يَخْطُرُ إذا تبختر وخطُوراً عند ابن جنبي: ما يذكره بعد نسيان»⁵، وقيل: « تخاطروا: تَراهَنُوا، وأخطَرَ: جعل نفسه خَطَراً لقرينه فَبَارَزَهُ»⁶.

و في الاصطلاح: « اضطراب في النفس يحرك القلب فيدفع الأديب للكتابة أو نظم الشعروقد قيل: يجب أن يكون لكل أديب خاطر يدفعه للكتابة أو نظم الشعر»⁷، و«

¹ - المصدر نفسه، ص52

² - المصدر نفسه، ص138

³ - المصدر نفسه، ص55

⁴ - لسان العرب، مادة(خطر)

⁵ - تاج العروس، مادة(خطر)

⁶ - القاموس المحيط، مادة(خطر)

⁷ - ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص458

الخاطر ما يرد على القلب من هاجس¹، وقيل: « ما يرد على القلب والضمير من الخطاب². وقيل: « خَاطِرٌ: هَاجِسٌ، قَلْبٌ، نَفْسٌ³. »
 « وكانوا يقولون عن الشاعر الحسن: وكان له أدب بارع و خاطر إلى القريض يسارع⁴. »

في اصطلاح (الوساطة):

الخاطر:

ورد مصطلح الخاطر في الوساطة خمس عشرة مرة (معرفاً ومنكراً) كان في خمسة منها بصيغة الفعل (خطر) وفي كل هذا جاء بمعنيين:

أ- قصد بالخاطر النفس أو القلب لأننا من صفتها عدم الاستقرار على حال كما يقول: « والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال، ولا يدوم في الأحوال على نهج⁵، فالخاطر عند

القاضي هو تحرك أو اضطراب في النفس لأن من صفاتها التقلب وعدم الاستقرار على حال، ويقول أيضاً: « ومتى أتعب أحدنا نفسه، و أعمل فكره، و أتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى⁶. »

فالفكر والذهن والخاطر متلازمات عند القاضي و الواحد منها يستلزم الآخر، فيقول عن السهل الممتنع من شعر البحري: « وعليك بما قاله عن عفو خاطره، وأول فكرته⁷، وعفو وعفو الخاطر أي دون تعب وكد في التفكير و إجهاد لنفس والبال في استحضار الأفكار. وجاء الخاطر بنفس المعنى في قوله: « وكأن النفس تشهد أن مثلها لا يكون باكورة الخاطر، ولا تسمح بها القريحة إلا بعد الدربة وطول الممارسة⁸، وقوله: « وربما قصر الكلام عن مجارات الخاطر، ولم يبلغ الكلام مبلغ الهاجس¹. »

¹ - المعجم المفصل في الأدب، ص 392

² - التعريفات، ص 288

³ - المعجم الأدبي، ص 101

⁴ - معجم النقد العربي القديم، ص 457

⁵ - الوساطة، ص 344

⁶ - الوساطة، ص 185

⁷ - المصدر نفسه، ص 31

⁸ - المصدر نفسه، ص 141

ب- بمعنى الاضطراب أو التحرك في البال أو النفس وما ينتج عنه من أراء أو أفكار ويقول القاضي: « لأنه لم يخطر بالبال فيترك، وإنما ابتدئته أنت وسبقت إليه، والشيء إذا لم يخطر بالبال، ولم تتعلق به الهمة لم يسم متروكاً في المتعارف من الكلام»²، والفكرة أو الرأي هما ما يخطر بالبال.

الخواطر:

الخواطر جمع خاطر، وردت ثلاث مرات (معرفاً ومنكراً) في الوساطة، وقصد بها الأفكار يقول القاضي عن المتنبّي: « ومعان قد أخذ عفوها، وسبق إلى جديها، فأفكاره تنبث في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب»³، وقوله في مقدمة وساطته: « وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة»⁴.

فالخاطر عند القاضي خزان الشاعر الذي يستتجد به في تحصيل المعاني على الرغم من تنبيهه إلى إن الخاطر لا يؤمن على حال فهو متغلب الأحوال لا يستقر على منهج.

الزيادة

(الزيادات)

الزيادة: « خلاف النقصان، زَادَ الشيءَ يَزِيدُ زياداً و زِيَادَةً وَمَزِيداً وَمَزَاداً، أي: ازداد»⁵. وقيل: « الزيادة النمو وبابه باع، ويقال: زَادَ الشيءَ وَزَادَهُ غيره، قولك زَادَ المال درهما والبر مداً؛ فدرهما ومداً تمييزاً كلامي. والمزیدُ الزيادةُ، واستزادَهُ استقصره، وتزايدَ السعر أي غلا والتزايدُ في الحديث الكذب، والمزادةُ هي الرواية، والجمع مَزَادٌ وَمَزَائِدٌ»⁶، ويقال: « شيء كثير الزيادة، أي الزيادات»⁷، والزيادة « أن ينضمَّ إلى ما عليه الشيء في نفسه إلى شيء آخر يُقالُ زِدْتُهُ فَازْدَادَ»⁸.

¹ - المصدر نفسه، ص 357

² - المصدر نفسه، ص 392

³ - المصدر نفسه، ص 54

⁴ - المصدر نفسه، ص 12

⁵ - لسان العرب، مادة (زاد)

⁶ - مختار الصحاح، مادة (زيد)

⁷ - مقاييس اللغة، مادة (زيد)

⁸ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (زود)

وفي الاصطلاح: « هي التي تفيد اللفظ فصاحةً وحسنًا، والمعنى توكيداً، أو تميزاً لمدلوله عن غيره»¹. وقد « كثر حديث النحاة الأوائل عن الزيادة وفضلها في الكلام وستحسنها، فوجد الخليل ابن احمد قد أشار إلى موضعها وبلاغتها. وذهب أبو عبيدة إلى أن الزيادة تفيد الكلام توكيداً وتقوية، كما يشير إلى أن الحروف تزداد للتوكيد والتنبيه»².

ويضرب اللغويين والنحاة الكثير من الأمثلة عن الزيادة المليحة، كقول طرفة:

فسقي ديارك -غير مفسدها- صوبَ الربيع ودمه تُهَمي

فقوله: (غير مفسدها) زيادة جعلت المعنى في غاية الحسن³.

في اصطلاح (الوساطة):

الزيادة:

تكرر هذا المصطلح أربع وتسعين مرة في الوساطة، كان في ثماني منها (نكرة)، وقصد القاضي بالزيادة أفراد الكلام بفضل العناية بإضافة ما يزيد في بلاغته وجزالته، ولم يقصد القاضي بالزيادة، الزيادة الكمية، وإنما عنى كمال المعنى في بديع الصياغة، يقول: « وكان الشعر أحد أقسام منطقتها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية...خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً»⁴، فالزيادة عند القاضي هي السبيل لتقوية الشعر ومثانته، والسبيل للمفاضلة بين الشعراء، يقول: « وقد يتفاضل متنازعا هذه المعاني ... وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن...أو زيادة اهتدى لها دون غيره»⁵.

والزيادة عند القاضي الجرجاني، من طرق إخفاء السرقة، كما يقول: « ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جبر ما فيه النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض... »⁶.

الزيادة الحسنة:

¹ - معجم البلاغة العربية، ص330

² - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3ص27

³ - معجم النقد العربي القديم، ج2ص31

⁴ - الوساطة، ص24

⁵ - المصدر نفسه، ص163

⁶ - المصدر نفسه، ص185

الزيادة الحسنة مما ذكره القاضي في تعليقه على بعض الإضافات التي تفرد بها بعض الشعراء في أشعارهم، فتميزت عن غيرها، ويمثل لها بقول امرئ القيس:

أو تيس أظب في بطن واد يعدو وقد أفرَدَ العَزَالُ

فيعلق عنه ويقارنه ببيت لأوس بن حجر: « لكن امرئ القيس زاد أفراد الغزال، وهذه زيادة حسنة... و إن امرئ القيس زاد في قوله يصف الطعنة:

كَجَيْبِ الدُّفْنِسِ الِورْهَاءِ رِيْعَتٌ وَهِيَ تَسْتَقْلِي

على كل من شبهها بجيب الحمقاء... لأنها إذا ربت وهي تستقلي عجلت على الرفق، وقول أوس بن حجر:

وفي صدره مثلُ جَيْبِ الفتاة تشهق حيناً وحيناً تهراً

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهَرِيرِ، ولكن زيادة الأول أحسن وأغمض مأخذاً¹. كما يمثل لزيادة الحسنة البديعة، بقول المتنبي:

أَقَامَتْ فِي الرُّقَابِ لَهُ أَيْادٌ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ وَالْحَمَامُ

فيعلق عنه: « وهذا من المبتذل الذي لا يعد سرقة إلا بزيادة تلحقه، وزيادة أبي الطيب فيه حسنة بديعة². »

الزيادة الصالحة:

من أوصاف الزيادة التي ذكرها القاضي، ومثل لها ببيت لأبي الطيب احتذى فيه بأوس بن حجر و الذي يقول:

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هَدْمَيْنِ مَمْحَالٍ

أبو الطيب في مثله:

وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيْفِ حَلِيفَةً؟ ضَاعُوا وَمَثَلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ

يعلق القاضي بقوله: « فزاد المصراع الثاني زيادة صالحة³. »

الزيادة العارضة:

¹ - المصدر نفسه ، ص165

² - المصدر نفسه، ص207

³ - الوساطة، ص254

وردة مرة واحدة و نكرة، في حديثه عن ما عيب عن المتبني من زيادات، فيقول: « و مثل قصر ما يمد، لأن المدة زيادة عارضة فحذفت»¹، وقصد القاضي بالزيادة العارضة، الزيادة التي يأتي بها الشاعر عن غير قصد.

الزيادات:

الزيادات جمع زيادة لغة واصطلاحاً، ورد مرة واحدة في الوساطة، وكانت نكرة يقول القاضي: « أو عند أحد من أصحابك فيه زيادات لم نعثر عليها»².

الزيادة عند القاضي الجرجاني مقياس للمفاضلة بين الأبيات المتشابهة المعاني، كما أنها وسيلة لجبر النقيصة في الشعر، بالإضافة إلى كونها وسيلة لإخفاء السرقة بتغيير المنهج والترتيب.

السرقة

(السراقات-السارق - المسترق-المسروق)

السرقة: « سَرَقَ الشيءَ يَسْرِقُهُ سَرَقاً وَسَرَقاً واستَرَقَهُ، والسَّرِقَةُ: الأخذ بخفية، ويقال سَرِقَ الشيءُ سَرَقاً: خفي. واستَرَقَ السمعَ أي استَرَقَ مُسْتَخْفِياً، ورجل سَارِقٌ من قوم سَرَقَةٍ وسَرَّاقٍ وسَرُوقٌ من قوم سُرُوقٍ»³، وقيل: « السَّرِقَةُ أَخْذٌ مَا لَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ فِي خَفَاءٍ»⁴، و« استَرَقَهُ:

¹ - المصدر نفسه، ص 375

² - المصدر نفسه ، ص 341

³ - لسان العرب، مادة (سرق)

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(سرق)

جاء مستتراً إلى حِرزٍ، فأخذَ مالاَ لِغَيْرِهِ، والمُسْتَرَقُّ: الناقيصُ الضَّعِيفُ الخَلْقِ¹، و« مما شدَّ عن هذا الباب السَّرَقُ: جمع سَرَقَة، وهي القطعة من الحرير²».

وفي الاصطلاح: « احتيال الأدباء للإفادة من إبداع من تقدموهم، من غير الإشارة إلى مبدعيه، أو نسبته إلى قائله، والمراد بالسرقة الأدبية سرقة المعنى الذي اختص به شاعر أو نسب إليه³». وقد تكون السرقة « كاملة لفظاً ومعنى، أو معنى دون لفظ، أو جانباً من المعنى، أو اختلاصاً، وإماماً، أو عكساً لمعنى، أو نظم النثر، أو نثر الشعر⁴»، وقيل أنه «أخذ الشخص لكلام الغير، ونسبته لنفسه⁵».

وقد فرق العرب بين الإتياع والإبداع والتقليد والتجديد ووضعوا لذلك قواعد وأصول والسرقات قديمة في الأدب العربي، فقد وجدت بين الشعراء في مختلف العصور، يقول حسان ابن ثابت نافياً عن نفسه الأخذ والإغارة معتزاً بكلامه:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري
إني أبا لي ذلكم حسبي ومقالة كمقاطع الصخر⁶

في اصطلاح (الوساطة):

السرق = السرقة:

تكرر هذا المصطلح ست وثلاثين مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والسرقة أو السرق عند القاضي الجرجاني داء قديم في الشعر، وهي اعتماد الشاعر على أفكار وألفاظ ومعاني غيره مع محاولة إخفاء ذلك بالنقل والقلب، وتغيير المنهج والترتيب، يقول: « السَّرَقُ - أَيَدَاكَ اللهُ - داءٌ قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدُّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه... ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغيير المنهاج والترتيب⁷»، ويمثل لسرقة بما ادّعاه جرير على الفرزدق من سرقة فقال:

سيعلم من يكون أبوه فينا ومن عرفت قصائده اجتلابا

¹ - القاموس المحيط، مادة (سرق)

² - مقاييس اللغة، مادة (سرق)

³ - معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 99 وينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص 340

⁴ - المعجم المفصل في الأدب، ص 525

⁵ - ينظر: جواهر البلاغة، ص 359

⁶ - ديوان حسان بن ثابت، ص 39

⁷ - الوساطة، ص 185

وإدعى الفرزدق على جرير فقال :

إِنَّ اسْتِرَاقَكَ يَا جَرِيرُ قِصَائِدِي مِثْلَ ادْعَاكَ سِوَى أَبِيكَ تَنْقُلُ

ويبرر القاضي ويعذر الشعراء المتأخرين في سرقاتهم بحجة أن المتقدمين لم يتركوا شيء من المعاني والألفاظ لأهل عصره ومن بعدهم إلا و أتوا عليه في أشعارهم، فيقول: « ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها ومتى أجهد أحداً نفسه، واعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريب مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فريداً مخترعاً، ثم تصفح عنه الدواوين لم يُحِطْهُ أن يجده بعينه، أو يجد له مثلاً يغض من حسنه ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري البتَّ الحكم على شاعر بسرقة»¹.

فالقاضي الجرجاني يحظر على نفسه، ويدعو غيره إلى عدم اتهام أي شاعر بالسرقة، ويعلق على الشاعر المتهم بالسرقة، فيقول: « فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، و أغار على قول فلان. و لعل ذلك البيت لم يَفْرَع قط سمعه، ولا مر بخلده، كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاق الهواجس غير ممكن!»².

وذكر القاضي طرف من الأشعار التي اتهمها البعض المنتبى بسرقتها من أبي تمام فيقول: « ورأيتك وأصحابك أنحيثم في منازعة خصمكم على إدعاء السرِّق، فقال قائلكم: ما يسلم له بيت، ولا يخلص من معانيه معنى...» ثم يورد قول أبي تمام:

مَنْ بَنُو بَحْدَلٍ مَنِ ابْنِ الْحُبَابِ مَنْ بَنُو تَغْلِبِ غَدَاةِ الْكَلَابِ

إِنَّمَا الضِّيغُمُ الْهَصُورُ أَبُو الْأَشْدِ بَالِ رَنْبَالُ كُلِّ خَيْسٍ وَقَابِ

مَنْ عَدَّتْ خَيْلُهُ عَلَى سِرْحِ شَعْرِي وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِي

ويعلق عليه: « وقلت: إنما عمد إلى شعر أبي تمام فغير ألفاظه، وأبدل نظمه، فأما المعاني فهي تلك بأعيانها، أو ما سرقه من غيره »³.

السُّرْقَةُ الْمَمْدُوحَةُ:

¹-المصدر نفسه، ص185

²- المصدر نفسه، ص54

³- الوساطة، ص157

السرقعة الممدوحة هي السرقات التي يمدح صاحبها ويزكى، لما اتصفا به من نباهة وزيادة حسنة في ما أخذ، حسب رأي القاضي، يقول: « ومتى جاءت السرقعة هذا المجيء لم تعد من المعاييب، ولم تُخص في جملة المثالب، وكان صاحبها بتفضيل أحق، وبالمدح والتزكية أولى¹، ويمثل لهذه السرقعة الممدوحة بقول امرئ القيس مشبهاً الناقة في سرعتها بتيس الطباء فيقول:

أو تيس أظب ببطن واد يعدو وقد أُفرد الغزال²

ورغم كل ما قيل فيه، إلى أن امرئ القيس زاد أفراد الغزال، وهي زيادة حسنة لأنه إذ أُفرد اجتمع للتيس الخوف والوله، فكان أشد لعدوه.

السرقعة القبيحة المذمومة:

السرقعة القبيحة المذمومة، هي السرقعة التي يتفق فيها المعنى والوزن والقافية؛ بين السارق و المسروق منه، وعنهما يقول القاضي: « وهذا من أقبح ما يكون من السرقة، لأنه يدل نفسه بانفاق المعنى والوزن والقافية³، ثم يمثل القاضي لسرقعة القبيحة باحتذاء أبو الطيب بقول أبي تمام:

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسع

فقال:

إبْعَدَ بَعْدَتْ بَيَّاضاً لَا بَيَّاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ⁴

السرقات:

السرقات جمع سرقة، وقد ورد مرتين في الوساطة، يقول: « ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتتبعه بشر بن يحيى على البحتري⁵.

السارق:

السارق في الشعر عند القاضي هو من يأخذ ألفاظ ومعاني غيره متعمداً ودون إشارة أو اعتراف بذلك، وقد ورد مصطلح السارق ثلاث مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، يقول

¹ -المصدر نفسه، ص165

² - المصدر نفسه، ص165

³ - المصدر نفسه، ص212

⁴ - المصدر نفسه، ص212

⁵ - الوساطة ص185

القاضي: « بل لا يعرف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله ابن الزبير بأبيات معن بن أوس¹ ». وقوله: « وما هو إلا ليث مُغير، أو سارق مختلس² ».

المسروق:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات (منكراً)، واحدة منها كان فيها مؤنثاً، وقد قصد به ما يقع عليه فعل السرقة، أي ما يسرق من الشعر، ورد في قوله: « إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره³، وقوله: « ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع؛ فوجدت منه مستفيضاً متداولاً متناقلًا لا يعد في عصرنا مسروقاً، ولا يحسب مأخوذاً⁴ ».

المُسترق:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة (معرفة ونكرة)، ولم يخرج معناه عن معنى المسروق، يقول: « وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد؛ فإن ألحقت به المأخوذ المسترق فلبعض الأغراض المتقدمة⁵، ويقول: « فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك⁶ ».

إن السرقة عند القاضي وإن كانت داء أصيب به الشعر، فإنه يحد عن نفسه أن يتهم شاعراً بالسرقة، فهو يعذر شعراء عصره ومن بعدهم، ويبرر ما يعتبره البعض سرقات، بما سلف ذكره من حجج ذلك أن الأولين لم يتركوا لمن بعدهم ألفاظاً أو معاني أو أساليب إلا وقد سبقوهم إليها.

والسرقة لا تكون إلا في المعاني الخاصة، وهذه الخصوصية تأتي للمعنى من الانفراد بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى إليها الأديب دون غيره.

¹-المصدر نفسه، ص 168

²-المصدر نفسه، ص 157

³-المصدر نفسه، ص 185

⁴-المصدر نفسه، ص 161

⁵-المصدر نفسه، ص 142

⁶-المصدر نفسه، ص 182

السهولة

(التسهيل - السهل - السهولة)

السهولة: « السهلُ نقيضُ الحزن، والسُهولةُ ضد الحزونة، والسهلُ كل شيء يميل إلى اللين وقلّة الخشونة، سهّلَ سُهولةً وسَهَّلَهُ: صيره سهلاً»¹، وقيل: «السهلُ ضد الجبل وأرض سهلةٌ وأسَهَلَ القوم صاروا إلى السهلِ ورجل سهلُ الخلق. وأسَهَلَ الدواء طبيعته، والتَّسهيلُ التيسيرُ

¹ - لسان العرب، مادة (سهل)

والتَّساهل التسامح، واستسهلَ الشيءَ عده سهلاً¹، و« أسهَلَ: حَصَلَ في السَّهْلِ وَرَجُلٌ سَهْلِيٌّ: مَنُوبٌ إلى السَّهْلِ²، وَسَهْلُهُ تَسْهِيلٌ: يَسْرُهُ، وَسَتْسَهْلُهُ: عده سهلاً³ .

أما في الاصطلاح: « السهولة في الأدب خلو اللفظ من التكلف⁴، كما جاء في الكشاف « سهولة اللفظ هي خلوه من التكليف والتعقيد والتعسف في السبك⁵، و« التسهيل أداء اللفظ بحيث لا يدلُّ على المراد دلالةً صحيحة، ووقوعُ نقصٍ في الكلام دونَ اعتمادٍ على فهم القارئ⁶ . و« السهولة كل شيء إلى اللين وقلة الخشونة⁷ .

في اصطلاح الوساطة:

السهولة:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة(منكراً)، حمل فيهما معنى اللين في الكلام نتیجتاً لتحضر، حتى يظن أن بهذا الكلام ضعفاً، لكن إذا تفرد الكلام أصبح ذلك اللين صفاءً ور ونفاً، ورشاقةً ولطفاً، فيقول القاضي عن السهولة في باب أثر التحضر على الشعر: « وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانقلت العادة ... وكسوا معانيهم أطف ما سنج من الألفاظ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفاً، فإذا أُفرد عاد ذلك اللين صفاءً ورونفاً، وصار ما تخيلته ضعفاً رشاقةً ولطفاً⁸»

وهذا لا يعني أن المبالغة في تسهيل ألفاظ الشعر شيء مرغوب فيه، فهذا الأمر قد ينعكس على القصيدة بالسلب، مثلما يرى القاضي في بعض قصائد أبي تمام حيث أكتشف وجود اختلاف في القصيدة الواحدة، فيعلق عن هذا: « ومن جنيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أحدهم بينما هو مسترسل في طريفته؛ وجاري على عادته يختلجه الطبع

1- مختار الصحاح، مادة(سهل)

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(سهل)

3- القاموس المحيط، مادة(سهل)

4- معجم المفصل في اللغة والأدب، ص723

5- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1ص987، وينظر: الكليات، ص510

6- المعجم المفصل في الأدب، ص246

7- معجم النقد العربي القديم، ص40

8- الوساطة، ص25

الحضري، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة، وجد قلقاً بينها نافرماً عنها، وإذا أضيف إلى ما ورأه وأمامه تضاعفت سهولة، فصارت ركافة¹ .
التسهيل:

ورد هذا المصطلح بهذه الصيغة ثلاث مرات في الوساطة (معرفاً)، حمل فيها معنى التبسيط والبعد عن التعقيد في الكلام عامة و الشعر بالخصوص، فيقول في تحليله لأثر التحضر على لغة العرب وانتقالها من الوعر الموحش إلى السهل المصنع، إلى درجة الميل إلى الركافة : « فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخنثه على اللسان، وقلة نبو السمع عنه، وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسامحوا ببعض اللحن²»، ويقول أيضاً: أيضاً: « ويرجع إلى ما قالت العلماء فيه، وما أجزى إلى المضطر من التسهيل، وفضل فيه النظم عن التسامح³»، وفي قوله: « ومتى سمعتي أختار للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع، وأحسن له التسهيل...⁴».

السهل:

ود هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وقصد به القاضي الكلام الوسط الذي يرتفع عن الكلام السوقي، وينحط عن الكلام البدوي الخشن، وعنه يقول في حديثه عن أسلوب المؤلف: « فلا تظن أنني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط، ما ارتفع عن الساقط السوقي ونحط عن البدوي الوحشي⁵»، ويمثل القاضي لسهل بأبيات لبعض الأعراب وجد فيها من السهولة السهولة والطرب وراحة النفس ما شده إليها، كمثل قولهم:

أقول لصاحبي والعين تهوي	بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشيّة من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد	ورياً روضه غب القطار
وعيشك إذ يحلّ القوم نجداً	وأنت على زمانك غير زار

¹ - الوساطة، ص 28

² - المصدر نفسه، ص 25

³ - المصدر نفسه، ص 375

⁴ - المصدر نفسه، ص 30

⁵ - المصدر نفسه، ص 30

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارٍ
فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ

فيعلق عنها بقوله: « فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المآخذ، قريبُ التناول»¹، ويضيف معقباً على قصائد مختارة من شعر المتنبي، فيقول: « قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤس»².

السهلة:

عكس الوعرة، وردة مرة واحدة في الوساطة، كانت في تعليقه عن بيت رُؤية:

أَقْفَرَتِ الْوَعَاءُ وَالْعُنَائِثُ مِنْ بَعْدِهِمُ وَالْبُرُقُ الْبَرَارِثُ

يقول: « وإنما هي البراث جمع برّث؛ وهي الأماكن السهلة من الأرض»³.

فالسهولة عند القاضي الجرجاني سلاح ذو حدين يمكن أن يلطف الأشعار ويزيدها رونقاً، ويمكن أن ينقلب إلى ركاكة وضعف تؤدي إلى النفور من القصيدة.

الصنعة

(التصنع - الصناعة - صانع - المصنوع - المصنوعة)

الصنعة: « صَنَعَهُ يَصْنَعُهُ صُنْعًا، فهو مصنوعٌ، وصُنْعٌ: عَمَلُهُ. وقوله تعالى: (صُنِعُ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)، تأويلها اخترتك لإقامة حجتي، والإصطناعُ: افتعال من الصنعة،

¹ - الوساطة، ص 38

² - المصدر نفسه، ص 109

³ - المصدر نفسه، ص 16

وهي العطية والكرامة والإحسان، واستصنع الشيء: دعا إلى صنعه، والصنيع: الثوب الجيد النقي والمصنعة: كالصنع الذي هو الحوض أو شبه الصهرج، والصناعة ما تستطيع من أمر¹، وقيل: «الصنع إجادة الفعل»²، و«اصطنعه: اتخذه، وقوله تعالى: ()³، ورجل صنع اليدين وصنع اليدين من قوم صنعي الأيدي»⁴، وقيل أن «الصنعة: ما اصطنعته من خير»⁵.

أما في اصطلاح: هي «الدربة، وسعة الاطلاع، وحفظ الشعر الجميل. ولا تقوى الصناعة إلا بالطبع، ولا يتمكن الطبع إلا بالصناعة، فكلاهما تبع للآخر»⁶، و هي «الأسلوب أو الفن»⁷، وقد اختلف النقاد والبلاغيون حول الصناعة في الشعر بين محبذ لها ونافر منها ولهذا نجد أهل الصناعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحتري.

في اصطلاح (الوساطة):

الصناعة:

تكرر هذا المصطلح خمس عشرة مرة (معرفاً ومنكراً)، كان في خمسة منها مقيداً والباقي مطلقاً، والصناعة عند القاضي جاءت بمعنيين أحدهما ايجابي و الآخر سلبي:

أ- أما المعنى الايجابي فاعتباره أن الصناعة هي تهذيب الكلام والعناية به لكي يخرج فحماً جزلاً قوياً، يقول عن هذا: «ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها العمل والصناعة خرج كما تراه جزلاً قوياً متيناً»⁸، ويقول أيضاً عن السهل الممتنع من شعر البحتري: «ثم أنظر هل تجد معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل تري صناعة وإبداعاً، أو تدقيقاً وإغراباً»¹. فالصناعة رديفة الإبداع عند القاضي.

1- لسان العرب، مادة(صنع)

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(صنع)

3- سورة طه، الآية 41

4- القاموس المحيط، مادة(صنع)

5- مقاييس اللغة، مادة (صنع)

6- المعجم المفصل في الأدب، ص 589

7- معجم النقد العربي القديم، ص 91

8- الوساطة، ص 24

ب- أما المعنى السلبي فاعتباره أن الصنعة علامة على التكلف والكد في طلب المعاني يقول على بيتين استحسنهما، أحدهما لامرئ القيس والأخر لعدي بن الرقاع: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قريهما منه، والمعنى واحد وكلاهما خال من الصنعة، بعيداً عن البديع»²، فالخُلُ من الصنعة والبديع، سبب لقبول الشعر واستحسانه.

الصنعة اللطيفة:

وردة في تعليقه عن أبيات لأبي تمام يقول فيها:³

دَعْنِي وَشُرْبَ الهوى يا شَارِب الكأس	فإنني للذي حسيته حَاسِي
لا يُوحِشَنَّكَ ما استعجَمَت من سَقْمِي	فإنّ منزله من أحسن الناس
من قَطَع ألفاظه توصيلُ مُهَلِّكَتِي	وَوَصَّلَ الحَاظِه تقطعُ أنْفَاسِي
متى أَعِيشُ بتأميل الرَّجَاءِ إذا	ما كان قطعُ رجائي في يَدِي يَاسِي

يقوله القاضي: « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة، طابق وجانس واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزله»⁴.

أهل الصنعة:

أطلق القاضي هذه التسمية على أبي نواس وأبا تمام، فيقول: « وإنما خصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين، وإمامي أهل الصنعة»⁵.

التصنع:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، كان في واحدة منها نكرة، والتصنع في اللغة تكلفٌ حُسْنُ السَّمْتِ و إظهاره والتزيُّنُ به والباطن مدخولٌ⁶.

والتصنع عند القاضي الجرجاني مقوت مردود، يقول: « لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تصنع، ومع التكلف المقت، وللنفس عن التصنع نفرة، وفي مفاوغة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق وإخلاف الدباجة»⁷. ويعلق القاضي علي من يري أن

¹ - المصدر نفسه، ص 33

² - المصدر نفسه، ص 36

³ - ديوانه، ص 445

⁴ - الوساطة، ص 37

⁵ - المصدر نفسه، ص 77

⁶ - ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(صنع)

⁷ - الوساطة، ص 25

جودة الكلام وحسنه، تكمن في التصنع والبديع يقول: « ولا يرى اللفظ إلا في ما أدى إليه المعنى، ولا الكلام إلا ما صور له الغرض، ولا الحسن إلا ما أفاده البديع، ولا الرونق إلا ما كساه التصنيع»¹.

الصَّنَاعَة:

ورد هذا المصطلح خمسة مرات في الوساطة، كان في ثلاثة منها نكرة، والصَّنَاعَة في اللغة حرفُ الصَّانِعِ، وَعَمَلُهُ الصَّنَعَةُ²، والصناعة عند القاضي الجرجاني جاءت بمعنيين: أ- الصناعة بمعنى الحرفة أو العمل الذي يمتهن، يقول: « وقد يجد الصورة الحسنة والخلة التامة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة موموقة، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها»³. وفي قوله: « وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرباً بالنقد»⁴.

ب- الصناعة بمعنى التصنع، أي تزويق و حشي و شحن الأشعار بأنواع البديع، يقول: « وأقل الناس حظاً في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونفيه... ثم كان همه وبقيته أن يجد لفظاً مروقاً، وكلاماً مزوقاً، قد حُشي تجنيساً وترصيعاً، وشُحن مطابقةً وبديعاً...»⁵. وهذا يتفق مع ما يذهب إليه أبو هلال العسكري فمفهوم الصناعة والصنعة واحد عنده فيرى أن الصنعة بلاء على الشعر فيقول: « فإن ابتليت بتعاطي الصناعة...»⁶.

صناعة الشعر:

صناعة الشعر عند القاضي هي القدرة على إعداده وانتقاده و هذا ما يفتقر إليه اللغويين والنحاة، وعنهم يقول: « نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر؛ فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نُقصه، ويكشف عن استحكام جهله»⁷.

صانع:

¹ - المصدر نفسه، ص 343

² - لسان العرب، مادة (صنع)

³ - الوساطة، ص 92

⁴ - المصدر نفسه، ص 180

⁵ - المصدر نفسه، ص 343

⁶ - كتاب الصناعتين، ص 139

⁷ - الوساطة، ص 360

وهو صاحب الصناعة، ورد مرة واحدة في قوله: « ولا بد لكل صانع من فَنَزَةٍ »¹.

المصنوع:

المصنوع هو الكلام المنمق والموشح بأنواع البديع². ورد هذا المصطلح مرة واحدة وهو خلاف المطبوع عند القاضي كما في قوله: « ومتى أردت أن تعرف ذلك عياناً، وتستنثته مواجهة، فتعرف فرق ما بين المطبوع والمصنوع »³.

المصنوعة:

المصنوعة مؤنث المصنوع، وردت مرة واحدة في تعليقه على قصيدة، لأبي الطيب فيقول: « وهذه القصيدة كلها مختارة، لا يعلم لأحد في معناها مثلها... وقد اخترع أكثر معانيها، وسهل ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس »⁴.

اقترن مصطلح الصنعة والتصنع عند القاضي بإحدى الصفتين (صفة ايجابية) أو (صفة سلبية) فمن جهة كان استعماله لمصطلح الصنعة إيجابياً وحبذا وجودها في الشعر، نجده من جهة أخرى يمقت التصنع وهو المبالغة في الصنعة إلى درجة التكلف.

الطبع

(المطبوع-الطبائع)

الطبع: « الطَّبَعُ والطَّبِيعَةُ، الخليقة والسجية التي جبل الإنسان عليها »⁵، واعتبرت « الطبائع: كالطبيعة مؤنثة، ويجمع طَبَعُ الإنسان طِبَاعاً، وهو ما طُبِعَ عليه من طِبَاعِ الإنسان

¹ - المصدر نفسه، ص 344

² - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 3 ص 265

³ - الوساطة، ص 31

⁴ - المصدر نفسه، ص 109

⁵ - مختار الصحاح، مادة (طبع)

في مأكله ومشربه، والطَّبَعُ: ابتداء صنعة الشيء، نقول: طَبَعْتُ اللَّيْنَ طَبْعاً، وطَبَعَ الدِراهِمَ والسيفَ يَطْبَعُهُ طَبْعاً: صاغه، والطَّبَّاعُ: الذي يأخذ الحديدَ المستطيلة فيطبع منها سيفاً أو سكيناً، والطَّبَعُ: الختم وهو التأثير في الطين ونحوه، والطَّبَعُ: بالكسر النهر وجمعه أَطْبَاعٌ¹. ويقال: « الطَّبَعُ هو نَفْسُ النَّفْسِ بِصُورَةِ مَا إِذَا مِنْ حَيْثُ الْخِلْقَةِ وَإِذَا مِنْ حَيْثُ الْعَادَةِ »². وقيل: « التَّطْبِيعُ: التَّنْجِيسُ، وَتَطْبَعُ بِطَبَاعِهِ: تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ »³، و الطَّبَعُ: « نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها يقال طَبَعْتُ عَلَى الشَّيْءِ طَبْعاً »⁴.

وفي الاصطلاح: هو «الاستعدادُ الفطري والموهبة الريانية التي تجعل الإنسان ذا سِمَاتٍ مميَّزة»⁵، وفي «الشعر هو نقيض الصنعة والتكلف في الشعر، والشعر المطبوع، عند النقاد العرب، هو ما أتى على الشاعر عفواً، دون تكلف أو تصنع»⁶.

ولعل الأصمعي من أوائل النقاد الذين استعملوا هذا المصطلح النقدي، فقد كان « يعيب الحطيئة ويتعقبه... وليس هكذا الشاعر المطبوع. إنما الشاعر المطبوع هو الذي يرمي بالكلام على عواهنه، جيده و رديئه »⁷. فالمطبوع من الشعر عند القدامى هو ما أتى على بديهية وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجابة فكرة ولا استعانة.

في اصطلاح (الوساطة):

الطبع:

تكرر هذا المصطلح ست وعشرين مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، كان في تسعة منها

معرفاً، والطبع عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أ- الطبع بمعنى الفطرة والسجية التي يخلق الإنسان عليها، لقوله: « وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم »⁸.

¹ - لسان العرب، مادة (طبع)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (طبع)

³ - القاموس المحيط، مادة (طبع)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة (طبع)

⁵ - المعجم المفصل في الأدب، ص 599

⁶ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 224

⁷ - فحولة الشعراء، الأصمعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي وزميله، المنيرية القاهرة، 1953م ص 48-49

⁸ - الوساطة، ص 13

ب- الطبع بمعنى الموهبة الشعرية، ولا يعني القاضي بكل طبع موهبة بل الطبع: «المهذب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبح»¹، وما اجتنب فيه التصنع لأن «مع التكلف المقتر وللفن عن التصنع نفرة، وفي مفارقة الطبع قلة حلاوة وذهاب الرونق، وإخلافُ الديباجة»².

ويربط القاضي سلامة اللفظ، وحلاوة الكلام ودمائته، بسلامة الطبع، فيقول: «فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلق»³.

وعد القاضي الغزل من أغراض الشعر التي إن أحكم فيها الطبع وبعد صاحبها عن التصنع، ملك ناصية الشعر واقتدر فيه، يقول القاضي: «وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم، والغزل المتهاك، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة، وانضاف الطبع إلى الغزل، فقد جُمعت لك الرقة من أطرافها»⁴.

ويبين أثر تراوح شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة بين التكلف والطبع، فيقول: «وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه، فينظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة حتى تعارضه تلك العدة السيئة فيتسنم أوعر طريق، ويتعسف أخشن مركب، فيطمس تلك المحاسن»⁵. فمحاسن الطبع في الشعر يطمسها التكلف ويخفيها.

المطبوع:

ورد هذا المصطلح في الوساطة ثلاث مرات (مذكراً معرفاً)، ومرة واحدة (مؤنثاً منكرًا) وفي كل هذا جاء بمعنيين:

أ- جاء بالمعنى الأول للطبع، فالمطبوع من الناس من يتعامل وفق سجيته وفطرته، كما

¹ - المصدر نفسه، ص 31

² - المصدر نفسه، ص 25

³ - المصدر نفسه، ص 25

⁴ - المصدر نفسه، ص 25

⁵ - المصدر نفسه، ص 28

في قوله: « فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية»¹، وقوله: « هذا البدوي المطبوع »²، فالمطبوع هنا صفة يخص بها بعض الشعراء.

ب- جاء بالمعنى الثاني للطبع أي خلاف الصنعة، وهذا في تعليقه عن قصيدة مختارة للمتنبى فيقول: « قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة. وهذا القسم من الشعر هو المطعم المؤيس»³. وكلا المعنيين لا يخرجان عن المفهوم الثاني الذي أوردناه لطبع.

المطبوعين:

جمع مطبوع، وقد ورد مرة واحدة في الوساطة، وهذا المصطلح لقب أطلقه القاضي على أبي نواس وأبي تمام في قوله: « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين»⁴.

الطبائع:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي يختلف عن ما نعرفه كما يقول محمود السمره: « وكلمة الطبائع في هذا المقام، تعني شيء آخر غير ما عرفنا، إنها هنا تعني المزاج النفسي»⁵، فالقاضي يدرك الصلة بين مزاج الإنسان ولغته، فقد أدرك القاضي الناقد أن شعراء العرب يختلف بعضهم عن بعض، فيقول: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر ويرق لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره»⁶، ويرد هذا التباين إلى: « اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودمائة الكلام بقدر دماثة

¹ - الوساطة، ص 23

² - المصدر نفسه، ص 54

³ - المصدر نفسه، ص 109

⁴ - المصدر نفسه، ص 77

⁵ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 138

⁶ - الوساطة، ص 24

الخلقة...»¹، ولم يخرج عن هذا المعنى في قوله: « وإنما مداره على استشهاد القرائح الصافية، والطبائع السليمة، التي طالت ممارستها للشعر»².

فالتبع في الشعر عند القاضي هو الذي يأتي عفو خاطر سهل اللفظ وحلوه، والذي يكون بلا كد وجهد وإعمال للفكر. كما وضع له شروط كالفتنة والفصل بين الجيد والرديء، والتفريق بين الحسن والقبح ومعرفة صور كل منها

¹ - المصدر نفسه، ص 24

² - الوساطة، ص 91

العُجْمَة

(العجم - أعجمي - الأعجمية - المعجم - مستعجم)

العُجْمَة: « عدم الإبانة والإفصاح، ومن ذلك قولهم: العجمة خلاف الإبانة»¹، و « العُجْمَة انعقاد اللسان عن الكلام»²، و العُجْمَة عند ابن منظور « بضم العين لُكْنَةٌ وَعَدَمُ فَصَاحَةٍ وهي أيضاً بضم العين الحُبْسَة في اللسان»³، والعجمة: « حبة العنب حتى تنبت والعجمة بالتحريك: النخلة تنبت من النواة، وعُجْمَةُ الرمل كَثْرَتُهُ، وقيل: آخره وقيل: عُجْمَتُهُ وَعِجْمَتُهُ ما تعقّد منه. ورملة عَجْمَاءُ: لا شجر فيها»⁴.

وفي الاصطلاح: « كون الكلمة على غير أوزان العرب، وليست عربية»⁵، وهي « عدم الإبانة بالعربية، أي التكلم باللسان الأعجمي، كأن كل من ليس بعربي اللسان فهو بالنسبة لسامعه العربي أعجم غير مبين. من ثم قيل للبيئة الأعجمية اللسان موضع العُجْمَة، وللبيئة العربية موضع الفصاحة»⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

العجمة:

مصطلح العجمة ورد مرة واحدة في كتاب الوساطة، و معناها عند القاضي الجرجاني هو ضعف الإبانة بالعربية والركاكة والخطأ في استعمالها، وقد ظهرت العجمة عند العرب مع انتشار الإسلام، واتساع ممالك العرب، وكثرت الحواضر، واختلاط العرب مع العجم، كما يقول: « فنبتوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان، وقلة نُبو السمع عنه وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل، حتى تسامحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة

1- المفردات في غريب القرآن، مادة (عجم)

2- المصباح المنير، مادة (عجم)

3- مختصر الصحاح، مادة (عجم)

4- لسان العرب، مادة (عجم)

5- المعجم المفصل في الأدب، ص 619

6- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 195

والعجمة، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق»¹، فللحضارة والتمدن دور كبير في انتشار العجمة والركاكة واللحن عند العرب.

العجم:

العجم هم الذين لا يفصحون ولا يُبينون كلامهم وإن كانوا عرباً من حيث النسب². وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة، في قوله: « غير أنني أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظة لأنني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم، إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن وإتمام القافية، وقد تجاوزوا ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه»³.

الأعجمي:

أعجمي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح، وجمعه عَجْمٌ، ورجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عُجْمَةً⁴، وفي التنزيل: (﴿لَا يَفْصَحُ الْعَجْمِيَّةَ﴾)⁵

وفي الاصطلاح: هو الإنسان المسلم من غير العرب. ويكون عادة من الفرس أو الترك، وقد يكون اللفظ الذي دخل العربية من لغة أخرى⁶.

وقد ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً) بمعنيين:

أ- الأعجمي الذي لا يفصح بالعربية ولو كان عربياً، ورد في قوله: « يشتركُ فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم»⁷، فخلاف الفصيح الأعجم، وقوله: « ومتى شئت أن ترى ما وصفته عياناً، وتعلمه يقيناً فاعترض أول عامي عُفْلَ تستقبله، وأعجمي جلف تلقاه...»⁸.

¹ - الوساطة، ص 25

² - لسان العرب، مادة (عجم)

³ - الوساطة، ص 382

⁴ - لسان العرب، مادة (عجم)

⁵ - سورة النحل، الآية 103

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص 110

⁷ - الوساطة، ص 161

⁸ - المصدر نفسه، ص 162

ب- الأعجمي اللفظ الدخيل على العربية في قوله: « وهذا اسم أعجمي تكلمة به العرب ولم يحفظ عنهم جمعه... »¹، وفي قوله: « إذا عربت أعجمياً ألحقته بكلامها، وأجرته في أبنيتها؛ ألا تراهم قالوا: مُهْرَقٌ وَمَهَارِيقٌ، وَبِلَاسٌ بُلُوسٌ، وَبُسْتَانٌ وَبَسَاتِينٌ »².
وقد مثل الجرجاني لكثرة استعمال الألفاظ الأعجمية عند العرب في أشعارهم، رغم وجود ما ينوبها في العربية، فيقول: « كما سموا الحمل بَرَقاً، مع كثرة أسماء الغنم عندهم »³، ومثل لهذا بقول التغلبي:

وكنا إذا القيسي نَبَّ عَثُودَه ضَرَبْنَاَه دُونَ الْأَنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ

ويعلق عنه بقوله: « أراد الكَرْدَان، وهو العُنُق، فأقام به القافية »⁴، ويورد قول آخر:

قد علمت فارس جَمِيرَ والأَع رَابُ بِالْدَثِّ أَتِيَهُمْ نَزَلَا

يعلق عنه: « أراد الدَّثت وهو فارسي وأسماءه عند العرب كثيرة »⁵.

ويعيب القاضي عن أبي نواس فرط استعماله الألفاظ الأعجمية، فيقول: « وقد أفرط أبو نواس حتى استعمل زمرده، وبازبنده، وباركنده، وغير ذلك »⁶.

الأعجمية:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وأعجمية مؤنث أعجمي و أنت بمعناه الثاني وقد فرض تأنيثها السياق الذي وردت فيه، وكان هذا في حديث القاضي عن كيفية تعامل العرب مع جمع الأسماء الأعجمية، فقال: « فلما احتاج المولدون إليه أجره على أصل الجموع وتبعوا فيه عادة العرب في الأسماء الأعجمية، نحو سرداق وسرداقات وخان وخانات »⁷، وفي قوله: « فإذا كانت عربية فباب جمعها معروف ، وإن كانت أعجمية... »⁸.

المعجم:

¹ - المصدر نفسه، ص 368

² - المصدر نفسه، ص 369

³ - الوساطة، ص 382

⁴ - المصدر نفسه، ص 382

⁵ - المصدر نفسه، ص 382

⁶ - المصدر نفسه، ص 383

⁷ - المصدر نفسه، ص 368

⁸ - المصدر نفسه ، ص 369

المعجم هو كتاب يظم أكبر عدد من مفردات لغة ما مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً على مخارج الأصوات أو حروف الهجاء أو الموضوع¹.

وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة في قوله: « ثم حاول أن يقوم قصيدة، أو يقرض بيتاً

يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أسره، وصلابة معجمه لوجده أبعد من العيوق مُتناولاً²، ومعنى كلمة معجم في هذا الاقتباس هو الزاد أو المخزون اللفظي الذي يمتلكه الشخص ونوعيته.

مستعجم:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في كتاب الوساطة، بمعنى العجمة أي ضعف الإبانة بالعربية والركاكة في استعمالها؛ وإن كان المتكلم بها عربي، وهذا ما استخلصنا من قول القاضي: « فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدبر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنك بهم والعربُ عرب والدارُ خالصة لهم، والحضر بعيد منهم³.

كان كلام القاضي عن أثر البيئة واتساع ممالك العرب نتيجة انتشار الإسلام واختلاط العرب بشعوب أخرى، منفذاً لي طرح مصطلح العجمة التي تفتت بين الشعراء العرب فاستخدموا ألفاظ أعجمية رغم وجود ما ينوب عنها في العربية.

¹ - البحث اللغوي عند العرب، احمد مختار، عالم الكتب بيروت (د.ط) 1988م ص181م

² - الوساطة، ص24

³ - المصدر نفسه، ص142

الغلط

(أغاليط)

الغلط: « أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غَلِطَ في الأمر يَغْلِطُ غَلْطاً، وأغْلَطَهُ غيره، وقد غَالِطَ مُغَالِطَةً، والمَغْلُطَةُ والأغْلُوطَةُ، الكلام الذي يُغْلِطُ فيه وَيُغَالِطُ به»¹، وقيل: «غَلِطَ في الأمر من باب طَرِبَ، وأغْلَطَهُ غَيْرُهُ، والعرب تقول غَلِطَ في مَنْطِقِهِ وغَلَّتْ في الحساب، والأغْلُوطَةُ: ما يُغْلِطُ به من المسائل»²، و«المِغْلَاطُ: الكثيرُ الغَلْطِ والتَّغْلِيطُ: أن تقول له غَلِطْتَ»³، والغَلْطُ: «خلاف الإصابة. يقال: غَلِطَ يَغْلِطُ غَلْطاً. وبينهم أغْلُوطَةٌ، أي شيء يُغَالِطُ به بعضهم بعضاً»⁴.

وفي الاصطلاح: « هو الأخطاء التي يقع فيها الشعراء في بعض معاني وألفاظ

أشعارهم وكتب النقد تذكر أمثلة كثيرة مما وقع فيه الشعراء من غلط، مثل قول زهير:

فينتج لكم غلمانَ أشامَ كلهم كأحمر عادٍ ثم ترضع فتقطم

أراد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة، وكقول بعض العرب في الحماسة:

وبيضاء من نسج ابن داود نثرة تخيرتُها يوم اللقاء الملابسا

وإنما الدرع من نسج سليمان لا داود»⁵.

في اصطلاح (الوساطة) :

الغلط:

¹ - لسان العرب، مادة (غلط)

² - مختار الصحاح، مادة (غلط)

³ - القاموس المحيط، مادة (غلط)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة (غلط)

⁵ - البديع في نقد الشعر، ص 141

تكرر هذا المصطلح اثنا عشرة مرة في الوساطة، كان في أربع منها (معرفاً)، ومعناه عند الجرجاني هو الزلات والهفوات وما ينتج عنها من أخطاء يقع فيها الشعراء في معاني أشعارهم وألفاظها، فيقول: « ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأي عالم سمعت به ولم يزلَّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط! »¹، وقوله: « وما كان القدماء يتبعونه

في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى »²، وقوله: « ورأى بقراط هو المَقْدَم

في الطب ضرب به المثل في ذلك، وهو ليس بأكبر من غلط العربي في اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام، ثم غلظه في اسمه حتى يجعله مرة سَلاماً، ومرة يسميه سُلَيْماً »³.

ويُعلق الجرجاني عل غلط المسيب ابن علس وطرفة، في قول الأول :

وكان غَارِبَهَا رُبَاوَةٌ مَخْرِمٌ وَتَمُدُّ ثَنِي جَدِيلِهَا بِشَرَاخِ

فيقول: « أراد تشبيه العنق بالدقل فغلط، كما غلط طرفة في السُكَّان فقال:

كسُكَّانٍ بُوَصِي بِدَجَلَةٍ مُصْعِدِي وَأَتْلَعُ نَهَاضٍ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ

إنما يريد الدقل، وقول آخر :

وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثَلَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٌ

أرادا داود فغلطا إلى سليمان، ثم حرف اسمه إلى سليم »⁴.

أغاليط:

أغاليط جمع غلط لغة واصطلاحاً، ورد مرة واحدة في قوله: « ثم عدت إلى ما عدده

العلماء من أغاليطهم في المعاني »⁵، ويمثل لهذا النوع من الغلط بقول امرئ القيس:

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوْعِ حَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا شَعْرٌ مُنْتَشِرٌ

ويعلق عليه بقوله: « وهذا عيب في الخيل »¹، كما يورد قول زهير:

¹ - الوساطة، ص 13

² - المصدر نفسه، ص 17

³ - الوساطة، ص 391

⁴ - المصدر نفسه، ص 20

⁵ - المصدر نفسه، ص 18

الجمحي في الرواية. وقيل: « الفساد أن يورد الشاعر المعاني ويزيد فيها أو ينقص منها شرحها»¹.

في اصطلاح (الوساطة):

الفساد:

ورد هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والفساد عند القاضي الجرجاني يكون في الرواية والمعنى:

أ- أما الفساد في الرواية فهو نتيجة لفساد اللسان، يقول: « ممن نحل القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم... وصعب على أهل العناية إفراده وتعسره... وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر، الاحتجاجُ بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقاة الشعراء»²، فيذكر القاضي حماد وخلف وبن دأب، وهم ممن أفسدوا الشعر بإدخالهم ما ليس منه في روايته.

ب- أما فساد المعنى عند الجرجاني فهو نتيجة لاختلاله واضطرابه، يقول: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى»³. وقوله أيضاً: « فأما المختل المَعِيب، والفاقد المضطرب، فله وجهان: ... وهو ما كان اختلاله وفساده من باب اللحن والخطأ من ناحية الاعراب واللغة... والآخر غامض يوصل إلى بعضه بالرواية»⁴.

فالقاضي في هذا الاقتباس يضعنا أمام وجهين للفساد والغلط أحدهما نتيجة لاختلال المعنى واضطرابه، والآخر لغموض بعض الرواية في الشعر.

فساد المذهب:

¹ - معجم المصطلحات العربية هي اللغة والأدب، ص 273

² - الوساطة، ص 24

³ - الوساطة، ص 17

⁴ - المصدر نفسه، ص 342-343

وقصد به القاضي فساد عقيدة ودين الشاعر، وهذا ما أتهم به المتنبي لأبيات قالها، فيرد القاضي: « والعجب ممن ينقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة»¹.

فساد الترتيب:

وهو الإخلال بنظم البيت، مما يؤدي إلى إحالة الكلام عن وجهه، ذكره القاضي في تعليق عن بيت أبي تمام الذي فيه:

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جَرَعاً مِّنْ رَّاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ

يقول: « فحذف عمدة الكلام ، وأخل بالنظام؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن(إن كان) لم يذوق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه»². كما يدخل في فساد الترتيب قوله: «...ويشح عليها حتى يُهْلَهَلْ لأجلها النسيج، ويُفسد النظم...»³. ففساد النسيج والنظم في الشعر نتيجة لفساد ترتيب الألفاظ والمعاني.

فساد اللغة:

وهو حسب رأى القاضي نتيجة لاختلاط العرب بالعجم، فدخل على اللسان العربي ما ليس منه، يقول: « ومتى اتبع فيها الرخص، وأجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللغة واختلاط الكلام»⁴ ، ففساد اللغة كان نتيجة لدخول ألفاظ أعجمية فيها، رغم وجود مقابلات لها في العربية.

الفاسد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، كان منها ما جاء في حديث القاضي الجرجاني عن فساد بعض شعر أبي نواس كما في قوله:

وَأَخَفَتَ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخَلِّقْ

يعلق القاضي: « فهو من المحال الفاسد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم معيب مردود»⁵، و قوله: « فأما المختل المعيب، والفاسد المضطرب»¹.

¹ - المصدر نفسه، ص 62

² - المصدر نفسه، ص 75

³ - المصدر نفسه، ص 90

⁴ - الوساطة، ص 359

⁵ - المصدر نفسه، ص 354

فاسدة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة وكانت نكرة وهذا في قوله: « فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يعرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول والأمر مُدبر، وأكثر العرب مستعجم»².

واستخدام القاضي لمصطلح الفساد تراوح بين أمرين، مرة استخدمه بمعنى الاختلال والاضطراب وهو فساد في المعنى ومرة اعتبره فساد في اللسان وقصد به فساد الرواية.

الفكر

(الفكرة-الأفكار)

الفكر: قال ابن فارس: « الفاء والكاف والراء: تَرَدَّدَ القَلْبُ في الشيء، يقال تَفَكَّرَ إذا رَدَّدَ قلبه مُعْتَبِرًا»³، وقال غيره: « التفكير: التأمُّل، والاسم الفِكر والفِكرة و الفِكر ما عدا البديهة»⁴، و «الفِكر تردد القلب بالنظر، والتدبير لطلب المعاني»⁵، و « الفكر إعمال الخاطر في الشيء ... والفكرة كالفكر... و من العرب من يقول: الفكر: الفكرة»⁶، و « لفلان فِكرٌ كلها فِقر، وما زالت فِكرتكَ مَعَّاصِ الدُّرر»⁷.

¹ - المصدر نفسه، ص 342

² - المصدر نفسه، ص 142

³ - مقاييس اللغة، مادة (فكر)

⁴ - تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (فكر)

⁵ - المصباح المنير، مادة (فكر)

⁶ - لسان العرب، مادة (فكر)

⁷ - أساس البلاغة، مادة (فكر)

أما في الاصطلاح: هو «إعمال الذهن المرة تلو الأخرى لبيان أو تبين معنى ما»¹.
وقيل: « الفكرة هي الخاطرة التي تطرأ على الإنسان، والتصورُ الذهني لمعالجة قضيةٍ
منبعثةٍ من العالم الخارجي، وأساسها العقلُ المحكم»²، وهو « استعدادٌ عقلي يعين على
المحاكمة والتأمل والتمييز»³.
في اصطلاح (الوساطة):
الفكر:

تكرر هذا المصطلح في اثني عشر موضعاً (معرفاً ومنكراً)، وقد جاء بمعنيين عند
القاضي الجرجاني:

أ- الفكر بمعنى الذهن الذي يُعمل ويُجهَد مرة تلو الأخرى لبيان أو تبين معنى ما، وقد ورد
بهذا المعنى في قول الجرجاني: « فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل
القلب، إلا بعد إتعب الفكر، وكَدَّ خاطر، والحمل على القريحة»⁴. وهذا غريب مما جاء
في كلام متحدث عن الخطابة عند العرب: « وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجاله
فِكر ولا استعانة»⁵، ونجده بهذا المعنى أيضاً في قول القاضي: « فيجد العائب طريقاً إلى
إلى عيبه ولكنه لُطف في الفكر فتوصل به إلى استخراج ما غمض على غيره»⁶،
فالمقصود بالفكر في هذا الاقتباس الذهن، كما يقول: « ولو بلغ في علم العرب كل مبلغ،
وحمل على فكره فوق الطاقة»⁷، فهناك حدود لطاقة الذهن لا يحتمل فوقها.

وقوله في خاتمة كتابه الوساطة: « فإذا زدنا النظرُ والفكرُ والمطالعةُ بعض ما يليق به
أضفناه إليه، وإن أفادنا غيرنا منه ما قصرَ علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمة منه»⁸.

ب- الفكر بمعنى إعمال الذهن مرات متتالية لتوضيح أو تبين معنى ما، ونجده في قوله:
« وهذا باب بحاجة إلى إنعام الفكر، وشدة البحث، وحسن النظر، والتحرز من الإقدام قبل

1- مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 208

2- المعجم المفصل في الأدب، ص 691

3- المعجم الأدبي، ص 195

4- الوساطة، ص 26

5- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص 210

6- الوساطة، ص 76

7- المصدر نفسه، ص 347

8- المصدر نفسه، ص 396

التبين»¹، وهذا يوافق ما جاء في تأديب عبد الله بن الحسن بن الحسن لولده: « واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها القول، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب»²، ونجده بهذا المعنى أيضاً، أو أكثر وضوحاً، في قول القاضي: « ومتى أجد أحداً نفسه، وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً»³.

الفكرة:

الفكرة هي الفكر بمعنييه السابقين تقريباً، وقد وردت مرة واحدة في كتاب الوساطة، عند الحديث عن السهل الممتنع من شعر البحتري: « ويتبين فيه أثر الاحتفال، وعليك بما قاله عن عفو خاطره، وأول فكرته»⁴.

ويمثل للفكرة التي تأتي عن عفو خاطر بقول البحتري:

ألام على هواك وليس عدلاً إذا أحببت مثلك أن ألام

والفكرة في هذا الاقتباس جاءت بالمعنى الثاني للفكر، أي بمعنى أعمال الذهن وإجهاده في التدبر مرات متتالية حتى يصل إلى مراده.

الأفكار:

الأفكار جمع فكرة، ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، كقول القاضي: « ولم يرضى بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقل، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل»⁵، وقوله في تعليقه عن قصيدة جمعت أبياتها من رجال مختلفين: « ثم نظمها قصيدة، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح، واختلاف الأفكار والهواجس»⁶.

¹ - المصدر نفسه، ص 180

² - البيان والتبيين، ج 1 ص 332

³ - الوساطة، ص 185

⁴ - المصدر نفسه، ص 396

⁵ - الوساطة، ص 26

⁶ - المصدر نفسه، ص 142

فالفكر وما تبعه من اشتقاقات عند القاضي وسيلة الشاعر لتخير المعاني وتبيين الملائم منها من عدمه.

القلب

(مقلوب)

القلب: « تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلباً وإبداله وتغيره، وقلب الشيء وقلبه، حول ظهراً لبطن، وتقلب ظهراً لبطن وجنباً لجنب: تحول»¹، وقيل: « القلبُ الفؤادُ، وقد يعبر عن العقل. قال الفراء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَرُونَ لَأَقُولَنَّ بَلْ أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ إِذَا دَعِيَ إِلَىٰ جِهَةٍ أَنْ يَأْتِيَنَّهَا أُفٍّ كَافٍ﴾² أي كان له عقل. وقلب القوم صرّفهم، وقلب النخلة لبّها، والقلبُ البئر قبل أن تُطوى»³، وقيل: « قلبُ الشيءِ تصرّفه وصرّفه عن وجهه إلى وجهه كقلب الثوب»¹، وتقلب في الأمور: تصرّف كيف شاء»²، و« القلب: ردّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة»³.

¹ - لسان العرب، مادة (قلب)

² - سورة ق، الآية 37

³ - مختار الصحاح، مادة (قلب)

و في الاصطلاح: « يعد من السرقات الشعرية غير الظاهرة، وهو أن يأخذ الثاني عن الأول معناه فيقلبه إلى نقيضه»⁴، أو هو « الخروج عن مقتضى الظاهر وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر»⁵.
في اصطلاح (الوساطة):

القلب:

ورد هذا المصطلح تسعة وثلاثين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، و قصد به القاضي أمرين:

أ- قصد بالقلب أن يأخذ الثاني عن الأول معناه فيقلبه إلى نقيضه، وجاء بهذا المعنى ثلاث عشرة مرة من مجموع مرات ورود هذا المصطلح، وعده القاضي الجرجاني من أنواع المناقضة التي لجأ إليها الشعراء المحدثين لإخفاء سرقاتهم، يقول: « والسَّرْقُ -أيديك الله -داء قديم، وعيب عتيق...ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب»⁶، ويدافع الجرجاني عن

استعمال أبي الطيب للقلب في أشعاره بقوله: « قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مخرج القلب، وهو كثير في شعر العرب»⁷، ويمثل له بقول الأعشى:
وكل كميت كأنَّ السَّلي ط في حيثُ وارى الأديمُ الشَّعارا
ثم يعلق: « يريد: حيث وارى الشعارُ الأديم، فقلب الكلام»⁸، وقول الشماخ:
منه ولدت ولم يُؤشَبَ بها حسبي ليا كما عُصِبَ العُلباء بالعودِ
ثم يعلق عن القلب في عجز البيت: « أراد كما عصبَ العود بالعلباء»⁹، ويورد قال آخر:
كان الزناء فريضة الرجم

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (قلب)

2- القاموس المحيط، مادة(قلب)

3- مقاييس اللغة، مادة (قلب)

4- ينظر: معجم الشامل، ص 675

5- معجم البلاغية العربية، ص 561

6- الوساطة، ص 185

7- الوساطة، ص 388

8- المصدر نفسه، ص 388

9- المصدر نفسه، ص 388

*- لم يرد الشطر الثاني من البين ، ولم يشر له المحقق في الإحالة

يعلق عن القلب في شطر البيت بقوله: «أراد كان الرجم فريضة الزناء»¹.
 كما ينبه القاضي عن بعض سرقات المتنبي التي جاءت على وجه القلب، فيقول: «ومن لطيف السَّرَق ما جاء به على وجه القلب، وقصد به النقض»²، ويمثل له بقول المتنبي:
 أَأَحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
 إنما نقض قول أبي الشيص:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حَبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي اللَّوْمُ

فالقلب نوع من أنواع السرقات الشعرية غير الظاهرة.

ب- كما جاء القلب بمعنى الفؤاد، في ستة وعشرين موضعاً، من مجموع مرات وروده والقلب أو «العضو في الصدر وهو مركز الحياة والإحساس؛ فيرون فيه الجرأة والشجاعة والحدس والتفكير، ومنبع الشعر والإلهام»³، كما في قوله: «وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً»⁴، وفي قوله: «فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكد خاطر»⁵.
 كما جاء بصيغة الجمع في تعليقه عن بيت لأبي تمام فيقول: «وأبعد من أن يرف عليه

رِيحَانِ الْقُلُوبِ»⁶.

مقلوب:

والمقلوب من الشعر هو الذي وقع فيه القلب وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة في تعليقه عن قول المتنبي:

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ
 وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بَطُولِ يَمِينٍ وَأَتْسَاعِ جَنَانِ

يقول القاضي: «ومقلوب هذا قول آخر»⁷، ثم يورد قول الشاعر الذي قلب بيتي المتنبي:

¹ - الوساطة، ص 388

² - المصدر نفسه، ص 179

³ - المعجم المفصل في الأدب، ص 713

⁴ - الوساطة، ص 25

⁵ - المصدر نفسه، ص 26

⁶ - الوساطة، ص 27

⁷ - المصدر نفسه، ص 325

دَفَعْنَا بِكَ الْإَيَّامَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَتْ تُرَيْدُكَ لَمْ نَسْتَطِعْ لَهَا عَنَّا مَدْفَعًا

فمصطلح القلب عند القاضي الجرجاني نوع من السرقات، التي تعمد إلى إخفاء الأخذ بقلب المعنى إلى النقيض، وتحويل الشيء عن وجهه بأن يأتي الشاعر إلى معنى لغيره فيأخذه ويقبله، وفيه دلالة على الاقتدار في الكلام والإغراق.

الكشف

(استكشف-منكشف)

الكشف: «رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، كَشَفَهُ يَكْشِفُهُ كَشْفًا وَكَشَفَهُ فَانْكَشَفَ، وَرَبَطُ كَشِيفٌ: مَكْشُوفٌ أَوْ مُنْكَشِفٌ، وَكَشَفَ الْأَمْرَ يَكْشِفُهُ كَشْفًا: أَظْهَرَهُ، وَكَشَفَهُ عَنِ الْأَمْرِ: أَكْرَهَهُ عَلَىٰ إِظْهَارِهِ»¹، ويقال: «كَشَفْتُ الثُّوبَ عَنِ الْوَجْهِ، وَيُقَالُ: كَشَفَ عَمَهُ»²، وقيل: «كَشَفْتُهُ

¹ - لسان العرب، مادة (كشف)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (كشف)

الكَوْاشِفُ فَضَحَتْهُ، وَتَكَشَّفَ: ظهر¹، والكشف: « سَرَوِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، كَالثَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ »².

وفي الاصطلاح: « هو الإبراز والإظهار ويكون كشف المعنى و إبرازه بزيادة منه تزيده نصاعة وبراعة، ومثل ذلك أن امرأ القيس قال:

كبكر المقانة البياض بصفرة غذاها نميرُ الماء غيرَ المحلَّل

أخذ هذا المعنى نو الرمة فكشفه وأبرزه وزاد فيه زيادة لطيفة فقال:

كحلاءُ في بَرَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مَسَّها ذَهَبٌ

وقيل أيضاً: هو أن يكشف المتبع معنى المبتدع إذا كان فيه شيء من الخفاء³، قيل: « وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية »⁴.

في اصطلاح (الوساطة):

الكشف:

ورد هذا المصطلح اثنا عشرة مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً) ، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو إبراز وإظهار المعاني الخفية، فيقول: « فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش والكشف »⁵. وفي كلامه عن التعقيد في شعر المتنبي يقوله: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة وأن في طيها الغنيمة الباردة؛ حتى إذ فتشها، وكشف عن سترها، وسهر ليالي متوالية فيها... »⁶.

وفي باب السرقات الشعرية تطرق القاضي لمصطلح الكشف على اعتباره السبيل لإظهار السرقات وإبرازها، فيقول: « وكثيراً منكم لا يعرف من السرقة إلا اسمه، فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف عند أوائله، فإن استثبت فيه، وكُشِفَ عنه، وجد عارياً من معرفة واضحه⁷ »، ونجد الكشف بنفس المعنى- إبراز وإظهار ما خفي- في كلام القاضي عن

¹ - القاموس المحيط، مادة (كشف)

² - مقاييس اللغة، مادة (كشف)

³ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3 ص149

⁴ - التعريفات، ص193

⁵ - الوساطة، ص31

⁶ - الوساطة، ص90

⁷ - المصدر نفسه، ص161

الإفراط في الاستعارة: « وربما تمكنت الحجاج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلظه»¹. ومن الأبيات التي يرى القاضي أنها تحتاج إلى كشف وإظهار معانيها ماجاء في قول الشاعر:²

هَذَا بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسًا ثُمَّ انْتَنَيْتُ وَمَا شَفِيْتُ نَسِيْسًا

استكشف:

وردة هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء فيها بمعنى الإظهار و التوضيح في قوله: « فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية؛ ولا طريق للرواية إلا السمع»³.

منكشف:

وردة هذا المصطلح مرة واحدة، وجاء فيها بمعنى الظاهر والواضح، في تعليقه على قول المعطوط:

بَلْ رُبَّ مَحْرَارٍ تَجَاوَزَنَّهُ بِبَسْطَةِ الْهَامَةِ وَالْمِشْفَرَيْنِ

مَا هَوْلَةُ الْأَرْضِ إِذَا أَصْبَحَتْ مَجْدِيَةَ الْحَيُزُومِ وَالْمِرْفَقَيْنِ

يقول القاضي: « البيت الأول منكشف المعنى، وأما الثاني فلا يعلم إلا وحيًا أو سماعًا»⁴.

فالكشف عند القاضي يعتمد النقاد لإظهار السرقات الخفية وإبرازها، كما يساعد الكشف الشعراء على التفتيش عن المعاني المناسبة لأشعارهم.

اللحن

اللحن: « إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية... وقد يحمل معنى الفطنة والذكاء»⁵ وقيل: « اللحن الخطأ في الإعراب، ولحن: فطن، أو قال قولاً يفهمه عنه،

ويخفى على غيره لانه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم، كقوله تعالى: ﴿ ۝ ﴾)

⚡ II ↔ ⬦ ⬠ ⬡

⚡ ⚡ x

↔ ⚡ ← ⚡ □ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡

⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡

⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡

⚡

⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡ ⚡

¹ - المصدر نفسه، ص 356

² - المصدر نفسه، ص 385

³ - المصدر نفسه، ص 23

⁴ - المصدر نفسه، ص 346-347

⁵ - مقاييس اللغة، مادة (لحن)

وَلَحَنَ فِي قِرَاءَتِهِ إِذَا غَرَدَ وَطَرَبَ فِيهَا بِالْحَانَ، وَاللَّحْنُ: تَرَكَ الصَّوَابَ فِي الْقِرَاءَةِ وَالنَّشِيدِ، يُقَالُ: لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا وَلَحْنًا³، وَقِيلَ: «اللحن: الخطأ في القراءة، وَلَحْنَهُ: حَطَّأَهُ»⁴.

و في الاصطلاح: هو « الخطأ النحوي الذي يقع فيه الإنسان أثناء الكلام أو القراءة ويكون ذلك في الإعراب، أو في ترتيب كلمات الجملة ترتيبا يخالف قواعد اللغة، وقد يكون اللحن أيضا في نطق الألفاظ»⁵، وهو قسمان جلي وخفي: فالجلي: خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى والعرف كتغيير المبنى عما قسم له من حركة أو سكون، والخفي: هو خطأ يعرض للفظ ولا يخل بالمعنى بل بالعرف كتكرير الراءات وتطنين النونات»⁶.

في اصطلاح (الوساطة):

اللحن:

ورد هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي هو الغلط نتيجة الخطأ في إعراب اللفظ وما يسببه من فساد في المعنى وخروج الكلام عن الاستعمال الصحيح في العربية، ولهذا يكون نُبُو النفس وعدم ارتياح القلب للشعر الذي به لحن، ونجد هذا فيم ذكره عند استعراضه لبعض مما كان يجري بين الشعراء والنقاد، فيقول: « ثم استعرضت إنكار الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه في قوله:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوْلِيَا

ففتح الياء من موالي في حال الجر، وما جرى له مع عنبسة الفيل النحوي حتى قال فيه:

لقد كان في مَعْدَانِ وَالْفِيلِ شَاغِلٌ لِعَنْبَسَةَ الرَّأْيِ عَلَيَّ الْقَصَائِدَا

وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى، حتى قال البردخت لبعض النحويين:

¹ - سورة محمد، الآية 30

² - المصباح المنير، مادة (لحن)

³ - لسان العرب، مادة (لحن)

⁴ - القاموس المحيط، مادة (لحن)

⁵ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 316

⁶ - الكليات، ص 797

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ وأنفٌ كمثلِ العودِ مما تتبَّعُ
تتَّبَعُ لحناً في كلامٍ مُرَقَّشٍ وَخَلَّقَكَ مَبْنِيٌّ عَلَى اللّحْنِ أَجْمَعِ
فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ وَوَجْهُكَ إِطَاءٌ فَأَنْتَ الْمَرْقَعُ

وقول الأصمعي في الكميت: جُرْمُقَانِي من جَرَامِيقِ الشَّامِ لا يحتج بشعره، وما أنكره من شعر الطرماح، ولحن فيه ذا الرمة ¹، فمن هذا الاقتباس نجد أن اللحن كان شائعاً بين الكثير من الشعراء العرب، مما جعل شعرهم لا يحتج به بين النقاد بسبب هذا اللحن. وغالباً ما يكون اللحن عند القاضي مرادفاً للغلط والفساد في الشعر، فهي شوائب يعاب ويذم الشعر بسببها، يقول: « وإنما نقابل دعواك بإنكار خصمك، ونعارض حجتك بالزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة، فأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، وإنما تخبر عن نُبُوِّ النفس عنه، وقَلَّةِ ارتياح القلب إليه ²، فاللحن والغلط أثر على نفس المستمع، تجعل قلبه لا يرتاح لم يسمع. وقد مثل للحن في شعر أبي نواس بأمثلة كثيرة، فقال: « فإن طَلَبَ اللّحْنَ والغلط أخذ عليه ³؛ مثل قوله:

وَضَيْفُ كَأْسٍ مَحْدَثَةٌ مَلِكٌ تَيْهٌ مُغَنَّ وَظَرْفُ زَنْدِيقِ

يعلق القاضي عن البيت بقوله: « فسكن الهاء، وقوله: يا رَبِّي الجبار (فرع) الجبار ⁴. وقوله:

فَلَمَّا خَشِيَ الْإِيْبَاءِ مِنْ صَحْبِ وَجَلَّاسِ

يعلق القاضي: « وإنما هو الإِبَاء ⁵.

والإِبَاء هو مصدر الفعل (أبى)، يقال: « أبى الشيءَ يَأْبَاهُ وَيَأْبِيهِ إِبَاءً وَإِبَاءَةً بكسرهما: كرهه... ⁶، ولكن أبا نواس استعمل (الإِبْيَاء) بدلا من (الإِبَاء) فعد الجرجاني هذا لحنًا. وذكر القاضي من اللحن الذي وقع فيه أبو نواس قوله:

¹ - الوساطة، ص 17-18

² - المصدر نفسه، ص 91

³ - المصدر نفسه، ص 61

⁴ - المصدر نفسه، ص 61

⁵ - الوساطة، ص 61

⁶ - القاموس المحيط، مادة (أبى)

وإذا نزعت إلى الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

فقال بعد ذكر البيت: « وإنما هو نزع عن الشيء نزوعاً¹ ».

وليس الجرجاني أول من خطأ أبا نواس في بيته هذا وإنما سبقه إلى ذلك ابن قتيبة الذي علق على هذا البيت بقوله: « وفي هذا حرف يؤخذ عليه وهو قوله: ذلك النزع، وكان ينبغي أن يقول: النزوع، يقال: نزعت عن الأمر نزوعاً. ونزعت الشيء من مكانه نزعا، ونازعت إلى أهلي نزاعاً...² ».

وفي حديثه عن ما عابه خصوم المتنبّي في شعره، يقول: « وتصفحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلبتّه ظهراً وبطناً، لم تزد عن أحرف تلتقطها، وألفاظ تمحلّتها ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضها بتعسف والغثاثة، وبعضاً بضعف والركاكة³ ».

اللحن عند القاضي مما عيب على المتنبّي؛ ورد القاضي بأن أورد نظائراً لهذه الأخطاء التي تعدّ لحناً عند غيره ممن يعدون من فحول الشعراء.

المُبَالِغَةُ

(بَالِغٌ - التَّبْلِيغُ - أَبْلَغُ)

المبالغة: « بَالِغٌ فِي الْأَمْرِ: بَدَلَ الْجُهْدِ فِي تَتَبِعِهِ، بَالِغٌ فَلَانٌ فِي أَمْرِي: إِذَا لَمْ يَقْصُرْ فِيهِ، وَ بَلَّغَ الشَّيْءَ يَبْلُغُهُ بُلُوغًا وَ بَلَاغًا وَ صَلَ وَانْتَهَى، وَ أَبْلَغُهُ هُوَ إِبْلَاغًا وَبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا، وَالإِبْلَاغُ: الإِیْصَالُ وَكَذَلِكَ التَّبْلِيغُ وَالاسْمُ مِنْهُ الْبَلَاغُ وَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ، بَلَّغْتُ يُبَلِّغُ مَبَالِغَةً وَبَلَاغًا إِذَا اجْتَهَدَ

¹ - الوساطة، ص 61

² - ينظر: المسائل النحوية والصرفية في كتاب الوساطة، ص 25

³ - الوساطة، ص 77

في الأمر، والمُبَالِغَةُ: أن تَبْلُغَ في الأمر جهدك، ويقال: بُلِّغَ فُلانٌ أي جُهَدَ¹، وقيل: « البُلُوعُ والبَلَاغُ الانتهاءُ إلى أَقْصَى المَقْصِدِ وَالْمُنْتَهَى »²، وقيل: « بَلِّغَ المكانَ بُلُوعًا وصل إليه وثناءً أَبْلَغُ: مَبْلَغُ فيه³، وقولهم: تَبَلَّغَتِ القِلَّةُ بفلانٍ، إذا اشْتَدَّتْ »⁴.

و في الاصطلاح: « فن من فنون الكلام ونوع من محاسنه، ومتى كانت جارية على جهة الغلو والاغراق فهي مذمومة »⁵، أو هي « وصف الشاعر بأكثر مما في الممدوح من صفات، أو وصف الفارس نفسه بصفات لا يقبلها العقل ولا المنطق. والمبالغة ممجوجة إذا كانت تتصف بالفيض الوصفي »⁶، وهي « أن يُدَّعى أن وصفاً بلغ في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً »⁷، وهي « ضربان: مبالغة بالوصف بأن يخرج حد الاستحالة ومبالغة بالصيغة »⁸، وتعد من المحسنات البديعية التي انقسم النقاد حولها، بين من ينادي بها ويؤثرها، وبين من ينكرها ويعيبها.

في اصطلاح (الوساطة):

المبالغة:

وردة هذا المصطلح ثلاث مرات (معرفاً) في الوساطة، والمبالغة في معناها عند القاضي تدخل في باب الإفراط والإغراق في معاني القول بالزيادة والإسراف في المعنى والوصف لتأكيد، فنجدها في تعليقه عن أبيات بالغ أبو تمام في معانيها وأفرط: «... ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة»⁹.
ويمثل للمبالغة بقول المتنبي:

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَوَلَدَ النِّسَاءِ وَمَا لَهُنَّ قَوَائِلُ

¹ - لسان العرب، مادة (بلغ)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (بلغ)

³ - القاموس المحيط، مادة (بلغ)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة (بلغ)

⁵ - فنون بلاغية، ص 283

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص 751

⁷ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 327

⁸ - الكليات، ص 851

⁹ - الوساطة، ص 158

ويعلق عن البيت بقوله: « ولم يستغنى بطيب المولد عن القابلة؟ وإذا استغنى عنها كان ماذا؟ وأي فخر فيه؟ وأي شرف يناله؟¹. فالقاضي في هذا الاقتباس ينكر المبالغة، ويعيب ويعيب الإسراف فيها. وهذا يتفق مع ما ذهب إليه بعض النقاد بقولهم: « أن المبالغة ربما أحلت المعنى ولبسته على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد»². ويمثل القاضي للقصور في المبالغة عند بعض الشعراء مثل قول أحدهم:

أَحَادُ أَمْ سُدَّاسُ فِي أَحَادٍ لِيُبَلِّغُنَا الْمَنُوطَةَ بِالتَّنَادِ

فيعلق بقوله: « ولم اقتصر على الأسبوع وهو يريد المبالغة في الطول؟ وهل بلغ أقصى ما يحتمله الوزن وأكثر ما يمكنه النظم؟³.

ويذكر القاضي صيغة من صيغ المبالغة ويفصل في شرحها والتمثيل لها بمثل قول المتنبّي:

لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ أَبْعَدُ بَعْدَتْ بِيَاضاً لَا بِيَاضَ لَهُ

فيعلق بقوله: « إنه أنكر أسود من الظلم، ولم يعلم أنه يحتمل هذا الكلام وجوهاً يصح عليها، وأن الرجل لم يرد (أفعل) التي للمبالغة»⁴. ويطيل التفصيل في الكلام عن هذه الصيغة، ليبين المواقع التي تكون فيها (أفعل) صيغة مبالغة وما تخرج فيه عن ذلك. بالغ:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، ومعنى بالغ من المبالغة « بَالَعٌ فَلَانٌ فِي أَمْرِي

إذا لم يقصر فيه»⁵، ورد هذا المصطلح بمعنى الزيادة في الوصف إلى حد الإفراط لتأكيد المعنى، يعلق القاضي عن البيت التالي:

ضَرِبْتُ خُمَاسَ ضَرِيَّةٍ عَبَّسَمِي أَدَارَ سُدَّاسٍ أَنْ لَا يَسْتَقِيمَا

¹ - المصدر نفسه، ص 158

² - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 300

³ - الوساطة، ص 91

⁴ - المصدر نفسه، ص 364

⁵ - لسان العرب، مادة (بلغ)

فيقول: « وليس على الشاعر إذا بَالَع في الوصف أن ينتهي إلى الغاية، ولا يترك في الإفراط مذهباً، على أنه قد يجوز أن يكون قصد استقاء الأسبوع»¹. ويتكرر هذا المعنى في تعليق القاضي عن البيت التالي:

بَلِيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرَابِ خَاتِمُهُ

فيقول: « أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغاً ما بلغ من الشح، وواقعاً حيث وقع من البخل أن يقف على طلب خاتمه»²، و الشاعر لم ينجح في مبالغته، لأن الخاتم ليس بالشيء الذي يخفى في التراب إذا طلب، ولا يصعب إيجاده إذا فُتِش.

وقد يرد نفس المصطلح بمعنى مختلف تمام، مثل قوله: « ولعلي بالغ بعض ما أوْمَل»³. فهن جاء المصطلح بمعنى الوصول إلى الغاية المبتغاة. وقد تكرر هذا المصطلح بهذا المعنى أكثر من مرة.

التبليغ:

وردة مرتين في كتاب الوساطة، والتبليغ هو إيصال الأمر إلى المقصد، إحداهما في قوله: « قد أنصفناك في الاستيفاء لك، والتبليغ عنك»⁴، فقصد بالتبليغ هنا هو إيصال الأمر وإلحاقه، بينما في قوله: « ورأيت السلامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة) على حسن التبليغ»⁵، فهنا يشير إلى أحد مزايا التبليغ وهي الحسن أي الكمال والخلو من الشوائب.

أبلغ:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في كتاب الوساطة، و أبلغ اسم تفضيل من البلاغة جاء بمعنى الانتهاء إلى الغاية في التبيين والإفهام بأفضل أسلوب، وهذه هي بلاغة المتكلم. يقول القاضي: «.. والخطيب أبلغ من الخطيب، فهل ذلك إلا من وجهة الطبع والذكاء وحدة

¹ - الوساطة، ص 379

² - المصدر نفسه، ص 390

³ - المصدر نفسه، ص 387

⁴ - المصدر نفسه، ص 161

⁵ - المصدر نفسه، ص 344

القريحة والفتنة!¹، وقوله: « فكلما ازداد الكلام تأكيداً كان أبلغ² ». ونجده يرد بصورة أخرى في قول القاضي: « فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت...³ »، ويعدد القاضي صفات الهجو البليغ و الذي بلغ نهاية التبیین وإفهام في الأسلوب.

فمصطلح المبالغة عند القاضي وعلى خلاف الكثير من أسلافه غير مرغوبة فيها في الكلام فحسب رأيه هي مدعاة للإغراق والإفراط في المعاني والإسراف دون حاجة لذلك.

المثل

¹ - الوساطة، ص 23

² - المصدر نفسه، ص 176

³ - المصدر نفسه، ص 30

(الأمثال - التمثيل - تماثل)

المَثَلُ: « الشيء الذي يضرب لشيء مَثَلًا فيجعله مِثْلَهُ، والمَثَلُ والمِثْلُ: كالمِثْل، والجمع أمثال وهما يَتَمَثَلَانُ والمِثْلُ: الحَدِيثُ نَفْسُهُ، و قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السِّرَّ الَّذِي أُكْرِمُوا بِهِ لَتَرَيْنَاهُنَّ صِيقَاتِكُنَّ عَلَىٰ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثَاتِكُنَّ لِئَلَّا يَكُنَّ لِلنَّاسِ سَنِيئَةٌ وَرَبُّكُنَّ عَلِيمٌ﴾ (١)، والمِثَالُ: المِقْدَارُ وهو من الشبهِ والْأَمْثَلُ: الأَفْضَلُ، يقال: فلان أَمْثَلُ من فلان أي أَفْضَلُ مِنْهُ، والمِثَالُ: القِصَاصُ^٢، وقيل: « مَثَلُ الشَّيْءِ أَيضًا صِفَتُهُ يَكُونُ المَثَلُ: بِمَعْنَى العِبْرَةِ^٣، والمَثَلُ عِبَارَةٌ عَن قَوْلٍ فِي شَيْءٍ يُشْبِهُ قَوْلًا فِي شَيْءٍ آخَرَ بَيْنَهُمَا مُشَابَهَةٌ^٤ ». و « المَثَلُ: الحُجَّةُ والحَدِيثُ^٥، وهو « مناظرة الشيء للشيء وهذا مَثَلٌ هَذَا، أي نَظِيرُهُ^٦ ».

و في الاصطلاح: « جمل وجيزة ذات مفهوم عميق، تدل على نتيجة إثر تجربة واقعية. والمَثَلُ موجود عند كل شعوب الأرض، وهو المرآة الصافية لحياتها، وعاداتها وتقاليدها^٧ ». وقيل: « المَثَلُ جُمْلَةٌ مِنَ القَوْلِ مُفْتَنَةٌ مِنَ كَلَامٍ أَوْ مُرْسَلَةٌ لِذَاتِهَا تُنْقَلُ مِمَّنْ وَرَدَتْ فِيهِ إِلَى مُشَابِهِه بِلا تَغْيِيرٍ^٨ ».

في اصطلاح (الوساطة):

المَثَلُ:

تكرر هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والمثل عند القاضي جاء بمعنيين:

أ- المثل بمعنى ما يضرب لأمر من الأمور، وهو ما اشتهرت به العرب، ونجده في تعليق القاضي على قول الحُصَيْنِ بنِ الحُمَامِ المُرِّي:

¹ - سورة النحل، الآية 60

² - لسان العرب، مادة (مثل)

³ - تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (مثل)

⁴ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (مثل)

⁵ - القاموس المحيط، مادة (مثل)

⁶ - مقاييس اللغة، مادة (مثل)

⁷ - المعجم المفصل في الأدب، ص 757

⁸ - المعجم الأدبي، ص 236

فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذَلَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
 فيقول: « وهذا قريب من الحقيقة، وإن كان فيه شُعْبَةٌ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ »¹، فالمثل هنا
 يتضمن معنى العبرة أو الحكمة كثيرة التداولة بين الناس.

ب- المثل بمعنى التمثيل، وقد ورد في معرض رده على من خلط بين الاستعارة والتشبيه
 فيقول: « وربما جاء من هذا الباب ما يظنُّه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مَثَلٌ »²، فالمثل
 عند الجرجاني هنا هو التمثيل.

سائر المثل:

ورد هذا المصطلح مرتين مفرداً وجمعاً، وعلى غير المعتاد وهو أن يقال (المثل السائر)
 نجد القاضي يستعمله في قوله: « ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته »³، و في قوله:
 « وهذا مصراع نادر، مستوفي المعنى، سائر المَثَلِ »⁴، فأخر المثل في تركيب المصطلح
 ورغم هذا لم يخرج عن المعنى العام لهذا المصطلح وهو المثل الجاري على ألسنة الناس.

الأمثال:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في كتاب الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والأمثال جمع
 مثل، وقد جاءت بالمعنيين السابقين للمثل وهما:

أ- الأمثال بمعنى ما يضرب من الشواهد لأمر من الأمور، وقد وردت بهذا المعنى في
 قول القاضي: « وضرب له الأمثال، فروى له خبر ذي الرمة حين استنشد به بعض الملوك
 من بني أمية »⁵، فالأمثال هنا تتضمن معنى العبر والمواعظ المتداولة بين العرب.

ب- الأمثال بمعنى الأشباه و النظائر، ونجدها في تعليقه عن حسن الابتداء عند المتنبي
 في قوله:

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمْ عَدُّ

فيعلق القاضي: « وأمثال ذلك إن طلبته هداك لموضعه، وإن التمسته ذلك على نفسه »⁶
 فأشبهه هذا الابتداء الحسن للمتنبي كثير في أشعاره، كما يرى القاضي.

¹ - الوساطة، ص 41

² - المصدر نفسه، ص 45

³ - المصدر نفسه، ص 38

⁴ - المصدر نفسه، ص 214

⁵ - المصدر نفسه، ص 138

⁶ - المصدر نفسه، ص 140

وفي تعقيبه عن إفراط المحدثين في استعمال ألفاظ العجم في أشعارهم رغم وجود مقابل لها في العربية يقول: « فليس بمحذور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك إذا احتاج إلى ذلك إليه؛ فأما المحدثون فقد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحد...»¹

التمثيل:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والتمثيل في اللغة هو التشبيه²، ولم يخرج عن هذا عند القاضي فقد جاء بمعنى التشبيه، في قوله: « كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبُرد، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها، والمهابة في حسنها وصفائها»³. وفي قوله: « وأما بيت أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول »⁴. فالتمثيل المتداول هو التشبيهات المتداول بين الشعراء، والتي لا تعد من السرقات لشيوعها.

التماثل:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بمعنى التشابه في قوله: « تساوي المعاني، وتماثل الأوزان »⁵.

فالمثل والأمثال والتمثيل مصطلحات اختلفت معانيها عند القاضي وإن تقاربت اشتقاقاتها وهي في جملتها لم تخرج عن المعاني الاصطلاحية وحتى اللغوية المتداولة لهذه المصطلحات.

المطابقة

¹ - الوساطة، ص 282

² - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2 ص 348

³ - الوساطة، ص 162

⁴ - المصدر نفسه، ص 291

⁵ - المصدر نفسه، ص 174

(المطابق - طبق)

المطابقة: « الموافقة ومنها الطَبَاقُ وهو الجمع بين الشئيين، وتَطَابَقَ الشَّيْئَانِ: تساويا، والمُطَابَقَةُ والتطابقُ: الإتيانُ، ويقال طَابَقَ فُلَانٌ فُلَاناً إِذَا وافقه، والمُطَابَقَةُ: المَشِي فِي القِيدِ وَهُوَ الرِّسْفُ، ومُطَابَقَةُ الفَرَسِ فِي جَرِيهِ: وَضَعُ رِجْلِيهِ مَوَاضِعَ يَدَيْهِ، والمُطَابَقَةُ: مَشِي المُقَيَّدَ¹ ، وقيل: « المُطَابَقَةُ مِنَ الأَسْمَاءِ المُتَضَائِفَةِ وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ الشَّيْءَ فَوْقَ الأَخْر² ، و« الطَّبِيقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا سَاوَاهُ³ ، و« طَابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ: إِذَا جَعَلْتُهُمَا عَلَى حَذْوِ وَاحِدٍ⁴ .

و في الاصطلاح: «المطابقة والطباق والتضاد ثلاث مصطلحات لمسمى فرد هو الجمع في الكلام الواحد بين الشيء الواحد وضده»⁵. وقيل: « المطابقة في علم البديع، هي الجمع في الكلام بين متضادين إما اسمين، نحو: النهار والليل، أو فعلين نحو: يبكي و يضحك أو حرفين، نحو: يوم لنا ويوم علينا»⁶.

وهو أنواع: « طباق سلب، وطباق إيجاب، وطباق تضاد، ويكون في لفظين: أبيض وأسود وبحي ويميت، وهو من المحسنات المعنوية التي تقوم الكلام وتكسبه الرونق»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

المطابقة:

ورد هذا المصطلح ثمانى مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى المطابقة عند القاضي الجرجاني هو المقابلة بين الشيء وضده في الكلام، وقد لمح إلى صعوبة استخلاصها من الكلام لغموضها وخفائها، لتداخلها مع أنواع أخرى من المجاز، مما يستلزم النظر الثاقب والذهن المتمرس، فيقول: « و أما المطابقة فلها شُعْبُ خفية، وفيها مكامن

¹ - ينظر: لسان العرب، مادة(طبق)

² - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(طبق)

³ - القاموس المحيط، مادة(طبق)

⁴ - مقاييس اللغة، مادة(طبق)

⁵ - البلاغة الاصطلاحية، ص287

⁶ - معجم المفصل في اللغة والأدب، ص767

⁷ - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص239

تغمض، وربما التبتت بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو أملك به»¹، يشير القاضي في هذا الاقتباس: «إلى دور المتلقي في إدراك المعاني الكامنة في الطباق، فالمطابقة لا يدركها، ويدرك معانيها في النص إلا متلق متمرس على علم ودراية وثقافة حتى يستطيع إدراك وفهم واستخلاص مكامن الطباق»²، وقد قسم القاضي الجرجاني المطابقة إلى قسمين وهما:

ما جرى مجرى المثل، و ما كانت المطابقة فيه بالنفي، وحول هذين القسمين يقول: «ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دِعْلٍ:

لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول مسلم بن الوليد:

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

وقول أبي تمام:

وَتَنْظُرِي حَبَبَ الرِّكَابِ يُنْصُهَا مُحْيِي الفَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ المَالِ

فكل هذا باب واحد، وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحتري: يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الهَوَى وَيَسْرِي إِلَيَّ الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ كَانَ قَوْلُهُ: (لا أعلم) كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابة»³.

فمن هذه الأمثلة يمكن أن نقول أن المطابقة عند القاضي هي الجمع بين الضدين في الكلام كما هو الحال بين (يبكي و يضحك) والضد بالنفي في (أعلم ولا أعلم) وفي تعليقه عن بعض أغرب الألفاظ التي تستعمل في المطابقة يقول: «ومن أغرب ألفاظه وأطف ما وجد منه قول أبي تمام:

مَهَا الوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلِكْ دَوَائِلُ

فطابق (بهاتا وتلك) وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى. وبمنزلة

¹ - الوساطة، ص 47-48

² - الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع الهجري، جمال محمد صالح حسين، عالم الكتب الحديث بيروت (د.ط) 2009م

ص 221

³ - الوساطة، ص 48

الضدين»¹.**المطابق:**

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في كتاب الوساطة، وقصد القاضي بالمطابق المطابقة يقول عن صعوبة تميز المطابقة: « وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تميزه بالمطابق ما ليس منه»² ويمثل لهذا الخلط في المطابقة بقول كعب بن سعد:

لقد كان: أَمَّا حِلْمُهُ فَمَرَوْحٌ عَلَيْنَا وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبٌ

ثم يعلق: « لما رأى الحلم والجهل، و مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة...»³، فغير المتمكن يظن أن بين هذه الألفاظ مطابقة، وهذا خطأ كما يقول القاضي.

طبَّق:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة، وطبَّق عكس المطابقة، أي جاء بمعنى الاتفاق في قول القاضي: « ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طبَّق المفصل، وأصاب الغرض، ووافق شبه الخجل»⁴، طبق أي وافق.

فمصطلح المطابقة عند القاضي الجرجاني إذن هو الجمع بين المعنى وضده أو نقيضه باللفظ أو المعنى، وهي من محاسن الكلام ومقومات التعبير، واستخلاصها يحتاج إلى تمكن ودراية لاختلاطها مع أنواع أخرى من المجاز، كما حدد أقسامها ومثل لها بكثير من الأشعار.

المعنى¹ - الوساطة، ص48² - المصدر نفسه، ص48³ - المصدر نفسه، ص48-49⁴ - المصدر نفسه، ص164

(المعاني-المعنويون)

المعنى: « مَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ: مِحْنَتُهُ وَحَالُهُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَمْرُهُ، وَالْمَعْنَى وَالتَّقْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ وَاحِدٌ، وَعَنْيْتُ بِالْقَوْلِ كَذَا أَرَدْتُ، وَمَعْنَى كُلِّ كَلَامٍ وَ مَعْنَاتِهِ مَقْصِدُهُ»¹، ويقال: «عَنِ الأَمْرِ يَعْنِي: نَزَلَ وَحَدَّثَ، وَمَعْنَى الكَلَامِ مَعْنِيَهُ وَمَعْنَاتُهُ وَ مَعْنِيَّتُهُ: وَاحِدٌ»²، و «المَعْنَى هُوَ القَصْدُ الَّذِي يَبْزُرُ وَيُظْهِرُ فِي الشَّيْءِ إِذَا بُحِثَ عَنْهُ؛ يُقَالُ: هَذَا مَعْنَى الكَلَامِ وَمَعْنَى الشَّعْرِ، أَي الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ مَكْنُونٍ مَا تَضَمَّنَهُ اللَّفْظُ»³.

و في الاصطلاح: « هو المضمون الذي يعبر به الأديب، ويبسطه في أحد أعماله الأدبية، والفكرة التي تطرأ على ذهنه ويسعى إلى بسطها بالشكل الذي هو المبنى»⁴، وقيل: « المعنى أو المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف و تنكير، أو قصر وخلافه، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب ومساواة»⁵. وقيل: ما يدل عليه القول، أو الرمز، أو الإشارة، أو الشيء»⁶.

والجاحظ من أنصار اللفظ، يقول: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتغير اللفظ»⁷.

في اصطلاح (الوساطة):

المعنى:

المعنى عن القاضي الجرجاني من أكثر المصطلحات وروداً، فنجده في مائتين وثمانين عشرة موضعاً، مفرداً ومثى، وكان في (اثنتين وتسعين منها نكرة والباقي معرفة)، وجاء بأوصاف ونعوت مختلفة، ويمكن تصنيفها كما يلي:

¹ - لسان العرب، مادة(عنا)

² - القاموس المحيط، (عني)

³ - مقاييس اللغة، مادة (عني)

⁴ - المعجم المفصل في الأدب، ص 810

⁵ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص276

⁶ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 1172

⁷ - الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2،

نعوت المعنى:**معنى لطيف:**

ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلَذَا اسْمٌ أَغْطِيَةَ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

فيقول: « وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجاه لو ساعده اللفظ »¹.

معنى شريف:

ورد في تعليقه على أبيات لأبي تمام، يقول القاضي: « ثم لم يظفر فيها بمعنى شريف

وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة »².

معنى مليح:

ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الْحَشْوِ تَجْدُو لِأَعْطَوكَ الَّذِي صَلَّوَا وَصَامُوا

يقول القاضي: « وهذا معنى مليح »³.

معنى مستوفى:

ورد في قوله: « وهذه أفرد أبيات منها أمثال سائرة، ومنها معانٍ مستوفاة »⁴.

معنى منفرد:

ورد في كلامه عن نقل أبي الطيب لمعاني أبي تمام، فيقوله: « فنقله أبو الطيب إلى الزمان

فصار كالمعنى المنفرد »⁵. كما ورد في كلامه عن حسن إخفاء السرقة، فيقول القاضي: «

ثم لاحظ هذا فأخفاه؛ وأحسن ما شاء »⁶، ويمثل لحسن الإخفاء بقول المتنبي:

إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا

ويعلق عليه: « فجاء به معنى منفرداً، وهو من باب السماحة بالروح »⁷.

معنى مشترك:

¹ - الوساطة، ص 83

² - المصدر نفسه، ص 158

³ - المصدر نفسه، ص 208

⁴ - المصدر نفسه، ص 140

⁵ - المصدر نفسه، ص 191

⁶ - المصدر نفسه، ص 191

⁷ - المصدر نفسه، ص 187

ورد في كلامه عن المعاني المشتركة التي لا تعد من السرقات، يقوله: « وهذا مع مشترك لا يسرق »¹.

معنى بديع:

ورد في تعليقه عن أبيات غزل لأبي تمام، فقال عنها القاضي: « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة »².

معنى عامي:

ورد في تعليقه عن قول بشار:

فإن ما رَيْتِي فَارَكَبَ حِصَاناً وَمَثَلُهُ تَخِرُّ لَهُ صَرِيحاً

يقول القاضي: « وهذا المعنى عامي »³.

معنى مخترع:

يقول القاضي: « وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره، ولطفه فجاء كالمعنى المخترع »⁴، ويعلق عن قول المتنبي:

نُصِرْفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَازِرٍ قَدْ انْقَصَّتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ

فيقول: « وقد زاد كأنه اخترع المعنى »⁵.

عيوب المعنى:

معنى مبتذل:

ورد في تعليقه عن قول البحري:

وَإِذَا مَا تَتَكَرَّتْ لِي بِلَادُ أَوْ صَدِيقٍ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ

يقول عنه القاضي: « وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين »⁶.

معنى متداول:

ورد في تعليقه عن قول المتنبي:

1 - الوساطة، ص 197

2 - المصدر نفسه، ص 37

3 - المصدر نفسه، ص 159

4 - المصدر نفسه، ص 233

5 - المصدر نفسه، ص 275

6 - المصدر نفسه، ص 253

وأسرع مفعول فعلت تغييراً تكلف شيء في طباعك ضده
يقول القاضي: « وهذا معنى متداول، وقد أكثر الناس فيه»¹، كما يعلق عن قول أبي
الطيب:

والعينُ تُبصرُ مَنْ تَهَوَّى وتفقدَه وناظر القلب لا يَخْلُوا من البَصَرِ
يقوله: « وهو معنى متداول»².

معنى بارد:

ورد في تعليقه عن قول أبي تمام:

مَا زَالَ يَهْذِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ
يقول القاضي: « فتناول معناً بارداً، وغرضاً فاسداً»³.

المعاني:

المعاني جمع معنى لغة واصطلاحاً، وتكرر هذا المصطلح اثنتين وأربعين مرة في
الوساطة كان في (أربع وعشرين منها معروفاً)، فيقول القاضي في حديث عن أغاليط
الشعراء: « ثم عدت إلى ما عدده العلماء من أغاليطهم في المعاني»⁴، كما أن للمعاني
رُتَبٌ تقسم وفقها الألفاظ، يقول: « بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا
يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة
جدك»⁵.

أصحاب المعاني:

ورد في قوله: « وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ
والمعنى»⁶.

المعاني المستغلقة:

وهي المعاني الغامضة التي يصعب تبين القصد منها، وردة في قوله: « وأمثلُ هذه
الاعتراضات كثيرة واستقصاء جميعها باب من التطويل، وإنما يصلح استيفاء ذلك إذا قصدنا

¹ - الوساطة، ص 280

² - المصدر نفسه، ص 320

³ - المصدر نفسه، ص 220

⁴ - المصدر نفسه، ص 18

⁵ - المصدر نفسه، ص 30

⁶ - المصدر نفسه، ص 366

شرح المعاني المستغلقة من شعره»¹.

معنوي:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وهو صفة أطلقها القاضي على خصوم المتتبي في قوله: « أو معنوي، مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة؛ فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين»².

المعنويون:

جمع معنوي، ورد مرة واحدة في قوله: « ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم، فإنما يطُلب به بعضهم الإعراب على بعض»³.

المعنى مصطلح كثر ذكره في الوساطة فتعددت أوصافه ونعوته وتباينت بين الذم والمدح، وأغلب النصوص التي ورد فيها هذا المصطلح كانت تعليقات موجزة للقاضي عقب بعض الأبيات.

¹ - الوساطة، ص 395

² - المصدر نفسه، ص 364

³ - المصدر نفسه، ص 37

المناقضة

المناقضة: « النَّقْضُ ضد الإبرام، والنَّقِيضَانِ من الكلام ما لا يصح أحدهما مع الآخر... والمُنَاقِضَةُ في الكلام وفي الشعر كَنَقَائِضِ الفرزدق وجريير¹، وقيل: « المُنَاقِضَةُ في القول أن يتكلم بما يَتَنَاقِضُ معناه والانتقاض الانتكاث²». وفي القاموس المُنَاقِضَةُ: « أن يقول شاعرٌ شِعراً فَيَنْقُضَ عليه شاعرٌ آخرٌ حتى يجئ بغير ما قال³».

أما في الاصطلاح: «عند البلغاء هي تعليق أمرٍ على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه⁴»، وقيل: «إبطال أحد الشئيين بالآخر⁵»، والنقيضة: « قصيدة يرثى بها شاعر على قصيدة لخصم له، فينقض معانيها عليه؛ فيقلب فخر خصمه هجاءً، ويحول الفخر إلى نفسه وقبيلته⁶»، و هي « في علم البديع، تعليق الشرط على نقيضين: ممكن ومستحيل⁷»، وقيل: « المناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الثاني ما قاله الشاعر الأول، فيلتزم البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول⁸».

في اصطلاح (الوساطة):

المناقضة:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة عشرة موضعاً، مفرداً ومثنى و (معرفاً ومنكراً)، وقصد بها أمرين:

أ- قصد به نقض الشاعر لمعاني غيره بقلبها، فيأتي بصددها في شعره، يقول: « ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب، وقصد به النقض⁹»، ويمثل له بقول المتنبي:

أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِبُ الْبَيْضِ وَالْقَنَا الدُّبُلُ

ويعلق: « إنما هو نقيض قول أبي نواس:

¹ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(نقض)

² - مختار الصحاح، مادة(نقض)

³ - قاموس المحيط، مادة(نقض)

⁴ - كشاف اصطلاحات الفنون، ص 1253

⁵ - التعريفات، ص 83

⁶ - المعجم المفصل في الأدب، ص 863

⁷ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 1209

⁸ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 378

⁹ - الوساطة، ص 179

عباسُ عباسُ إذا احتَدَمَ الوَغْيُ والفضلُ فضلُ والرَّبِيعُ رَبِيعٌ»¹

وبضيف قول المتنبي:

والجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّبِهِ بِسُؤَالِ

ويعقب عنه بقوله: « إنما ناقض به أبا تمام في قوله:

وَنَعْمَةٌ مُعْتَفٍ جَدَّوَاهِ أَحْلَى عَلَى أَدْنِيِّهِ مِنْ نَعْمِ السَّمَاعِ»²

ب- قصد بها نقض الشاعر لنفسه، إذا: « كَذَبَ نَفْسَهُ، وَنَقَضَ قَوْلَهُ»³ ، فيكذب بالشرط

الثاني، ما جاء في الشطر الأول من البيت، كما في قول زهير:

قَفْ بِالذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَغْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْواحُ وَالذِّيمُ

يلق القاضي: « فنقض بالمصرع الثاني الأول ولم يحفل بتكذيب نفسه»⁴.

وكذلك: « من النقض الظاهر قول بشار:

لو يَطْلُ لَيْلي ولكن لم أَنمُ ونفى عني الكرى طَيْفُ أَلَمُ

فقال: لم أَنم، ثم زعم أن الطيف أَلَمُ به، وهو لا يلم إلا بنائم»⁵.

المناقضة الظاهرة:

وقصد بالمناقضة الظاهرة المكشوفة، التي يسهل إظهارها، ورد مرتين إحداها في تعليق

خصوم المتنبي على قوله:

الفاعلُ الفَعْلُ لم يُفَعْلُ لِشِدَّتِهِ والقائلُ القَوْلَ لم يُتْرَكَ ولم يُقَلِّ

« قالوا: كيف يكون القول غير متروك ولا مقول؟ وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة؟»⁶.

مصطلح المناقضة عند القاضي لم يكتف في التمثيل له بمناقضة الشاعر لشاعر آخر

بل زاد عن ذلك بمناقضة الشاعر لنفسه، وهذا الأخير مناقضة الشاعر لنفسه- قل ذكر

وتمثيل النقاد له.

¹ - الوساطة، ص 179

² - المصدر نفسه، ص 179

³ - المصدر نفسه، ص 53

⁴ - المصدر نفسه، ص 367

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁶ - المصدر نفسه، ص 391

النَوَادِر

(النادر-النادرة-الندرة)

النَوَادِر: جاء في اللسان: « نَدَرَ الشيء يَنْدُرُ ندوراً بمعنى سقط وشدَّ ، ونوادِر الكلام تندر وهي ما شدَّ وخرج من الجمهور»¹، وقيل: « نَدَرَ الشيءُ نُدُوراً، مِنْ بَابِ قَعَدَ: سَقَطَ أو خَرَجَ من غَيْرِهِ، ومنه نَادِرُ الجَبَلِ وَهُوَ مَا يَخْرُجُ منه وَيَبْرُزُهُ»²، ويقال: « النُدْرُ: كُلُّ شيءٍ زَالَ عن مكانه فقد نَدَرَ يَنْدُرُ نُدْراً فهو نَادِرٌ. فيقال: ضربه على رأسه فَنَدَرَهُ عَيْنُهُ أي خرجت من موضعها وسمي نوادر الكلام لأنه كلام نَدَرَ فَظَهَرَ مِنْ بَيْنِ الكَلَامِ»³.

وفي الاصطلاح: « استعملها العرب بمعنى الخبر الطريف، والمُلْحَة، والأقصوصة الفكاهية»⁴، و« النوادر هي الأقوال التي تضحك، أو تستثير الاستغراب و التعجب لخروجها عن المتوقع والمعتاد، وهي في الشعر تعني الأشعار التي بلغت من الجودة في معنى ما حداً جعلها تخرج عن المعتاد»⁵.

في اصطلاح (الوساطة):

النوادِر:

ورد هذا المصطلح مرتين في كتاب الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني يصعب تحديد لقلت استعمالها، فذكرها مرة في حديثه عن كتاب لأبي زيد بعنوان كتاب النوادر، فيقول: «... وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر...»⁶، وأخرى حملت النوادر فيها معنى القلة عكس الوفرة، والتي نجدها في قوله: « وإنما هذه الأحرف التي عدتموها أَلْفَاظٌ خرجت عن القياس، وشدت عن العبرة، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقف عند الرواية، لا يتعدى إلى غيرها، ولا يتجاوز تلك الحروف

1- لسان العرب، مادة (ندر)

2- المصباح المنير، مادة (ندر)

3- قاموس المحيط، مادة(ندر)

4- المعجم المفصل في الأدب، ص 846

5- وينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 389

6- الوساطة، ص 366

بأعينها ولا تكاد تجد باب من العربية يخلو من نواذر وشواذ¹، ومعنى القلة وارد في هذا الاقتباس

فالحروف التي خرجت عن القياس قليلة ومحدودة - نادرة- في اللغة العربية، ويمكن أن تعرف بالسماع.

النادر:

ورد هذا اللفظ في كتاب الوساطة أربع مرات، كان في (مرتين منها معرّفاً)، وجميعها حمل فيها معنى القلة وعدم الإفراط، يقول القاضي: « ولقد علمت أن الشعراء قد تناولوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا في النادر الفذ»²، وفي حديثه عن أحكام القياس في العربية، يقول: « ولجاز أن يقال في جمل أجمل كما قالوا : جبل وأجبل، وجاز كلب وأكلاب كما قالوا: فرخ وأفراخ، قال المحتج: ليس هذا من الباب الذي ذكرته، وليس بجاري مجرى الشاذ والنادر»³، و يعلق عن قصيدة أنشدها شيخ بدوي يمدح بها جعفر ابن محمد الحسني، بقوله: « وجدتها متنافرة الأبيات مختلفة الأطراف، بين عَيْنِ نادر، ومتوسط متقارب»⁴، وكما رأينا في مصطلح النواذر الذي الذي حمل معنى القلة وعدم الإفراط، فإن مفردة- نادر- لم يخرج عن هذا المعنى.

النادرة:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة كلها (معرّفاً)، والنادرة عند القاضي جاءت بمعنيين مختلفين:

أ- النادرة وجمعها نواذر فجاءت بمعنى القلة والنقص وكان استعمالها دائماً كمضافة لكلمة (ألفاظ)، في ثلاث مواضع وأحدها في قوله: « وعلى هذا أكثر اللغة، لاسيما الألفاظ النادرة»⁵ و قوله أيضاً: « وهذا سبيل ما وجد في شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة والألفاظ النادرة»⁶. وقوله: « غير أنه ليس على الشاعر عيب في إتباع اللفظة النادرة إذا رواها

¹ - المصدر نفسه، ص 370

² - الوساطة، ص 36

³ - المصدر نفسه، ص 370

⁴ - المصدر نفسه، ص 141

⁵ - المصدر نفسه، ص 377

⁶ - المصدر نفسه، ص 377

الثقات»¹، فهذه الاقتباسات الثلاث لم يخرج فيها معنى مصطلح النادرة عن القلة في الألفاظ.

ب- المعنى الثاني لنادرة والذي جاء في موضع واحد في الكتاب كان يدل على الكلام المستظرف الحسن والمضحك الغريب، فيقول: « فإذا انتهى لمن بعدهم - كبشار وأبي نواس وطبقتهم - سمي شعرهم مُلحاً وطرفاً، واستحسن منه البيت استحسان النادرة، وأجراه مجرى الفاكهة »²، وهذا غريب من ما ذهب إليه الجاحظ في قوله: « وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام...فإياك وان تستعمل فيها الإعراب...فإن ذلك يُفسد الإمتاع بها »³

الندرة:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما (معرفاً)، والندرة جاءت بمعنى القلة، يقول: «وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك، إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة »⁴، وقوله: « وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً، والمحدثون والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة، أو على سبيل الغلط والفلتة »⁵، وفي كلا الاستعمالين كانت رديفة للفظ الفرط والتي تعني الإكثار و الإسراف.

كما ورد مصطلح الندرة بصيغة مختلفة مرتين، إحداها في قول القاضي: « وليس من شرائط النصفة أن تعي على أبي الطيب بيت شذّ، وكلمة ندرت »⁶، وقوله: « فيشك أنها تتدرّ فلتة، وتصدر بقتة »⁷، وكلا المصطلحين لم يخرج معناه عن معنى الندرة أي القلة.

وإن كان مصطلح النوادر - لقلة وروده - لا يعطينا فكرة واضحة عن صورة هذا المصطلح في فكر القاضي، فإن ما تبعه من مشتقات - النادرة والنادر والندرة - مكننا من اعتبار النوادر عند القاضي تعني من جهة القلة ومن جهة ثانية المستظرف من القول.

¹ - المصدر نفسه، ص 383

² - الوساطة، ص 56

³ - البيان والتبيين، ج 1 ص 146

⁴ - الوساطة، ص 52

⁵ - المصدر نفسه، ص 90

⁶ - المصدر نفسه، ص 92

⁷ - المصدر نفسه، ص 141

النقد

(الانتقاد - الناقد - النقاد)

النقد: « نَقَدَ الشَّيْءَ نَقْدًا: نَقَدَهُ لِيَخْتَبِرَهُ، أَوْ لِيُمَيِّزَ جَيِّدَهُ مِنْ رَدِيئِهِ»¹، وقيل: « نَقَدَ الدَّرَاهِمَ نَقْدًا وَتَنَقَّدًا: أَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَنَقَدَ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ: مَيَّرَ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا، وَنَقَدَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ بِنَظَرِهِ يَنْقُدُهُ نَقْدًا وَنَقَدَهُ إِلَيْهِ: اخْتَلَسَ النَّظَرَ نَحْوَهُ»²، و يقال: « نَقَدَ الشَّيْءَ يَنْقُدُهُ نَقْدًا إِذَا نَقَرَهُ بِإِصْبَعِهِ ... وَالنَّقْدُ أَنْ يَضْرِبَ الطَّائِرُ بِمَنْقَادِهِ أَيَّ بِمَنْقَارِهِ ... وَقَدْ نَقَدَهُ إِذَا نَقَرَهُ»³.

وفي الاصطلاح: هو « فن تحليل الآثار الأدبية، والتعرف إلى العناصر المكونة لها للانتحاء إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجابة»⁴، وقيل: « نقد الأدب: تناوله ودراسته، والنظر فيه... واستخلاص عناصر الجمال التي سما بها، وسمات القبح التي اتّضع بها. ونقد الأدب: إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن. ونقد الأدب: إشارة بإجابة المجيد للمقصر المسيء فالنقد هو العدل بالمشاهدة والفحص لا بالأهواء والميول»⁵، و « انتقَدَ الكلامَ أَظْهَرَ مَوَاضِعَ الخَطَأِ وَمَوَاضِعَ الصَّوَابِ فِيهِ»⁶.

وقد جعله قدامة بن جعفر مرادفاً للشعر في عنوان كتابه (نقد الشعر)، وذكره في مقدمته فقال: « ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً»⁷.

¹ - مقاييس اللغة، مادة (نقد)

² - لسان العرب، مادة (نقد)

³ - تهذيب اللغة، مادة (نقد)

⁴ - المعجم الأدبي، ص 283

⁵ - المعجم المفصل في الأدب، ص 863

⁶ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 38

⁷ - نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د.ط.د.ت)،

في اصطلاح (الوساطة):

النقد:

ورد هذا المصطلح ثمانى مرات في الوساطة، كان في (سنة منها معرّفاً)، ومعنى النقد عند القاضي الجرجاني هو تمييز الجيد من الرديء، قال: « إذا قِسْتِ أبيات أبي الطيب بها على قِصرِها، وقابلتَ اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظاً

في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكره أن أثبت حكماً، أو أفضل قضاء، أو أن أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما محسن مصيب»¹.

فالقاضي رغم اعتباره أن النقد هو تبيين وتمييز الجيد من الرديء أو الفاضل من المفضول، إلى أنه كره إصدار الأحكام والتفضيل بين أمرين كلاهما مستحسن، وفي تعليقه عن ما زعمه الصولي بدعائه أنه أول من سلك طريق نقد الشعر، يقول القاضي: «...هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عند نفسه بنقد الشعر، وادعائه بأن أحداً لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تُسلك قبله، وباب لم يزل مستغلقاً حتى افتتحه، كأنه لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمون البليد الغبي حماراً أو بقرة»².

الانتقاد:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وجاء بالمعنى السلبي لنقد أي تتبع أخطأ الشعراء وسقطاتهم، دون الوقوف على محاسن أشعارهم ومزياتهم، كما فعل خصوم المتنبى مع شعره، يقول القاضي: «... وبرتنا إليك ما يوجب عقد الكفالة وأفضلنا، ولم تكن بقيتنا استقاء الاختيار، واستقصاء الانتقاد...»³، وفي حديثه عن مآخذ العلماء عن أبي الطيب يقول: « فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله»⁴، ويمثل لهذا النوع من الانتقاد بما بلغه عن بعضهم أنهم أنكروا قول أبي الطيب:

تخطُّ فيها العوالي ليس تنفُذها كأن كلَّ سنانٍ فوقها قلمٌ

1- الوساطة، ص 110

2- المصدر نفسه، ص 291

3- المصدر نفسه، ص 155

4- المصدر نفسه، ص 360

يعلق القاضي: « فزعم أنه أخطأ في وَصْفِ دِرْعِ عدوه بالحصانة، وأسنة أصحابه بالكَلال»¹.

الناقد:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والجمال عند القاضي الجرجاني لا يدركه إلا الناقد البصير وهو غير مطالب بتعليقه، ولهذا يضع شروط للناقد الجيد فيقول: « وهذا

باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعلم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه واستكملاه، ولست تعد من جهاذة الكلام، ونقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبه ومنازله، فتفصل بين السرق والقصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإمام من الملاحظة...»²، وعليه فإن شروط الناقد الجيد هي أنه يحتاج إلى الرواية (الثقافة)، والدراية (الدربة والمرونة)، والفتنة، ولطف الفكر (الموهبة) وصحة الطبع، وإدمان الرياضة، وبهذا يرتفع الناقد على مستوى الإنسان العادي الذي يسهل عليه إدراك اللغة والوزن و الإعراب والجناس والطباق والمعاني. ويكون قادراً على الفصل بين شيئين: العيب الخفي، والجمال الخفي³.

النقاد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، كان معرّفاً في مرتين منها، والنقاد جمع ناقد، قال: « إلا أنك تعلم أن ما في قوله (شيء) يجتنيه الفحول، ولا يرضاه النقاد، وهو أشباه هذا مما لم نورد استقصاءه، وإنما دللناك على منهاجه، وأريناك بابه، وقد قدمنا ما استرذلنا من شعره»⁴، وقوله: « زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله: (إلا أنها لم تُقاتِل) فهو المتقدم، وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله: (في الدماء نواهل)

¹ - المصدر نفسه، ص 360

² - الوساطة، ص 161

³ - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 386

⁴ - الوساطة، ص 159

وإقامتها مقام الرايات»¹، وقوله: « وتعلم أن وراءك من النقاد من يعتبر عليك نقدك، ومن لا يستسلم للعصبية استسلامك »².

لقد خطا النقد في القرن الرابع للهجرة خطوات كبيرة باتجاه التجرد من العواطف والأهواء والعصبيات، واعتمد على العلم والمنطق في التحليل الأدبي، وهذا ما نستشفه من تتبع استعمال القاضي لمصطلح النقد في وساطته.

النقل

(المنقول)

النقل: يقول ابن فارس: «النون والقاف واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على تحويل شيءٍ من مكانٍ إلى مكانٍ»³، ويقال: « النقل تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نَقَلَهُ يَنْقُلُهُ نَقْلًا فَاَنْقَلَ »⁴ ، وقيل: « نَقَلَهُ: حَوَلَهُ فَاَنْقَلَ، وَالنُّقْلَةُ: الْإِنْتِقَالُ، وَالنُّقْلُ: مَا يُنْتَقَلُ بِهِ عَلَى الشَّرَابِ أَوْ مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ فِي صَخَبٍ »⁵.

في الاصطلاح: جاء في الكشف « النقل عند أهل النظر هو الإتيان بقول الغير على ما هو عليه بحسب المعنى...والآتي به يُسَمَّى نَاقِلًا، وذلك القول يسمَّى منقولاً»⁶، وقيل: « وقيل: « نقل الكلام عن قائله، رواه وحدث به»⁷، وهو « نوع من السرقات غير الظاهرة، والتي يعمد فيها الشاعر إلى نقل معنى شاعر آخر فيغير في محله»⁸.

في اصطلاح (الوساطة):

النقل:

¹ - المصدر نفسه، ص 232

² - المصدر نفسه، ص 341

³ - مقاييس اللغة، مادة (نقل)

⁴ - لسان العرب، مادة (نقل)

⁵ - القاموس المحيط، مادة (نقل)

⁶ - كشف اصطلاحات الفنون، ج 2 ص 1725

⁷ - المعجم الأدبي، ص 284

⁸ - ينظر: معجم الشامل، ص 989

تكرر هذا المصطلح سبعة وأربعين مرة في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، والنقل عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أ- قصد به في ستة وأربعين موضعاً، تفنن الشعراء في السرقة بتحويل معنى البيت إلى معنى آخر، ونقله من غرض إلى غرض آخر، قصد إخفاء السرقة، ويمثل له القاضي بما فعله أبو نواس بقول أبي حراش الهذلي:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه على أنه قد سلّ من ماجد محض
فقال- أبو نواس- يصف شراباً:

ولم أدر منهم غير ما شهدت به بشرفي ساباط الديار البسابس
يلق القاضي: « فلم يخفي موضع لأخذ؛ وإن كان قد نقل الغزل إلى الزهد، والمرثية إلى

المنادمة»¹. ويورد القاضي قول البحري:

متسرعين إلى الحثوف كأنها وفر بأرض عدوهم يتنهّب

يلق القاضي: « وإنما نقل البحري كلام أبي تمام:

مُسْتَرْسَلِينَ إِلَى الْحُثُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحُثُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ»²

وقد نبه القاضي إلى اعتماد المحدثين على النقل لإخفاء سرقاتهم، فيقول: « والسرق- أيدك الله- داءٌ قديم...تسبب المحدثون على إخفائه بالنقل والقلب»³.

ومن النقاد من أطلق على هذا النوع من السرقة تسمية أكثر لطفاً وهي (حسن الأخذ) بدلاً من النقل وهذا ما نجده تغريباً في تعليق القاضي على ما فعله المتنبّي بقول أحدهم:

تُعَادِينَا لِأَنَّ غَيْرَ لُكْنٍ وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّ غَيْرَ عُورٍ

يلق القاضي: « ثم نقله وزاد فيه وغيره فأحسن:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ»⁴

ويورد قول بعض العرب:

¹ - الوساطة، ص 179

² - المصدر نفسه، ص 197

³ - المصدر نفسه، ص 185

⁴ - المصدر نفسه، ص 210

« وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكْسُو السَّلِيْبَ إِزَارًا

فنقله أبو الطيب إلى السيف، فقال:

بَيْسَ النَّجِيعِ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُعَمَّدٌ»¹

ويمثل لنقل بتحويل المعاني من غرض لآخر بقول مسلم:

« قُتِلَتْ وَعَالَجَهَا الْمُدِيرُ وَلَمْ تُقَدْ فَإِذَا بِهِ قَدْ صِيرْتُهُ قَتِيلًا

نقله ديك الجن إلى غرض آخر:

تطل بأيدينا نتعتع رُوحَهَا وتأخذ من أقدامنا الراح ثأرها»²

بـ. جاء بمعنى الرواية مرة واحدة في قوله: « مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ، وخمول أكثر ما قيل، وضياح جل ما نُقِل...فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري»³، فضياح الكثير من الأشعار التي تناقلها الرواة سبب في تداخل الأشعار وعدم معرفة أصحابها.

المنقول:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، كما جاء بصيغة المؤنث في موضعين من مجموع مرات وروده، والمنقول هو ما يتم نقله من المعاني و الألفاظ، ويمثل له القاضي بقول المتنبى:

وَفَوَارِسٍ يُخَيِّي الْحِمَامَ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ

يعلق القاضي: « وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زهير:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ»⁴.

مصطلح النقل عند القاضي يكون بتحويل المعاني من غرض إلى آخر، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى لطيفاً من تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء.

¹ - المصدر نفسه، ص 218

² - المصدر نفسه، ص 231

³ - الوساطة، ص 141

⁴ - المصدر نفسه، ص 277

فعدده القاضي نوع من السرقة الخفية، والتي يعتمد فيها الشاعر إلى معاني غيره، فينقلها مع الإنقاص منها أو الزيادة لإخفاء سرقاته.

الوساطة

(التوسط-المتوسط-الأوسط)

الوساطة: جاء في المقاييس: «الواو والسين والطاء: بناءً صحيح يدلُّ على العدل والنصف. وأعدُّ الشَّيء: أوَسَطُهُ ووَسَطَهُ. قال الله عزَّ وجلَّ: (

﴿وَوَسَّطُوهَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (١) وقيل: «وسط وَسَاطَةً، ووَسَّطُ توَسَّطًا، وفلان وسيطٌ في قومه: إذا كان أوَسَطَهُمْ نسبًا وأرفعهم مجداً. والتوسُّطُ من الناس من الوساطة»³.

أما في الاصطلاح: «أن يدخل الناقد بين أطراف متنازعة ليحكم لواحد أو لجماعة منها»⁴

في اصطلاح (الوساطة):

الوساطة:

¹ -سورة البقرة، الآية 143

² -معجم مقاييس اللغة، مادة(وسط)

³ -لسان العرب، مادة(وسط)

⁴ -معجم النقد القديم، ج2ص439

تكرر مصطلح الوساطة مرتين وكان فيهما معرّفاً، ومعناه عند القاضي تقريب وجهات النظر بين متخاصمين، بإيجاد حكم يرضي طرفي النزاع، فيعتبر هذا الحكم بمثابة الوساطة التي ترضي أطرف الخصومة، فيقول « ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول: إن خصم هذا الرجل فريقان»¹، فالوساطة تكون بين طرفين سواءً كانا مجموعتين أو شخصين فهي بمثابة الحكم الفاصل الذي يأخذ بعين الاعتبار حجج طرفي النزاع، كما في قوله: « وقد حكيت في كل باب منها ما علقته من كلام أصحابك، وما قابلهم به خصومك، ورأيت السلامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة) على حسن التبليغ، وحسن التأدية، وتقريب العبارة...»².

التوسط:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرّفاً ومنكرًا)، ومعناه لم يخرج عن معنى الوساطة الذي ذكرناه، فيقول: « وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث

والمحدث بسبيل»³، ويقول: « وشغلنا باتّصال الدعوى عن التوسط، وإنما يقصد بالكشف ما

يشتهبه، وبتوسط في الأمر الذي يشكل ويلتبس»⁴، فالتوسط حسب القاضي يكون في الأمور التي يقع فيها إشكال واختلاف في الرأي، والتوسط هو الحل الوحيد لإزالة هذا اللبس. **المتوسط:**

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرّفاً ومنكرًا)، والمتوسط في كتاب الوساطة هو القاضي الجرجاني الذي يمثل دور الحاكم بين طرفي الخصومة، يقول: « إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خصماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط ... والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم أتم من عناية الحاكم»⁵،

¹ - الوساطة، ص 52

² - المصدر نفسه، ص 344

³ - الوساطة، ص 52

⁴ - المصدر نفسه، ص 65

⁵ - المصدر نفسه، ص 156

الأوسط:

وردة هذا المصطلح مرتين في الوساطة إحداهما في قوله: « بل أريد النمط الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوي الوحشي»¹ ، والنمط الأوسط من الكلام عند القاضي هو الملائم والمناسب في رأيه.

ومصطلح الوساطة علامة بارزة في عنوان كتاب القاضي الجرجاني، فهي نقطة التلاقي بين طرفي الخصومة، وتولدت عنه مجموعة من المشتقات كانت في مجملها مكملة لهذا المصطلح، فلم تخرج عن معناه العام.

¹ - المصدر نفسه، ص 30